جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات النحوية والصرفية

* * *

تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري من قطر الندى إلى مغني اللبيب

دراسة وصفية تحليلية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

في تخصص النحو والصرف

إعداد الطالب : مصطفى حسين آدم عبد الله

إشراف : أ-د . مصطفى محمد الفكي

العام ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

الإهداء

بالـوُدّ أهدي وبالإجـــلال -إهـــدائي * إلى البهاليـــل إخـــواني وأبنـائي

المُوقفـونَ لِلمُصطفى أبَـــــداً * مـديحَهُـمْ، كُـلَّ سرّاءٍ وضرّاءٍ

الصَّـــابرو ن، وفي أثوابهـم نَحِـــلَتْ * أعْـــوادُهـم من ضَراعاتٍ بإنْضاءِ

الفضـلُ مِن قبلهـم بعـد الإلـ ـهِ لِمَـــــنْ * أنارَ كالشمسِ من آفاقِ ظلمـــائي

كابنِ الفكِيِّ -وحسبي أن تصيبَ يدي * بابْـنِ الفقيهِ مُنيْرٍ -فضـــلَ إهـــداءٍ

إهـــــداءُ وُدٍّ وإجـــلالٍ وتركيةٍ * من روح خـــلٍّ إلى كلِّ الأخـــــلاءِ

الباحث

أتقدّم – بين يدي هذا البحـــث - بالشكر أوّلاً: لله تعالى،الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثمّ لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في إداراتها وعمادتها وجميع القائمين عليها، والشكر موصول لكلية الدراسات العليا – كلية اللغة العربية – وقسم الدراسات النحوية واللغوية لإتاحته لي فرصة كتابة هذا البحث في : تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري، من قطر الندى إلى مغني اللبيب . .

كما أخصّبالشكر والعرفان أخي الدكتور الفاضل، مصطفى محمد الفكي، الذي أشرف على هذه الرسالة، لما بذله معي من جهد كبير وتشجيع ثمين وإرشاد وتوجيه عظيمين، وهو ما مكن من تحقيق هذا الإنجاز الذي أرجو أن يسرَّ الناظرين ويحظى بقبول المطّلعين .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوّه بعظيم الفضل وجليل العمل الذي أفدت به من لدن أخي الدكتور الفاضل، الشيخ عبد الجبار بلال منير دفع الله. وأتوجه إلى كل الذين أفادوني بمشورتهم توجيهاً وإرشاداً من منسوبي جامعة أم درمان الإسلامية ، ومن زملاء العمل، ورفقاء الدرب، الدكتور أحمد كنانة لإسهاماته الفنية الجليلة في تنسيق وإخراج هذا البحث بهذه الصورة الطيبة . وكذلك لكل من أسهم وسيسهم في تحقيق المراد من هذا البحث، جزيل شكري وتقديري.

والله تعالى أسأل التوفيق لكل العاملين في مجال هذا العلم خدمة للعربية والإسلام، فاللهُ نِ ْعم المولى ونْعم النصير.

الباحث

المقـــدمـــة

- أسباب ودوافع إختيار موضوع البحث
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- مشكلة البحث
- هيكل البحث
- مصادر البحث

المُقَـدِّمة :

الحمد لله على عميم فضله وجزيل عطائه ، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وأصحابه.

وبعد :

لم يعهد التأريخ منذ نزول القرآن الكريم ، وقيام دولة الإسلام لغةً حظيتْ بمثل ما حظيتْ به اللغة العربية من الشهرة والبحث ، وما من علم من علومها نال من العناية الفائقة والمجهود العقلي العميق ما ناله النحو العربي قديماً وحديثاً .

وكان القرآن الكريم قد شغل العرب ، فشمّر أوائلهم عن ساعد الجدِّ ، يتعهّدونه بتفسير ألفاظه وبيان أحكامه ، وأعقبهم آخرون تناولوا نصّه بالضّبط إعراباً وإعجاماً ، دفعاً لانحرف ألسنة المسلمين الجُدد في قراءته وعربيته، وورث جيل بعدهم ما خلّف أسلافهم ، فزادوا على آثارهم شيئاً جديداً ، وأضافوا إلى خطواتهم خطوات . ولكن تلك العناية انقلبت أحياناً على أيدي جيل المتأخرين إلى جناية ، فتعقدت مسائل النحو وضلت الحقائق الأصيلة، نتيجة التأثر بأفكار فلسفية ومنطقية دخيلة تسربت إلى النحو في وقت مبكر، ثم نمت دراسته بها، ووجد الباحثون من النحاة –وخاصة ابن هشام– أنفسهم أمام هذه الأفكار الفلسفية الصالحة للأخذ والرد والمناقشة والجدل فخاضوا فيها برفق حيناً، وباستخدام البراعة الذهنية الفائقة أحياناً، متّخذين كلِّ وسيلة ليتداركوا غياب النحو والعربية عن عقول الناس وقلوبهم في محاولات لتسهيل النحو وتذليل صعابه وتقريب بعيده ، وذلك ما يحاول هذا البحث الكشف عنه من خلال التطور الفكري الهائل الذي صاحبه إن شاء الله .

*** أسباب ودوافع اختيار الموضوع :**

من أهم دوافعي لاختيار موضوع هذه الدراسة هو : أنني ومنذ تقدّمي لرسالة الماجستير كنت أميل إلى تتبع الفكر النحوي عند العرب، وأعشق الدراسات النحوية، والنظر فيها عبر تأريخها الحافل بالانتاج منذ نشأة النحو، وذلك على الرغم من أن الأوّلين قد استوفوا البحث في علم النحو فاستوى على أيديهم . وكان من المحفزات أيضاً ما شهدْته وأشهده كثيراً من زُهدٍ مستشرٍ عن الخوض في دراسة علم النحو بين الدراسين والمتعلمين ، الأمر الذي يعزّز اعتقاداً سائداً بأنّ علم النحو قد اكتمل صرحه ومن ثمَّ لا حاجة له في المزيد من البنيان. وهو اعتقاد باطل؛ لأن النحو قد صاحبته ولا تزال تصحبة مشاكل لا يمكن تجاهلها ، وهي مشاكل متجددة بتجدد حاجة الإنسان مع بزوغ كل شمس إلى لغته كتأريخ أمته. فضلاً عن أنني كنت كذلك قد آنست في فكر ابن هشام من خلال مؤلفاته عدّة مزايا عبّرت عن عناية فائقة بالنحو من خلال القرآن، صوناً للعربية وتحفيزاً لتعلّمه والإقبال

عليه، الأمر الذي أميل إليه وأحدب، وهو ما دفع لتتبع هذه الخصائص من خلال دراسة التطور في كتب ابن هشام .

*** أهداف البحث :**

*– الاسهام في المحافظة على التراث العربي والإسلامي ،

– عرض واستخلاص حقائق علمية حول ابن هشام – أحسب أنها لاتزال مطمورة أو شبه مطمورة في بطون الكتب وتضاعيف المتون ، لتمكين الباحثين منها .

– وتأكيد عناية ابن هشام الفائقة بالنحو لأجل سلامة اللغة وسلاستها، مع صحة الإعراب وفاعليته، من خلال القرآن الكريم وقراءاته والحديث النبوي الشريف مطلقاً ، والشعر الصحيح الفصيح أيّاً كان، هادفاً إلى كل ما من شأنه تقريب اللغة الفصحى من الأذهان ، وتأليف الأذواق حول العربية، في حرية تقيم العدل التام، والفهم السليم مكان التعصّب والتعسف العقيم .

– وتأكيد محاولات ابن هشام لتيسير القواعد النحوية من خلال مواقفه وآرائه، مع التنبيه إلى القيمة الفكرية لعرضه النحوي من موقع متعلم مستفسر، لا كعالم متبحر، معبراً عما يشغل بال المتعلم البسيط ويثير تساؤله في قضايا النحو من خلال الكلام العربي الذي يألفه ويمارسه .

– وتأكيد إسهامات ابن هشام بطريقتة التي تسير على قاعدة أنّ " معرفة الداء خير من الوقاية منه" وذلك في ظل استصعاب الناس لمسائل النحو وتفاقم نفورهم من تعلمه، من خلال اعتراضاته المشهورة على المعربين. وتنقيته المتواصلة للآراء ، ومحاكماته الدقيقة للمذاهب .

–والتنبيه إلى ما ينبغي الاقتداء به من أسلوبه التعليمي المرن في إطار التصنيف في النحو باعتباره تطوّراً هو ردة فعل لما ساد من تراجع في الاهتمام بعلم النحو بين الدارسين. مع التنبيه كذلك إلى ما يبدو في أساليب عرضه المتنوعة من مظاهر المكافحة لصعوبات الاستيعاب، وهي صعوبات أدت بدورها إلى غياب الحافز ومن ثَمَّ عدم تفهم الناس لإهمية النحو والإعراب على المستوى الفصيح قراءةً وكتابةً وفهماً ،

*** الدراسات السابقة.**

في العصر الحديث كان من أهم الدراسات التي تناولت ابن هشام ما يلي :

– بحث بعنوان – تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري، لحسن موسى الشاعر . وهي دراسة جامعية تركزت حول آراء ابن هشام وتطورها.

– وقدم عبد الحميد السيد من جامعة البحرين في كتيب من دراسة جامعية في اعتراضات ابن هشام على المعربين.

وهناك جملة من الرسائل الجامعية دارت حول ابن هشام ، قُدِّمتْ بجامعة أم درمان الإسلامية **منها :** –بحث بعنوان : " استدراكات الدّسوقي على ابن هشام الأنصاري من خلال حاشيته على مغني اللبيب ". وهو رسالة دكتوراه – قدمها : محمد خالد عبد الرحمن (سنة ٢٠٠٥م) .

–وبحث بعنوان : " الأمير النحوي من خلال حاشيته على كتاب مغني اللبيب ، لابن هشام الأنصاري، "دراسة تحليلية" . وهو رسالة دكتوراه ، تقدم بها : على الريح جلال الدين (سنة ٢٠٠٦م

- ورسالة ماجستير بعنوان : منهج ابن هشام في الاستشهاد " دراسة نحوية صرفية تحليلية" قدمها : متوكل التجاني (سنة ٢٠٠٥)
- ورسالة ماجستير بعنوان : استدركات ابن هشام على ابن مالك من خلال أوضح المسالك على ألفية ابن مالك . قدمها: محمد نور بخيت (سنة ٢٠٠٨م)

ولا يخفى أن كل تلك الدراسات السابقة والتالية – رغم أنها قد تشابهت وتطابقت أحياناً في موضوعاتها ومناهجها ، فإنها قد تمايزت كذلك في خططها وأهدافها وأساليب عرضها ، شأن هذا البحث الذي أقدمه في تطور الفكر النحوي عند ابن هشام .

*** مشكلة البحث :**

أما المشاكل التي عرضت لهذا البحث فهي لا تكاد تذكر، ولا تتجاوز بعض الأمور الثانوية من البحث، كغياب التسلسل التأريخي للكتب التي ألفها ابن هشام ، . وكالإبهام في ترجمة بعض شيوخه ، كابن السّرّاج خاصّة ، الذي أجد ما يشبه التناقض في بعض التفاصيل من ترجمته مع شيئ من حياة ابن هشام، وكبعض التناقضات فيما روته المصادر حول أخلاق ابن هشام وصفاته وآرائه وقد عقبّت عليها من خلال البحث .

*** هيكل البحث :**

تكوّن هذا البحث من مقدمة وتسعة فصول، تضمنت مباحث متفاوتة وملحقات توضيحية كما يلي .

- **الفصل الأول** : بعنوان (ابن هشام حياته وثقافته) وقد دار حول شخصية ابن هشام الخلقية والعلمية الثقافية ، مع ما اقتضاه ذلك من تحليل الملامح والسمات الشخصية ،والثقافية ، ومن عرض للشيوخ والتلاميذ ، وتحليل لآثاره العلمية وأصوله ومصادره النحوية ، خاتما بوفاته . وهو في خمسة مباحث هي .
- – المبحث الأول، في : ابن هشام، وتضمن ، نسبه، كنيته، لقبه، انتسابه، ولادته، عصره، شيوخه، أخلاقه وصفاته.
- المبحث الثاني: في : وقفة مع الآراء حول أخلاق ابن هشام وصفاته، وتعرض لآراء المؤرخين ، والتقييم لها،
- المبحث الثالث : في : ثقافة ابن هشام ومكانته العلمية. وتناول تنوع ثقافته ، ومكانته العلمية، وتلاميذه.
- المبحث الرابع : في –آثار ابن هشام من الكتب والبحوث والرسائل. وقد تناول : كتب ومؤلفات نحوية عامة لابن هشام ، وكتب له نحوية أشبه بالرسائل ، وبحوث علمية .
- المبحث الخامس : في أصول ابن هشام وشواهده _ وفيه : الشواهد والأدلة ، ووقفة مع أخطاء في بعض شواهد جاءت في كتبه .

*** الفصل الثاني** : وهو بعنوان – كتب ابن هشام الأربعة المشهورة، دراسة وتحليل_ وخصصته بدراسة وتحليل كتبه الأربعة المشهورة، وتم ذلك أولاً إجمالاً، بوصفٍ للمنهج العام فيها، وثانياً تفصيلاً، بتحليل شامل عكس ما تضمنته جهود ابن هشام الفكرية في النحو والتصنيف من تدرّج وتكامل في كلٍّ من – قطر الندى وبل الصدى وشرحه – كتاب شذور الذهب وشرحه – كتاب أوضح المسالك أو التوضيح . كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام .

*** الفصل الثالث: بعنوان :** مفاهيم في الفكر والتطور – وكان عبارة عن إجراء لا بدّ منه تمهيداً لما سيأتي حول تطور الفكر النحوي عند ابن هشام ، ويقضي بالبحث في تأريخ كل من الفكر والتطور والأدوات والأساليب لكل منهما، والنظر في روابطهما بالقرآن وبفكر ابن هشام ..

وهو مبحثان : الأول : في الفكر، معناه وتأريخه، والإسلام وأساليب الفكر، وتحليل (فكَرَ) مع الدعوة لإعمال الخاطر في القرآن ،وابن هشام والفكر القرآني

والثاني في التطور _ معناه وتأريخه ، وطرق التطور في الفكر النحوي وأساليب التطور في النحو .

***الفصل الرابع** : بعنوان – ابن هشام بين مدارس النحو وأطواره – وقد دار حول تحديد موقع ابن هشام منها، باستعراض تلك المدارس والأطوار التي تمثل النحو في تطوره عبر جهود أربعة أطوار من الأعلام، مع الإشارة إلى البداية الحقيقية للنحو بكتاب سيبويه، والخاتمة الفعلية بمغني ابن هشام ، باعتبارهما بناءين فكريين نحويين بلغا في التصنيف بالنحو قمماً مرموقة .

وهو في ثلاثة مباحث، الأول – في –مدارس النحو – والثاني في أطوار النحو . والثالث في – ابن هشام مع طور التصنيف والبسط .

* **الفصل الخامس**– بعنوان: النحو والمستويات الفصيحة : القرآن والشعر والعربية – وهو عبارة عن وقفة مع النحو في المستويات الفصيحة، لأهمية أن نتعرّف غايات ومزايا العربية الفصحى، للبحث فيما بعدها من خطوات التطور لابن هشام . . وهو من ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : النحو والقرآن – المبحث الثاني – النحو والشعر – المبحث الثالث – النحو والعربية .

- **الفصل السادس:** بعنوان – اتجاهات تطور الفكر النحوي عند ابن هشام في الآراء والمواقف– ويمثل مع الفصل التالي له صلب البحث، ويتركز في ذكر اتجاهات التطور الفكري عند ابن هشام. من خلال تحليل الآراء والمواقف النحوية لابن هشام، خاصة مع الجوهري، ثم ذكر. وهو في مبحثين هما :

المبحث الأول، في الآراء – االآراء المتفردة – والترجيح والموازنة بين الآراء –مواجهة الرأي بالرأي .

المبحث الثاني في– المواقف – بين البصريين والكوفيين من مواقف المناقشة والترجيح – من مواقف التأييد من مواقف النقد والمعارضة – مع المعاصرين، أبو حيان والجدل العلمي .

- **الفصل السابع** : بعنوان – مظاهر تطور الفكر النحوي عند ابن هشام – وقد تعرض لمظاهر هذا التطور، وتضمّن كسابقه عرضاً لصُوَرٍ ونماذج من جهود ابن هشام النحوية مع نصوص القرآن والحديث والشعر،تحليلاً واحصاءً، بحيث تتكامل الاتجاهات السابقة مع المظاهراللاحقة في إبراز الفكر المتطور لابن هشام. .وذلك في أربعة مباحث هي :

المبحث الأول في – **القرآن** ونماذج من مظاهر التعدي . المبحث الثاني، –مع الحديث ونماذج من مظاهر التعدي ،المبحث الثالث– الشعر ونماذج من مظاهر التعدي . المبحث الرابع – ابن هشام ومظاهر التدرّج والتحول والانتقال .

- **الفصل الثامن** : وهو بعنوان ابن هشام ومحاولات التيسير قديماً وحديثاً ، تعرضّتُ فيه لصيحات الشكوى من عسر النحو قديماً وحديثاً، وظهورها في صورة التذمر أولاً ، ثم تطورها عبر العصور إلى صور من محاولات للتيسير النظري ، فالعملي الوصفي، ثم العلمي الحديث . مع التركيز على إبراز ابن هشام في تيسيره النظري والعملي من خلال مؤلفاته، الأمر الذي تطلب التعرّض لنماذج من الأساليب التيسيرية الحديثة، وبيان سلبياتها وإيجابياتها. ومباحث هذا الفصل ستة كما يلي :

الأول – محاولات التيسير قديمًا – مواقف ودعوات.

الثاني – محاولات التيسير الحديث .

الثالث– المحاولات العملية الحديثة .

الرابع– نموذج – التيسير في كتاب تجديد النحو.

الخامس– محاولات التيسير العلمية .

السادس – ابن هشام في ضوء المحاولات السابقة واللاحقة.

- **الفصل التاسع** : بعنوان – ابن هشام والحركة النحوية الحديثة المعاصرة– وهو خاتمة فصول هذا البحث وقد تركزت مباحثه الثلاثة في : المقاربة بين فكر ابن هشام والنظريات الحديثة المعاصرة في العربية والتعليم. وهو استرسال استدعته ضرورة تمييز فكر ابن هشام باستمراريته في الأجيال اللاحقة الحديثة، من خلال نظريات تردّدتْ في المعاصرين،:
- في المبحث الأول، النظرية التحويلية، التي تلتقي في بعض أفكارها مع اعتراضات ابن هشام على المعربين.
- وفي المبحث الثاني، ابن هشام والطريقة التكاملية،
- وفي المبحث الثالث، أساليب العرض النحوي والتعليمي الميسر التي نادى بها المعاصرين.

ولا يخفى أنّ كل ذلك قد تطلب اتخاذ المنهج الوصفي التقريري في هذا البحث.

*** مصادر البحث :**

لقد تعدّدت مصادر هذا البحث لتعدّد الباحثين والدارسين لابن هشام، ولاشتهاره الواسع في الأولين والآخرين ، وهي تتطابق وتتفق في تفاصيلها حول أفكاره وشخصيته العلمية إلا قليلاً . وأهم تلك المصادر : كتب ابن هشام الأربعة المشهورة التي توفّرت على النصيب الأوفى من مدار البحث :

وهي : شرح قطر الندى ، وشرح شذور الذهب ، و التوضيح ،أو : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . ومغني اللبيب .

– ومن بين المصادرما توفّر لي وطالته يدي من مؤلفات ابن هشام الأخرى ، كشرح قصيدة البردة ، ومختصر الإعراب عن قواعد الإعراب . أو مما وقعت على نُتَفٍ منه ضمن كتب لبعض المؤلفين، كالأشباه والنظائر للسيوطي ، وحاشية المغني للأمير. والتصريح على التوضيح للشيخ خالد .

– ومن المراجع القديمة : كتب التراجم ، ومنها : بغية الوعاة للسيوطي، والبدرالطالع للشوكاني، والضوء اللامع للسخاوي، والدرر الكامنة للعسقلاني ، والمستدرك – معجم المؤلفين لرضا كحالة . والأعلام للزركلي . وفي المعاجم : لسان العرب لابن منظور ، و مختار الصحاح للرازي . ومعجم متن اللغة لعلي رضا . وصحاح الجوهري .ومن المصادرالمهمة : الاقتراح في أصول النحو للسيوطي ، وإيضاح العلل للزجاجي ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي . والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري .

– ومن المراجع الحديثة : تطور الآراء النحوية لابن هشام الأنصاري، لحسن موسى، ونشأة النحو، لمحمد الطنطاوي، ونشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة والبصرة، لطلال علامة. والدراسات اللغوية عند العرب، آل يسين. والمدرسة النحوية في مصر والشام .لعبد العال . دروس في المذاهب النحوية لعبده الراجحي . أصل الإنسان ، باسمة كيال . التفكير العلمي فؤاد زكريا . وقضايا معاصرة لمحمد عيد . والفكر النحوي عند العرب لعلي مزهر . مع العلم بأنني اضطررت مراراً لاستخدام نسختين، من طبعتين مختلفتين للمصدر الواحد ، مع العناية بتوثيق الكتاب أوبالإشارة إلى موضع النقل بذكرعنوان الفصل بالهوامش . وعموماً، المصادر– قديمة وحديثة . مرفق سردُها ضمن الفهرس العام في ذيل البحث ، بعد خاتمة بأهم نتائج البحث . يليها الفهرس العام ويشمل:

– فهرس لآيات القرآن الكريم الواردة في البحث على ترتيب المصحف – وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة الواردة وفق ترتيبها في البحث .– وفهرس للأشعار على ترتيب القافية .– وفهرس الأعلام الواردة في البحث على ترتيب حروف المعجم – وفهرس المصادر والمراجع وفق المعجم. – وفهرس للموضوعات .

والله تعالى أسأل المغفرة في الزلل والثواب في العمل، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

التمهيد

- أصل التسمية بالنحو وتأريخه
- العلاقة بين النحو والصرف وأولية الوضع
- مفهوم اللحن وأسبابه وأضراره
- شيوع صناعة النحو بين القدماء
- مجالس النحو وحوافزه

تمهيـد

للوقوف على ظواهر الفكر النحوي وتطوّره عند ابن هشام ينبغي الاطلاع على جملة من المفاهيم المتعلقة بالنحو، باعتباره المادة التي يقوم عليها هذا الفكر، والموضوع الذي نبحث من خلاله حركة التطور. ومن هنا يأتي الاهتمام بملاحظة الملامح المميّزة للنحو ،كعلم نشأ وله تأريخه وضوابطه وارتباطاته بغيره من المعارف. وملاحظة النحو باعتباره صُنعة مارسها الأوّلون، وصاحبتها ظروف وعوامل دينية واجتماعية وسياسية. والتعرض لكل أولئك من الأهمية بمكان في فهم طبيعة هذا التطوّر الذي نستهدفه في الفكر النحوي عموماً، وفي فكر ابن هشام بوجه خاص.

والمفاهيم التي لابدّ من التطرق إليها على محورين :

– محور يتعلّق بالنحو واللحن من حيث التسمية والتأريخ والشيوع والآثار.

– ومحور يتعلّق بصناعة النحو وحوافزه ومجالسه، مع ما صاحب ذلك من تعقيد أوتيسير.

وهي قضايا لا مفرّ من معرفة دواعيها وآثارها بشكل عام ضمن هذا التمهيد .

* محور النحو واللحن

(أ) –النحو أصل تسمية وتأريخه :

إن فنَّ النحو يُقصد به تلك القواعد المعروفة في مسائل الإعراب والبناء دون تصريف الكلمة . كما أن تلك القواعد هي أول ما يتبادر على الأذهان مع إطلاق كلمة (العربية) ، بصرف النظر عن فنون أخرى عديدة تشتمل عليها هذه الكلمة.

أما من حيث أصل استخدام مصطلح (نحو) في تلك القواعد فإن ذلك يرجع إلى ما رُوي من أنّ الإمام علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – كان قد دفع إلى أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) (التعليقة) وفيها تصويباته وتعليقاته على ما سمعه من أفواه الناس بالبصرة من اللحن في قراءة القرآن الكريم قائلا له : " ضَعْ ما هو على غرارها وانحُ هذا المنحى "[١] أي واقصد مقصد ما في الصحيفة ، وليس فيها حينئذٍ إلا شيء من تلك القواعد ، ولهذا سُمِّي كل إجراء تعلق فيما بعد بإعراب الكلمة أو تصريفها نحوًا .

ولا تغيب هذه الصلة بين المدلول اللغوي لهذه الكلمة (بمعنى القصد أو الطريق) وبين المعنى الاصطلاحي لها في صنع الإمام ، ففي لسان العرب لابن منظور نجد مثل هذا الربط ، يقول نقلا من

[١] الدراسات اللغوية عندالعرب إلى نهاية القرن الثالث – د.محمد حسين آل يسين– ص ٦٠ – مكتبة الحياة ط١٩٨٠

خصائص ابن جني : " النحو (القصد) الطريق . ويكون ظرفا ، ويكون اسما – نحا – ينحو وانتحاه . ونحـوُ العربيـة إنمـا هـو : " ...انتحـاء سـمت كـلام العـرب فـي تصـرفه مـن إعـراب وغيـره (ويضيف).. " ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها .وإنْ لم يكن منهم ، أو إنْ شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها " . ونحو ذلك أيضاً في معظم المعاجم (١) . وفي تقييد النحو (بنحو العربية) إشارة إلى نحو لغير العرب في اليونان خاصة . ولعلّ لهذا السبب وَهَمَ البعضُ الذين أرجعوا تأريخ استخدام كلمة (نحو) في القواعد العربية إلى ما قبل عهد الإمام علي وأبي الأسود وتحديدًا إلى لغة اليونان .

فقد جاء في لسان العرب : " أنه ثبت عن أهل اليونان – فيما يذكر المترجمون والعارفون بلسانهم ولغتهم – أنهم يسمُّون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحواً ، ويقولون : كان فلان من النّحوِيّين . ولذلك سُمِّي يوحَنّا السكندري بيحيى النّحوي، للذي قد حصل له من المعرفة بلغة اليونان(٢).

وفي معجم (متن اللغة) : " النحو علم العربية، الجمع نُحُوٌّ ؛ لأنه ينحو سمت كلام العرب . وعرفه اليونان بهذا الاسم"[٣].

ومصدر الإيهام يكمن في غياب وضوح التشابه الحاصل في استخدام كلمة (النحو) عند العرب واليونان ، فإنّ ذلك ليس إلا تشابها توفيقيا وقع في استخدام مدلول الكلمة في اللغتين ، إذ صادف أن اليونان اصطلحوا لعلم الألفاظ والعناية بالبحث عنه في لغتهم على اسم يعني (القصد والمنحى grammar) بينما ثبت بالتواتر أنّ الإمام علي استخدم كلمة نحو (عربية) في كلام العرب ، كما استخدم اليونان في كلامهم كلمة لنفس الفعل . وبناء على هذا فليس استخدام كلمة (النحو) العربية أخذاً مباشرًا للمعنى في الكلام والاستعمال عند اليونان، بقدر ما هو تشابهاً توفيقياً كما ذكرت .

كذلك لا عبرة بما أستنتجه البعض : من أنّ إصطلاح كلمة (النحو) لا يمكن أن يكون إلا بعد عهد الإمام وأبي الأسود ، وفي عصر الترجمة ودخول المنطق والفلسفة ، وأنّ ماكان قبل ذلك من قواعد ماهو إلا ملاحظات يسيرة لا ترقى إلى مستوى النحو الذي عُرف مُنذُ سيبويه وطبقته ، مع ما شابهُ من أثر الفلسفة والمنطق الأرسطي ، فيماعُرف من تقسيم اللفظ الى أسم ، وفعل ، وحرف . وإلى مضمر ومظهر ، ونحو ذلك مما شاع في النحو . وما شاع قبل ذلك في قضايا الفقه وعلم الكلام .

---

١ - لسان العرب – لابن منظور مادة (نحا)١٥ ص/٣٠٩- ٣١٠ - مطبعة بولاق . / ومعجم متن اللغة– أحمد رضا –ج ٤/ص٥١٩ – دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٥٨

٢ - لسان العرب – ابن منظور – مادة (نحا)ج١٥ص/٣٠٩- ٣١٠

٣ -معجم متن اللغة – أحمد رضا - مادة (نحا)–ج ٤ص/٥١٩

ولا عبرة بهذا الاستنتاج الذي لا ينفي اطلاق كلمة نحو على الملاحظة أو مادونها في بحث الألفاظ ، فضلاً عن أنه لا يسقط ماثبت بالتواتر من إسناد تسمية (النحو) إلى علي بن أبي طالب، على نحو ما فصّلنا .

والنحو من: (نحا ينحو) الذي هو بمعنى القصد إلى سمت كلام العرب – مصطلح ارتبط بالعلم المعروف ، من فعل الإمام علي– كرم الله وجهه – وأنه لا علاقة للغة اليونان باللغة العربية في شأن مصطلح النحو إلامن حيث التشابه في المقاصد . وأن النحو تأثر تأثراً واضحاً بالعلوم المترجمة في تعريفاته وتصريفاته وحدوده . وذلك لا يلغي إفادته من تلك الترجم في بعض من صوره .

العلاقة بين النحو والصرف :

تتعدد ضوابط تعريف كل من النحو والصرف في كتب اللغة، ولا تختلف تلك الضوابط في مضامينها من كتاب لآخر.

فالنحو لدى البعض : " علم بأصول تُعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء ، أي ، من حيث ما يعرض لها حال تركيبها " (١). أو هو " علم من علوم العربية تعرف به أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، أي من حيث ما يعرض لها حال تركيبها وعلاقتها بغيرها من الكلمات"[٢]

وقالوا في تعريف الصرف : هو " علم بأصول تعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء " (٣) أو هو : علم من علوم العربية يبحث عن بنية الكلمة ، من حيث تكوينها وتحويلها إلى أصول مختلفة ، دون علاقتها بغيرها في الكلام " (٤).

والعلماء في ضوء هذه التعريفات وغيرها على : أنهما – النحو والصرف – علم واحد، من حيث أنه يجمعهما الاختصاص بالكلمة العربية، إذ يهتم النحو بالحركات في آخر الكلمة (الإعراب والبناء) ويختص الصرف ببنيتها ، وضوابط ما ينشأ من تصريفها من الصيغ والأشكال .

ولهذا أيضاً جمع ابن جني النحو والصرف في تعريف واحد حين قال:

" ... ونحو العربية إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع وكالتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك ..." (٥) .

فالنحو– إذاً وفق هذا القول– ، شامل لـ (الإعراب) وهو القواعد النحوية ، ولغيره ، وهو قواعد الصرف ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك، مما يختصّ بالبنية من فنون الصرف .

---

[١] – جامع الدروس العربية / الشيخ - مصطفى الغلاييني ص١١ –المكتبة العصرية ط١٩٩٥م

[٢] - المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها- على رضا – ج١-ص٨ - ط ٤ – دار الشرق العربي –بيروت لبنان .

[٣] – جامع الدروس - مصطفى الغلاييني ص١٢

[٤] -- المرجع في اللغة – ص ج١ ص٩

[٥] - الدراسات اللغوية عندالعرب / ص ٦٠ .

وبينما يتميّز النحو بأنه : ضبط لأواخر الكلمات في التراكيب مع ما يؤديه ذلك من المعنى،فإن الصرف هو في المقام الأول، لضبط بنية اللفظ وصياغته، مع ما يتبع ذلك في الغالب من التأثير في المعاني. فكلمة مثل: (الكتابة) التي هي مصدر دال على حدث ، عندما يصاغ جذرها على نحو : (كتب – يكتب – اكتب) يصبح الزمن جزءاً من معناها . وبصوغها على (كاتب) و (مكتوب) تدل مع الحدث على فاعله ومفعوله. وكذلك نجد فرقاً بين (ضَرَبَ) بالبناء للمعلوم و(ضُرِبَ) بالبناء للمجهول في الدلالة. باعتبار أن ذلك من الصرف. ونحوذلك في دلالات التفضيل ، ومعاني التصغير والنسب ، حسب ما تصاغ له الكلمة . فلكل تغيير في بنية الكلمة تأثيره في معناها .

ويتناقل النحاة عبارة : " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " . ونقل ذلك ابن هشام عن البصريين . وأنكر اطراده في بعض الكلمات فقال : " وكأنهم نظروا إلى أنّ كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى، وليس ذلك بمطّرد .([1]) . ويعني أنه غير مطرّد في بعض الألفاظ نحو: (لسوف) التي كانت موضوع مناقشته للبصريين كما يأتي، وإن اطرد في غيرها.

وبما أنّ أثر النحو لا يتحقق في الكلمة قبل تركيبها ، فإن الصرف يُعدُّ سابقا للنحو إليها ؛ إذ الاهتمام ببنية الكلمة – الذي هو مهمة صرفية – يأتي قبل العناية بتركيبها في جملة . ولهذا جرى تعريف النحو لدى نحاة الطور الثاني والثالث من أطوار النحو ، بأنه : " علم يعرف به أصول الكلم العربية إفراداً وتركيباً " ([2])

والصرف – وإن بدا محدوداً في مسائله وأبوابه – فقواعده أوسع من قواعد النحوانتشاراً واستعمالاً في الكلام الجاري على الألسن. وحسب ابن جني : " لولا الإعراب كان الصرف معظم النحو " (٣) أي إذا كانت الكلمة تتخذ من أصلها أشكالاً عديدة مع الاشتقاق الصرفي فتحمل كل كلمة ملمحاً صرفياً، فإن قواعد النحو هي الأخرى تشيع في الكلمات بما يعرض لكل كلمة من أحكام الإعراب الطارئة بعوامل التركيب ومؤثراته، فتبدو القواعد النحوية أوسع تطرقاً للكلمة، هذا فضلاً عن أحكام كثيرة أخرى يدور بها الإعراب في فلك الكلمة المعربة بين جدل النحاة .

وقد جرى العرف على تسمية الصرف نحوًا ، باعتبار أن النحو والصرف جزآن متحدان يكملان بعضهما البعض في معالجة الكلمة العربية . ولم يتميز النحو عن الصرف تماماً في تصانيف النحاة البصريين إلا لاحقاً. بدءاً من " سيبويه "الذي أخرج مؤلفه (الكتاب) مُصَدَّرًا بالنحو الخالص ومختتمًا بالصرف في آخره . وقد ساد بين النحاة طويلاً مفهومٌ مؤدّاهُ : " ما من كتاب نحو إلا والتصريف في ذيله " (٤) ، وإن كان بعض المصنفين قد استمر في إخراج مؤلفات في الصرف خاصة كما في (شافية ابن الحاجب في التصريف) ، التي شرحها الإمام الزمخشري ، وغيره . وكذلك فعل بعض المعاصرين في

---

[1] - الأشباه والنظائر – السيوطي ص٢١٩/٢- مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيد آباد ١٣٥٩م

[2] - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – محمد الطنطاوي – ص ٣١ دار العارف – مصر . الطبعة الثانية – والخامسة - ١٩٧٣

[3] - الخصائص – أبو الفتح ابن جني – باب غلبة الزائد على الأصلي –تحقيق على النجار ط دار صادر – بيروت لبنان .

[4] - شرح ابن عقيل على الألفية - عبد الله بن عقيل - الهامش ص٢٣. ج ٣-٤ -تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – ا .- النشر دار التراث القاهرة – دار مصر للطباعة ، الطبعة ٢٠ – ١٩٨٠م .

إعداد الكتب نحوية خالصة أو صرفية خالصة في كتابين أو جزءين متتاليين (كفعل سيبويه) ، أو كلما اقتضت الضرورة التعليمية ذلك . ويُذكر أنّ أول تصانيف الكوفيين على يد شيخ طبقتهم الأولى الرؤاسي : كان كتاباً باسم " الفيصل" في الصرف خالصاً ، وأنّ الكوفيين تفوّقوا على نظرائهم البصريين في هذا الفن .([1]) كما تفوق البصريين على الكوفيين في النحو . ومهما أمكن فصل الصرف عن النحو ، وتجريدهما على وجه تخصصي أوتعليمي وتدريبي ، فإنه من المستبعد أو المستحيل الفصل بينهما في التطبيق ؛ فلقد جاءت تفاسير القرآن الكريم وشروحات الأحاديث والأشعار في كتب القدماء ، يواكب فيها النحو والصرف في توضيح المعاني وتفسير التراكيب .

مثال ذلك : في تفسير النسفي لقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)([2]) : " أمدًا : غاية ، وأحصى فعل ماض ، وأمد ظرف لأحصى ، أو مفعول به . والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو ،أي المبتدأ مع خبره سدَّ مسد مفعولي نعلم . والمعنى : أيهم ضبط أمدًا لإحصاء لُبْسهم . ومن قال : أحصى أفعل من الإحصاء، وهو العَدُ ، فقد زلّ ؛ لأن بناؤه من غير الثلاثي ليس بقياس .(٣)

وجاء في " تفسير القرآن العظيم لابن كثير " تحت قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدِ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)([4]) قوله :

" قال بعض المفسرين : الباء زائدة كقوله (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ)([5]) أي تنبت الدُّهْن ، وكذا قوله : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلحَادٍ) . الأجود ، إنه ضمن الفعل ههنا معنى بهم ، ولهذا عداه بالباء فقال (ومَنْ يُرِدْ فيْهِ بإلْحادٍ) أي يهم به بأمر فظيع من المعاصي الكبار"(٦.) أنتهى . والتعدية بزيادة الباب هنا من قوانين الصرف .

كما يشتركان جنباً إلى جنب في الإعراب ، عند البعض من علماء التفسرين الذين أعربوا القرآن . جاء في الإعراب الكامل لعبد الجواد تحت قوله تعالى : (قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ)[7] : (قُلْ) فعل أمر مبني على السكون عند البصريين ، مجزوم بها عند الكوفيين ، والأول السائد، وهذا الفعل ماضيه (قال) الأجوف ، محذوفة عينه الساكنة عندما سكنت

---

[1] - نشأة النحو –ص ٢٨ وما بعدها – وراجع ص ١١٥من هذا البحث
[2] - الكهف –(١٢)
[3] - تفسير النسفي – أبو البركات عبد الله النسفي – ج٥ ص/٣ – مكتبة ومطبعة –محمدعلي صبحي-ميدان الأزهر- ١٩٦٧م
[4] - الحج(٢٥)
[5] - المؤمنون(٢٠)
[6] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير –ج ١ص٥٣٨ مطبعة دار الشعب
[7] - آل عمران (٩٥)

لامه – بالبناء للأمر – حتى لا يلتقي ساكنان ، ففيه إعلال بالحذف . والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ... " ([1])

وهكذا يتداول الصرف مع الإعراب كثيراً في تفاسير آيات القرآن الكريم في كتب التفاسير.

أولية الوضع :

أفاض العلماء والدارسون المعاصرون في البحث عن تحديد أول من وضع النحو، وتردّدوا بين كل من: الإمام علي بن طالب ، وأبي الأسود الدؤلي ، ومن ذُكر معهم : كعيسى بن عَمرو الثقفي(١٤٩هـ) وعبد الله بن أبي إسحق الحَضْرمي(١١٧هـ) ، وعَنْبسة بن مَعْدان الفيل(١٠٠هـ) وأبي عَمرو بن العلاء(١٥٤هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ). ولكل من هؤلاء دور مميز لا ينكر في تصديهم لوضع أولى ملامح قواعد النحو العربي وعلوم العربية دون تأثر بعلوم أو بفلسفات دخيلة ، وإنما من دافع نابع من معتقدهم في دينهم وقرآنهم الكريم ، من سليقة لغوية أصيلة ، ومن إيمان باللغة العربية ومكانتها بين اللغات التي عرفوها ، تلك اللغة التي اختارها الله لتنزيله.

لقد عاش هؤلاء النفر الرواد بهذا الايمان في عصر واحد ، وتحت ظرف واحد ، وظهرت أول ما ظهرت على أيديهم أعمال النحو بمناهج متباينة ، ومن جوانب يجمعها – وإن تفاوتت – مسمى قواعد النحو والصرف .

وأرى على ضوء هذا الواقع : أن محاولة تحديد الأولية هنا – بالإضافة الى كونه عملاً لايضيف جديداً – فالمنطق يقتضي أن يُمنح كلٌّ من هؤلاء العلماء نصيباً متساوياً من فضل السبق؛ لكونهم جميعاً وتحت ظرفهم الراهن ، قد اصطدموا في عصرهم باللحن الذي شاع في أيامهم في آن واحد ومتقارب ، ومن ثم تكوّنت لديهم الملاحظات – وإن اختلفوا في التوقيت ، ما بين مَن أخرجها مشافهة ، ومَن حررها كتابة أو أيّدها بشكل أو بآخر، وبين من أبطنها ووافق غيره فيما أخرجه منها وفقاً للظروف والأوضاع . وخير مثال على ذلك أنّ الأمام علي – وهو المنشغل بأمور الخلافة – كان من المتوقع أن يعهد إلى عامله– أبي الأسود ، الجاهز قطعاً بشعوره ، والمتفهم لمقصد إمامه ، لأنه يعيش ذلك الواقع – وهو الذي سمع بعضهم يلحن في آية التوبة فقال ماقال ، يعهد إليه أن ينوب عنه بوضع ملاحظاتهما معًا في قواعد يتعلّمها الناس . ونحن نقول في العادة : أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديوان الجند ، وأنشأ عبد الملك بن مروان ديوان الإنشاء وأنه أول من صك العملة الإسلامية . والواقع يؤكد أنهما أمرا فقط بذلك ، وقام بالأمر نيابة عنهما آخرون لا بدّ أنهم قبل ذلك من المشتركين ، أو بعضهم في هذا الأمر أوفي تحديد ضرورته وفكرته ، أسهموا في رسم معالمه كمستشارين وعلماء . فكان لهم من فضل الأولية مقدار ما لصاحب الأمرالذي نُسب إليه ذلك الفضل .

---

[1] - الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم – للدكتور عبد الجواد الطيب – الجزء الرابع ص١٢ – حزب٧ – مكتبة الآداب – ميدان االأوبرا – الأزهر – الطبعة الأولى – ١٩٩١٩ .

(ب) اللحن، مفهومه وشيوعه وإخلاله وأمثلة له :

إن اللّحْن في الكلام يمكن ضبطه بأنه : خطأ لسانيّ ، أو مخالفة لغوية تتمثل في خروج اللفظ عن قواعد النحو والصرف ، أي عن الأسس العامة المتعارف عليها في الكلام ، من إعراب وبناء وتصريف وأشتقاق . وهو ظاهرة لازمت العربية منذ نشأتها وتفاوتت ضعفاً وقوة بتفاوت العصور ، واختلاف الألسن واللهجات بين الجاهلية والأسلام . هذا ، ولا يخرج هذا المفهوم عما جاء في صحاح الجوهري ، ولسان العرب أيضاً .

وقد شاع اللحن في الجاهلية، ثم في الإسلام، وخلافاً لمن نفى ذلك ، كان اللحن سائداُ في الجاهلية بنسب أقل ، تؤيد ذلك عدة أدلة :

- منها أن ما اتخذه النحاة شواهد نحوية هو من اللحن الذي وقع في الجاهلية،وتشهد على كثرته كتب النحو، مما نسميه لغة شاذّة أو ضعيفة (أو ضرورة شعرية)
- ومنها : إن كتب السيرة تروي وقوعه من بعض خطباء الوفود الذين وفدوا الى الرسول– صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ، وهم على أول عهدهم بالأسلام ، أي أن الذي جاءوا به من اللحن في كلام خطيبهم ليس وليد الإسلام بل وليد الجاهلية التي لما يغادروها بعد .
- ومنها : مايردده العروضيون كثيراَ في التمثيل للإقواء من قول النابغة : في روي الكسر

" سَقَطَ النَّصِيفُ ولمْ تُرِدْ إسقاطَهُ . فتناولتْهُ واتّقتْنا باليد "

"بمُخضَّبٍ رَخَصٍ كأنَّ بنانَـهُ ..عَنَمٌ يكَادُ من اللَّطافةِ يُعْقدُ "

وذلك بتوهّمه الكسر في (يعقد) ، حتى اذا غنت البيتين الغزالتان ، فمدتا صوتيهما بالضم على الأصل، فطن الى لحنه ، فأعاد صياغته – كما تقول الروايات– على نحو:

" بمُخضَّبٍ رَخَصٍ كأنّ بنانَـهُ * عنَمٌ عَلى أغْصانِه لم يُعْقَدِ "**

ليتحقق له الكسر من التقاء ساكنين ، تماشياً وروى الكسر الذي بنى عليه قصيدته الدالية

- ومنها : ماوقع في مجلس بعكاظ يحكمه النابغة . " رُوي أنّ الخنساء وحسان بن ثابت والأعشى اجتمعوا في عكاظ بحضرة النابغة الذبياني فحكم للخنساء على حسان بعد أن أنشده :

"لنا الجفناتُ الغُرِّ يلمَعْن في الضُّحى * وأسْيافُنا يقْطُرْن مِنْ نجْدَةٍ دمَاَ "

" ولدْنا بني العَنقاء وابنيْ مُحرّقٍ * فأكرِمْ بنا خالاً ، وأكْرِمْ بنا ابنما "

فقال له النابغةُ : " أنت شاعر ولكنّك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك " ([1]) وهو يشير إلى قول حسان : (الجفنات ، أسيافنا) في البيت الأول وقد تضمن إشارةً إلى اللحن باستخدامه جموع القلة (الجفنات – أسيافنا) في مجال الأفتخار ، وكان الأمثل أن يستخدم الكثرة (جفان سيوف) في الفخر . وهو من قبيل توظيف النحو والصرف في تحسين المعنى في اللفظ الذي – وإن لم يكن فيه من اللحن المفسد– فان مجرد طلب تحسينه

[1] - الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه – ص ٥١ – د. علي مزهر الياسري . الدار العربية للموسوعات ط أولى- ٢٠٠٣م

بواسطة النحو والصرف وفق مايتطلبه الذوق الأدبي يجعل منه نوعًا من أنواع اللحن في عرف الأدب .

- ومنها : ما رَوى المرحوم كمال ابراهيم ، من أن الذي يدلّ على اعتبار اللحْن وارداً في الجاهلية ، وأن الزيغ اللساني قد سُمّي لحناً : أن لفظة (اللحن) قد استُعملت في الجاهلية – ولا يوضع لفظ لغير مدلوله ومسماه – فقد ورد في قول لبيد :

(متعودٌ ، لَحِنٌ يعيد بكفه * قلماً على عسَبٍ ذَبُلْنَ ، وبانِ)** ([1])

و(لَحِن) هنا ، بمعنى (فِطن) ، وللكلمة معان كثيرة تستخدم فيها غير (الزيغ) الذي كان أولى أن يكون التمثيل به هنا ولم أجد فيما حضرني من نصوص جاهلية استخداماً لها في المعنى المراد . فليس إذاً إلا إعتبار اللحن بمعناه المقصود معروفاً عند الجاهلية لأنهم عرفوا هذه اللفظة وأستخداماتها كما يقول كمال إبراهيم .[2]

وقد نقل أبو عبيدة عن أبي زيد معاني كلمة اللحن فقال : " لحن الرجل يلحن لحناً إذا تكلم بلغته ، ولحنتَ له لحناً إذا قلت له قولاً يفقهه عنك ويخفى على غيره . ولحنه غني لحناً ، أي فهمه . وألحنته أنا إياه إلحاناً . غيره (أي غير أبي يزيد) : لا حنت الناس فاطنتهم ، ولحن الرجل : أخطأ في الإعراب " [3] إلى هذا المعنى الأخير ذهب الجوهري أيضاً وابن منظور[4] .

تلك كانت أدلة وقوع اللحن –عفواً أو سهواً– في الجاهلية ، إلا أن اللّحن الجاهلي لم يكن يُلتفت إليه في حينه كثير التفات ، لعدم الحاجة الماسة إلى تقويم الألسن التي كانت في غالبيتها تتميز بالفصاحة والسليقة ، ولعدم الدافع المعنوي القوي الذي نشأ بعد ذلك في الإسلام ، وهو الحرص على حفظ وصيانة القرآن الكريم ، وأصول الفصاحة . وبظهورالاسلام ، وامتداده شرقاً وغرباً استُحْدثت عوامل جديدة تدفع إلى مقاومة شيوع اللّحن الذي استهدف القرآن الكريم في المقام الأول لأنه ، " لما ازدادت الفتوحات انتقل الناس الى أطراف الجزيرة وهي مواطن ضعف – ودخل الأعاجم في الأسلام وسكنوا المدن الأسلامية ، لا سيما بعد تأسيس البصرة والكوفة .... فأخذ اللحن ينتشر على نطاق واسع نتيجة هذا الأختلاط وتضخم المجتمع الأسلامي ، ولا سيما في البصرة التي استوطنتها قبائل عربية عدة منها " تميم وقريش ، وأقوام أعجمية مختلفة ، منها : الفرس ، فشاع ... اللحن "([5])

واللحن في القرآن الكريم قد يخل بمقاصد الآيات ويتأثر به تفسير معانيها ، وكذلك في الكلام الفصيح . " لأن بعض وجوه التعبير تختلف معانيها باختلاف الإعراب – كأن – تقول "ما أحسنَ زيدٌ – وما احسنَ زيداً ، وما أحسنَ زيدٍ " برفع ونصب وجر (زيد) على الترتيب ،

---

[1] -تأريخ آداب العرب – كمال ابراهيم –ص ٦٧ . – بيت الشاهد من قصيدة في ديوان لبيد بن أبي ربيعة .
[2] - تأريخ آداب العرب - كمال ابراهيم ج١ ص/٢٣٩-٢٤٠ – المكتبة العربية
[3] - الدراسات اللغوية – ص ٣٤
[4] - الصحاح –اسماعيل بن حماد الجوهري – ج ٦ص/٢١٩٣ – لسان العرب – ابن منظور ج ١٣/ص٣٨٠
[5] – الدراسات اللغوية – ص ٣٢ .

فالمعاني مختلفة ، والألفاظ واحدة – فقولنا ما أحسن زيدٌ بالرفع – نفي للاحسان عنه . وقولنا ما أحسن زيداَ ، بالنصب . تعجب من حسنه ، وقولنا ما أحسن زيدٍ (بالجر) سؤال عن أحسن شيء فيه " ..

" فالإعراب كما نرى – غيّر معني الجملة تغييراً تاماَ ، لهذا نجد أن مما حفز أبا الأسود الدؤلي إلى وضع العربية – في رأي القدماء – سماعه قارئاً يقرأ على قارعة الطريق قوله تعالى (أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ) ([1]) بكسر رسوله . فقال " حاشا لله أن يبرأ من رسوله ماكنت أحسب أن أمر الناس صار الى هذا " . وذلك لما يقتضيه الكسر من العطف على المشركين ومن ثم اشتراكه معه في البراءة منه ، وكان حقه الرفع بالاستئناف . أما النصب عطفاً على لفظ الجلالة . واشتراكه معه في البراءة من المشركين ممكن ، لكنه مُلبس في التركيب ، ولم يقرأ به أحد .

وقد شاع اللحن إلى درجة أنه شمل أبنة أبي ألأسود نفسه ، وهي التي نشأت وعاشت في بيت العلم واالفصاحة ، وقصتها مع قولها : ما أجمل السماء . بضم اللام للاستفهام وهي تريد فتحها للتعجب، قصة مشهورة "([2])

وكان أول ظهور اللحن في الإسلام في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقد رُوِيَ أنّ رجلاً لحن في حضرته ، فقال لمن حوله : " أرشدوا أخاكم فقدضلَّ" فحمل ذلك المفكرين على وضع قواعد لحفظ اللغة من الفساد ، وهي لغة القرآن "([3]). وقد أوضحنا ذلك عند الحديث عن موقف أبي الأسود والإمام علي .

وأول زيغ ظهر على الألسن : تسكين أواخر الكلم هرباً من الإعراب وهي ظاهرة يكثر انتشارها، تُعرف بـ(سكِّنْ تَسْلمْ) ، وبها تنوسي الإعراب ، فتسرب اللحن إلى التلاوة في القرآن الكريم .

وأول ما ظهر بالأمصار من اللّحْن قولهم :(حيِّ على الصَّلاة) بكسر الياء المشدّدة ، وأول لحن سمع بالبادية قولهم : (سقطت عصاتي) ، يريد " عصاي .

وكذلك وقوعه في عهد عمر بن الخطاب ، فقد روي : أنه مر بقوم يتدرّبون على الرمي فأستقبح رميهم ، فقالوا له : " إنَّا قومٌ متعلمين . فرد عليهم بقوله : والله إن لحنكم أشد عليَ من رميكم .."([4]) . يعني : قولهم: متعلمين ، والصواب : متعلمون .

ومما ذكروا أيضا : أن أول لحن عرف في الكتابة والرسائل كان كتاب أبي موسى الأشعري الى الخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– فرد عمر الكتاب ووقع أسفله : أقسم عليكم ألا

---

[1] - التوبة – (٣)

[2] - الدراسات اللغرية – ص ٣٧

[3] - المرجع نفسه ص ٣٦

[4] -– المرجع نفسه –ص٣٦

قنعت كاتبك سوطاً . فلما جاء الكتاب إلى الكاتب وسأل عن خطئه فيه قيل له : ماجاء في عنوانه ، فأصلح عنوانه وأرسله الى الخليفة فقبله .

ومن الأمثلة الشعرية المسوقة على ذلك ، قول الشاعر :

"**إنَّ مَنْ صاد عقعقاً مشوم * كيف من صاد عقعقان وبوم** " (١)

الشاهد اللحن في إعراب (عقعقان) والقياس عقعقين نصباً بالياء

وقول الآخر ، وقدّم له ابن هشام بقوله : " ... قيل أول لحن سمع بالبصرة :

" **لعلَّ لهُ عُذْرٌ وأنت تلوم** " (٢)

والصواب (تلومه)

وقول كعب بن سهم الغنوي :

" **فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرةً * لعلّ أبي المغوار منك قريب** "

الصواب (أبا المغوار)

وعلق عليه ابن هشام : .. بأنه : " ... لغة منسوبة إلى عقيل " (٣)

*****

- **المحور الثاني**

صناعة النحو ومجالسه

أما صناعة النحو فقد شاعت بين القدماء، فانعقدت بينهم مجالسه وتعززت حوافزه، ممااكسب النحو مرونة كبيرة وقابلية واسعة لتعلمه، وتلك مظاهر اختفت فيما بعد بين المتأخرين .

فقد تعدّد النحاة في القرون الأولى منذ التأسيس، حتى لاتكاد تجد صاحب علم أو معرفة ، إلا وهو من أمهر المشتغلين بعلم النحو والصرف . بحيث أمسى في الإمكان أن تغني ترجمة أيِّ من العلماء في كل فن ، مثًالا لكل واحد من المشتغلين بصناعة النحو؛ فالمفسرون والفقهاء وعلماء الكلام والفلكيون والأدباء وغيرهم ، كانوا علماء في النحو قبل أن يكونوا متخصصين في علم من العلوم، بتوجيه من القرآن الكريم الذي احتاجو له إلى النحو كمرجع لتفسير ألفاظه وتوضيح مراميه ، فأصبح للكل اسهاماته الكبيرة فيه ، تعليماً وتوظيفاً وتأليفاً . فكان ذلك من دواعي شيوع المؤلفات المختلطة التأليف بينهم.

---

١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري ص ٦٩٩ – تحقيق دكتور مازن المبارك ، دار الفكر – الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

٢ - نفسه – ص ٢٨٧

٣ - نفسه ص ٢٨٦

ويكفي أنهم أطلقوا على الإشتغال بالنحو (صُنعة) ؛ لأنه صار بينهم بمثابة الصناعة التي يتقنها الصانع ولحرفة التي لا بدّ للإنسان أن يجيدها قبل أن يدرج في الحياة . وليس بمعنى الصنعة التي التكلفٌ والافتعال ، كالذي جرى عليه الأمر –لاحقاً– في بعض مسائل النحو والصرف

اشتغل الجميع بهذا العلم على جانب مشغولاتهم من العلوم والأمور الحياتية ، فـ(الزَّجَّاج) ، صانع الزجاج تحول نحوياً ؛ لأنه وجد صعوبة في المهارة بين صناعة الزجاج وصناعة النحو ، ولأن صناعة النحو كانت أجدى له نفعاً عاجلاً وآجلاً من صنعته الحياتية التي لا تدر إلا نفعاً عاجلاً لا يلبث أن يزول. ولمثل ذلك ، تحول (ابنُ بُرْهان) من منجم إلى صناعة النحو . كما مال (ابنُ السَّراج) صاحب الموسيقى والأدب والشعر إلى النحو . وكان (الرُّماني) موسوعياً ، فلم تطاوعه نفسه إلا أن يمزج النحو بموسوعته العلمية . وأما (ابنُ الشَّجَري) فقد قيل : أنه أقرأ النحو سبعين عاماً من عمره . ومثل هؤلاء جملة لا يستهان بها من العلماء مارسوا النحو تعلماً وتعليماً .

وقبل أن يبدأ الفاطميون بتأسيس دور لتلقي العلم بجانب الجوامع – كبادرة لإنشاء المدارس – كانت الجوامع بمثابة المركز الثقافي للدراسات الإسلامية ، ويذكر التاريخ أن مسجد عمرو بن العاص في مصر كان مشتهرًا بنشر الحضارة والثقافة في عهده . " بدأت الدراسة فيه سنة (٣٨ هـ) ، وكانت تدور حول تعليم الناس العقائد . " ولقد اتسع نطاق التعليم فيه شيئا فشيئا حتى بلغت عدد حلقاته بضعاً وأربعين حلقة في سنة (٧٤٩هـ) . تسير فيها الدراسات النحوية واللغوية جنبا إلى جنب مع الدينية .

ويمكن تصوّر حلقات العلم يؤُمُّها طالب العلم واحدة بعد الأخرى ، بدءاً بحلقة النحو الذي لا تخلو منه الحلقات الأخرى ؛ لأنه من لغة التعليم، وهو الفيصل لمشكلها ، ثم ينتقل بين الحلقات، حلقة فحلقة ، فإذا بالنحو ماثل فيها ، يتلقاه عرضاً في ثنايا شرح شيخه . وهكذا حتى يأتي ما أمكنه من حلقات ، ويصل ما أستطاع من الشيوخ ، طال العمر أم قصر ، وهو في خلال ذلك لا ينقطع كونه طالب علم ، ولو أضحى بما تلقاه شيخاً ومعلماً لغيره ، ويمضي مؤثراً ومتأثراً يبدئ ويعيد في حلقة مفرغة لانهاية لها .

فـ "سيبويه" قد أخذ من الخليل ، والفراء من سيبويه ، ومن الفراء ، والفراء من الكسائي . وليس بينهم بعدما تفرقوا واختلفوا في مدارس ومذاهب ، ذلك العداء المستحكم الذي يصوّره لنا بعض الدارسين كالحرب الطاحنة ، ليبرروا إتيانهم على الأخضر واليابس من قواعد النحو . ولكن عكس ذلك ، كان العلم ضالتهم يأخذونه من حيث يجدونه ، دون اعتبار لعداء ، أوخلافات مذهبية ، وبصرف النظر عن هوية صاحبه ، ثم يطورون ما بأخذون ، بل ويجهدون أنفسهم في شرح كتب
بعضهم البعض لترويجها والتوسع فيها ، ولو استغرق التصنيف والتعليم والأخذ كلَّ أعمارهم – على نحو ماعُرف من شأن (ابن الشجري) . وذلك ما لم يتوفّر لهذا العصر الحديث ، عصر السرعة الذي جعل للعلم والتعلم حدوداً في عمر الإنسان يقف عندها ، مستعيضاً عنها فيما تبقى له بما توفّره "التكنلوجيا" من معلومات جاهزة ، تخمد جذوة الإستعداد ، وتميت شغف البحث .

وتروى كتب التراث حكايات عديدة في تواضع العلماء وشدة حرصهم على العلم حيثما كان. من ذلك : ماروي من أن " سفيان الثوري" –وهو من هوعلمًا وأدبًا وورعاً– حين التقى في الطّواف رجلا من العامة ، أقبل حاجاً يلبي في طوافه بالصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) . فلما فرغا انتحى به جانباً يسأله ويقول: ياهذا إنك تركت التسبيح والتهليل ، وأقبلت بالصلاة على النبي ،هل عندك من ذلك شيئ ؟ ([1])

أي أنه، وبكل تواضع ، لم يعنف الرجل ،وعوضاً عن ذلك–رغب أن يتعلم منه ما قد يكون ربما فاته من علم .

فهؤلاء العلماء– الذين أفنوا زهرات أعمارهم في الاشتغال بالنحو ، فأغرقوا العالم ببحور من فيض العلم والمعرفة في مطولات ومختصرات دلت على غزارة معلوماتهم وكثافة مجهوداتهم ، وأنبأت عن جميل صبرهم ومثابراتهم وإخلاصهم ، وعن عظيم تفانيهم واتساع آفاقهم وذكائهم . كان المحفّز لهم –لاريب– أمور تتعلق بالدين الإسلامي، وهي :

أولاً – القرآن الكريم نبراسهم الهادي، ومعجزة العالمين ، المثمر أعلاه والمغدق أسفله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. زودهم بتلك الخصال الحميدة ، وأوقد فيهم جذوة الاستعداد .

ثانياً – قائدهم سيد البشر ، رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وسلم) القائل فيهم : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش " الذي نهلوا من بيانه آيات محكمات .

ثالثاً– والصحابة الكرام ، أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان، الذين تأثروا بهم وأفادوا منهم، منهم عليّ ابن أبي طالب في بلاغته ، وابن عباس في ذكائه ، ومنهم أبو حفص في حرصه وحدبه – فرضوان الله عليهم أجمعين

ومع تلك الحوافز الجليلة كان النحو من أيسر المعارف عند القدماء ، وأقربها إلى النفوس والأفهام . وكان علماً يتسرب إلى الأذهان بدون معلم ؛ فهو من المعارف التي يمكن إتقانها دونما تكبد كثير عناء، لوما وُظّف له ماقام به ومن أجله – وهو القرآن الكريم – توظيفاً صحيحاً . وقد شهدتْ بيسره وقائع كثيرة، فإن كثيراً من العلماء المبرزين في النحو ممن أمسوا بيننا قبلة طلابه وحجة علمائه، في مجالسهم المتواضعة وأدواتهم البسيطة ، لم يسبق لهم أن تلقوا شيئاً من هذا النحو في مدارس أو جامعات ؛ لأنهم ساروا على مذاهب القدماء في طلبه وتعلمه .

[1] – تنبيه الغافلين –للسمرقندي الطبعة الأولى ١٩٩٥ – ص ٣٠٤

لم يقع في النحو خلال مسيرته تلك بين القدماء تذمّر ولا شكوى بين القدماء من صعوبة أوتعقيد في مسائله رغم ما خالطه من منطق وفلسفة – لأنهم كان في استطاعتهم أن يوظفوا له ما حوله من المعارف كما ينبغي ، ومن أوائل من نحى هذا المنحى "الرّماني" الذي عُرف عنه أنه كان يمزج النحو بالمنطق . فقبل أن يستشري هذا المزج بالإغراق فيه حتى زاد عن الحد فانقلب إلي الضد ، كان مافعلوه لم يتجاوز التأسي بالمعارف الأخرى كعلمي الكلام والفقه، والتي سبقت إلي الأخذ بالمنطق والفلسفة لضرورات اقتضها.

ولعل من أثر علم الكلام في النحو هذا التشابه بين موقفين تناقلتهما المصادر ، موقف انشقاق واصل بن عطاء في علم الكلام حول مسألة مرتكب الكبيرة عن شيخه الحسن البصري ، واعتزاله . بمجلس للمعتزلة . بموقف انشقاق الكسائي في المسألة الزنبورية عن شيخه سيبويه، واعتزاله بمجلس في الكوفة.

هذا مع بقاء تلك المذاهب المتفرقة على تنافسها الذي أثمر فنوناً من المنطق الفكري ، ولما يفسد بينها للود قضية .

وقد جنى النحو من ذلك فوائد لا يمكن نكران أثرها في تطوّر التصنيف النحوي، وفي تمييز كثير من ملامح النحو وتحديد حدوده وضبط تعريفاته واستحداث مصطلحاته . وفق ما يلائم العربي وغير العرب الراغبين في تعلم العربية ، إذ أن النحو المنظّم هو سبيلهم الأمثل إليها .

وبفضل الحوافز أو المحفزات التي استعرضنا بعضاً منها – أيضاً أمكن استغراق أبواب النحو والصرف ، تماماً كما سبق استغراق كل موازين الشعر العربي فلم يتركوا زيادة لمستزيد ، سوى دوران بأمور من الفلسفة والمنطق حول فروع من مسائل النحو لاخطرلها ، أو في لغات موجودة لا مندوحة من تعليلها والتعامل بها . تماماً مثلما دار الفقهاء في مصنفاتهم حول الشروح وشرح الشروح والتحشيات ، والأدباء حول الإيغال في ابتكار البديعيات والتلاعب بصناعة الألفاظ . مع ذلك لا ينكر لكل من أصحاب هذا العمل براعة وقدرة ولا يعوزهم تمكُّن ، إلا فيما كان من تجاوزه بقدراتهم الحدود إلى حيث تعطل بهم الاجتهاد .

صبح لأبواب النحو حدوداً هم واضعوها ، وضوابط ومصطلحات هم اختاروها وهذّبوها ، بحيث لم يتركوا فيها مجالاً لمجتهد ، غير التفاف حول ذلك كله، التفاف الثعبان حول الفريسة .

الفصل الأول
ابن هشام نشأته وحياته وثقافته

المبحث الأول : ابن هشام

المبحث الثاني : وقفة مع الآراء حول أخلاقه وصفاته

المبحث الثالث : ثقافته ومكانته العلمية

المبحث الرابع : آثاره – من الكتب ووالبحوث والرسائل

المبحث الخامس : أصوله وشواهده

المبحث الأول

ابن هشام

للبيئة المحيطة دورٌ كبير في تشكيل الإنسان وتكوينه العلمي، لهذا هدف هذا الفصل إلى تحليل شخصية ابن هشام من خلال ما يحيط به من أشياء وأحياء . ولما كانت البيوت تؤتى من أبوابها، فعنوان الشخص نسبه وما يتبع ذلك من كنيته ولقبه ، وبها أبدأ لعلمي أنها مظهر مؤثرمن مظاهرهذه البيئة، سواءً من حيث ما قد تعكسه من أثر في الإنسان، أو من حيث دلالتها فيه على علو الشأن وكرم المحتد. وهي – وإن بدت عرضاً ظاهرياً جدّاً – فإن دورها لا يتخلف في تحليل جوهرالشخص عن دورالمظاهر الأخرى المحيطة بالإنسان، والتي سوف نعرض لها في المباحث التالية، ومن هنا فالوقوف عند النسب بالتفصيل ابتداءً قبل الوقوف مع المظاهر الأخرى في حياة ابن هشام ونشأته ، كالوقوف على بوّابة نلج منها إلى هذا البحث في فكر ابن هشام النحوي وتطوره.

أ ـ نسبه :

(هو عبدُ اللهِ بنُ يُوسُفَ بنُ أحمدَ بنُ عبدِ الله بنِ هِشَامِ الأنْصاريًّ المِصْريُ) .

ترجم له بهذا النسب المذكور كلُّ المؤرخين الذين كتبوا عنه (١). عدا ابن حَجَرَ، الذي أشار في كتابه (الدُّرر الكامنة) : إلى أنّ جدّ ابن هشام الأدنى هو عبد الله لا أحمد، فسجل نسبه كما يلي :

(عبدُ اللهِ بنُ يُوسُفَ بنُ عبْدُ اللهِ ابْن يُوسُفَ بنُ أحمدَ بنُ عبدِ اللهِ بنُ هِشَامِ) (٢) وذلك بإقحام (عَبْدُ اللهِ بنُ يُوْسُفَ) ثانٍ قبل (أحمد) . وبذلك يطابق اسم ابن هشام اسم جدّه الأدنى (عبد الله) .

وتكرار نفس الأسماء في سلاسل الأنساب تقليد درج عليه السلف في وضع أسماءالأبناء والأحفاد، وفي ذلك مافيه من الحرص على ترسيخ قوة الانتماء ووحدة الدم في الأسرة الواحدة . ويُلاحظ أنّ العَسْقَلانيَّ في هذا النسب لايزيد نسبته إلى الأنصاري والمصري والنحوي. وفي الحقيقة لامنافاة بين رواية ابن حجر، ورواية غيره من المؤرخين في هذا النسب؛ لأنّ ابن حجر حرص على ذكر آباء ابن هشام وأجداده بالتفصيل، في حين أنّ المؤرخين الآخرين راعوا الإيجاز والاختصار

---

[١] ـ كل المذكورين تطابق نقلهم للنسب من مصدر واحد-وهم - الأعلام – للزركلي- ص١٤٧/٤. / البدر الطالع – للإمام الشوكاني –صص٤٠٠-٤٠١ . / الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – ابن حجر العسقلاني- ص ٣٠٨/٢-٣١٠ . / الضوء اللامع – للسخاوي – م٣-ص٥٦ – ٧/ ٢٩١-٢٩٢ / المستدرك على معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة- ص١٦٣- ٦٠٥ = (فهرس المؤلفين بالظاهرية). / المنجد في الأعلام ط١٠ص١٣/١ . / / المنهج الأحمد- للعليمي ص ٤٥٥-٤٥٦ . / الموسوعة العربية الميسرة –م١ط٣-ص٢٩. / النجوم الزاهرة- ابن تغري بردي صص-١٠-٧٦١ / إيضاح المكنون – البغدادي-صص٢٤٣-٤٢٢-٦٠٧ . / بغية الوعاة – للسيوطي – صص ٦٨/٢-٦٩ . / تأريخ الأدب العربي – بروكلمان ج٢ ص ٢١١. / حاشية مغني اللبيب – محمد الأمير ص٢/١ . / حسن المحاضرة – للسيوطي صص ٢٧٤-٣٠٩ / دائرة المعارف –ص٢٩٥/١ . / روضات الجنات – الخوانسباري-صصص٤٥٥-٤٥٧ . / سبيل الهدى – – محمد عبد الحميد محي الدين- صص=(حواشي كتب ابن هشام) / شذرات الذهب – ابن العماد- صص ٦-١٩١-١٩٢ . / فهرس المخطوطات المصور-سيد ٣٨٦/١ . / كشف الظنون – حاجي خليفة- صص ١٢٤، ١٥٤، ٤٠٦،٥٦٤،٥٦٣، ٦٠٤، ١٠٢١، ١٠٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣٢، ١٣٥٢، ١٤٧٧، ١٥٦١، ١٦٦٩، ١٧٥١، ١٧٥٢، ١٨١٨، / مفتاح السعادة- طاش كبرى- صص١، ١٥٩، ١٦٠. / هدية العارفين – البغدادي – صص ١- ٤٦٥ . / وفيات الأعيان – ابن خلكان ص٣٥٣ /

[٢] ـ الدُّور الكامنة في أعلام المائة الثامنة – ابن حجر العسقلاني ج٢ ص/٣٠٨ -

وذلك بإهمالٍ في المكرر من الأنساب والألقاب والكُنى، حيث أنّ ذلك لايخلّ بشيءٍ من ضبط النسب –كما سيأتي.

ب – كُنيتُهُ :

يشيع لدى كثير من الكُتّاب تصديرهم للكُنية في ذكر الأنساب . وفي بعض التراجم يتصدر (أبومحمد) نسب ابن هشام، وهو كنيته بابنه(محمد) الملقب : (مُحبّ الدّين) غير أن ابن هشام الأنصاري لم يشتهربهذه الكنية بقدر اشتهاره بالكنية الأخرى (ابن هشام) في ذيل نسبه. وإذا كان اللقب – الآتي ذكره– لا يعدو كونه شكلاً عرضياً لا يتجاوز الظاهر إلى الجوهر. فليست كذلك الكنية التي فيها ما يوحي بالشعوربالانتماء والإنتساب إلى المذكور، فهي جزء معنوي لا يتجزأ عن الاسم وعن جوهر صاحبه، ومن ثم كان تصديرها ناشئاً في العادة عن رغبة في تقديم اسم لأعزَّ الأشخاص إلى المذكور، تكريماً له وتبجيلاً.

و(ابن هشام) هي الكنية التي غلبت عليه حتى جرت منه مجرى الأعلام في الأوساط العلمية، فلم يشتهر بها غيره، ولاعُرف بها أحدٌ من العلماء الذين كنوا قبله وفي أيامه ومن بعده بابن هشام وهم جماعة، ذكر السيوطي في " باب المتفق والمفترق أنّ من يُطلق عليهم ابن هشام ثمانية، ولم يرد في الأصول إلا سبعة"(١)

وهم : **الإمام عبُدالمَلِكِ بنُهِشامِ بنُأَيَ ُوبٍ المُعَافِرِيَ ُ**، الذي هذّب سيرة النبي–صلى الله عليه وسلم– من مصنفات ابن اسْحَاق. والمتوفى بمصر عام٢١٣– وقيل ٢١٨هـ(٢)

العلامة أَحْمَ ُدبنُعبْدِ اللهِ بنُهِشَامٍ بنُإبْراهيمَ بنُخَلَفٍ اللَّخْمِيُّ السَّبْتِيُّ النَّحْوِيُّ، أحد أعيان القرن السادس.(٣)

مُحَمَّدٌ بنُ يَحْيَى بنُ هِشَامٍ الخَضْراوِيُّ. ويُعرفأيضا **بابنِ الْبَرْذَعِيُّ** ً – وكان رأساً في العربية . توفي بتونس سنة ٦٤٦هـ (٤)

ومن أسرة المؤلف أشتهر بهذه الكنية جماعة منهم :

مُحمَّدٌ ابنُعَبْدِ اللهِ بنُيُوسُفَ بنُ هشَام . (ابنُالمؤلف)الملقب **بمُحِبِّ الدِّينِ** – ولد سنة ٧٥٦هـ . قال السيوطي : كان أوحد عصره في تحقيق النحو ، توفي في رجب ٧٩٩هـ . وقيل : هو أنحى من أبيه(ابن هشام) إلا أنه لم تعرف له مصنفات كأبيه. (٥)

---

١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين السيوطي- هامش-ج٢/ص٥٤٨- م٢- ج٢- تحقيق محمد أبو الفضل – المكتبة العصرية – بيروت لبنان .

٢ - وفيات الأعيان – ابن خلكان – ت رقم ٣٠٣- تحقيق – محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٤٨م .

٣ - بغية الوعاة- السيوطي ص١٩= وانظر – وفيات الأعيان -ابن خلكان- ت رقم ٦٨

٤ - بغية الوعاة ج١ ص١١٥

٥ - بغية الوعاة– ج١/ص١٤٨

ومنهم :

أحمد بُنعبْدِ الرَّجْمَنِ بُنعبدِ اللهِ بُنهشامٍ، المتوفى سنة ٨٦٦هـ (حفيد **جمال الدين صاحب المغني**)[١]

مُحَمَّدٌ بنُ مُحمَّدٍ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ ابنُ هشامٍ (ابن الحفيد السابق) [٢]

ومُحمَّدٌ بنُ عبدِ الماجِدِ العُجَيْمي، شَمْسِ الدِّينِ (سبط جمال الدين صاحب المغني) [٣]

هذا ، ولم تذكر المصادر شيئاً عن والد ابن هشام ولا عن والدته، لاقتصارها عادة بالترجمة للمشاهير في مجال من مجالات العلم والمعرفة.

ج – لقبـــــه :

بعد الكنية والاسم يأتي لقب ابن هشام (جمَالُ الدّيْنِ)، على ترتيب الكنية، فالاسم، فاللقب، عند اجتماع الثلاثة . قال : " اذا اجتمع الاسم مع اللقب وجب في الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب " ([٤])

على أنّ تأخير اللقب عن الاسم في الذكر – رغم فصاحته – فهو غير ملزم، فلايترتب على – تقدّمه أم تأخره مع الاسم – صحة أوفساد في التركيب، بل متى أراد الناسب المبالغة في المدح، أوقصد لسجع أو تقفية، حسُن عنده أن يقدّمه على الاسم في الذكر، لمبالغة في المدح والإطراء،اوعناية بالصياغة والإملاء. بصرف النظر عن فصاحة تأخيره.([٥])

كما أنّ الاختصار بحذف بعض من الأسماء والألقاب والكنى من النسب لا ضير فيه ، خاصة بحيث لايُقصد إلى ترجمة دقيقة، وبحيثُ لايلتبس بغيره من أنساب لمترجم لهم.

ومن الأمثلة على ذلك، عمل محمد عبد الحميد محي الدين، في بعض مقدّماته على كتب ابن هشام . قال على شرح شذور الذهب :

" قال الشيخ ... بركة المسلمين، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن الشيخ جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري " (٦). وفيه كما يلاحظ تفصيل للنسب.

وضبطه في قطر الندى فقال :

" قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الأنصاري"(٧) وهو خلوٌ من ذكر للقب (جمال الدين).

وفي مقدمته لمغني اللبيب، قال:

---

[١] - الضوء اللامع - للسخاوي ج٧/ص٢٩١ – مجلد٣- دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .
[٢] - الضوء اللامع – ج٩/ص٩٢
[٣] - بغية الوعاة-السابق- (هامش-ج٢ص٥٤٨)
[٤] - شرح قطر الندى وبل الصدى – لابن هشام الأنصاري- ص١٣٥- دار الفكر العربي .
[٥] - اجمع النحاة على أنّ اللقب لايتقدم الاسم، وأجازوا أن يتقدم اللقب أو يتأخر مع الكنية. وكذلك يجوز في الكنية أن تتقدم الاسم أو تتأخر عنه، وعند اجتماع الثلاثة يلزم تأخير اللقب عن الاثنين، . فتقول : (أبو محمد عبد الله جمال الدين) أو تقول : (عبد الله أبو محمد جمال الدين) . والأول أولى لوضوح ، كما يلزم إعراب الثاني من أي من الثلاثة بدلا من سابقه إن كانا (مع سابقه) مركبين، أو أحدهما المركب، أو إعراب الثاني بدلاً أو عطف بيان إن كانا مفردي
[٦] - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – لابن هشام الأنصاري- ص ١٠- تحقيق محمد محي الدين .
[٧] - شرح قطر الندى – ص ١٢

" ... جمال الدين ... رحلة الطالبين – أبومحمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري" [1].
هكذا – أيضاً– بلا ذكر لاسم الأب (يوسف).

وضبطه الفاخوري في مقدمة تحقيقه لأوضح المسالك، ، بقوله :

:" ... هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله المصري"(٢). وذلك بإهمال ذكر الكنية.
وهكذا يجري عند كثيرمن الكُتَّاب ، تقديم الاسم على اللقب تارة، وإهماله، أو إهمال ذكرالاسم تارة أخرى. والاختصار والإيجاز الشديدين أو التفصيل في النسب تارات كثيرة وفقاً لمراد المتكلم، ولحاجات الكلم ما أمن اللبس.

د – نسبته:

نسبة ابن هشام (بالأنصاريّ والمصريّ والنحويّ) إلى الأنصار وإلى مصر وإلى النحو.
أمّا الأنصاريُّ : فنسبة إلى أنصار المدينة المنوّرة، وإلى الخزرج منهم خاصة . بيّن ذلك العلامة محمد الأمير في حاشيته على مغني اللبيب فذكر، أنّ " ...أجداده القدامى ينتمون إلى الخزرج من الأنصار"(٣).
ويُعرف بالمصريِّ : نسبة إلى مصر التي بها وُلد ونشأ وتُوفي ودُفن .
وبالنحويِّ نسبة إلى النحو، (وفرقاً بينه وبين غيره من العلماء، مِمَّنْ كُنُّوا (بابن هشام) ولم يشتهروا كاشتهاره بالنحو، خاصة، لشدّة تشابه الأسماء والبيئات، بجانب وقوع الحذف ولاختصار في الأنساب) .
وقد يُعرّف أحياناً بصاحب المغني تمييزاً له عن غيره بكتابه المشهور (مغني اللبيب) .
وفي المجمل :
إنّ نسب ابن هشام مع تفصيله يجري في اثني عشر لفظاً، بين كنية واسم ولقب ونسبة، كما يأتي :(أبو محمد، عبدالله، جمال الدين، بن يوسف، بن عبدالله، بن يوسف، بن أحمد، بن عبدالله، بن هشام، الأنصاريُّ، المصريُّ، النحويُّ) .

هـ – ولادتـــــــه :

اتفق المؤرّخون على أنّ ابن هشام وُلد في القاهرة، في شهر ذي القعدة، من سنة (٧٠٨هـ) ، أي في أوائل القرن الثامن الهجريّ، فهو طليعة ذلك القرن ودُرّتُه المتألقة .مثلما كان ابن مالك طليعة القرن السابع الهجري ودُرّته ونجم المشرق والمغرب العربي .

---

[1] - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - لابن هشام الأنصاري – ص٥ - تحقيق محمد محي الدين .
[2] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – لابن هشام الأنصاري- ص٤- ت- الفاخوري .
[3] -حاشية مغني اللبيب- محمد الأمير ج١ ص/٢

ولم يكتف الشيخ خالد في (تصريحه) بذكر الشهر الذي وُلد فيه ابن هشام، وإنما حدّد تأريخ الميلاد بيوم السبت، خامس من ذي القعدة، سنة ثمانٍ وسبعمائة.(١)

٢- عصرابن هشام وبيئته

(أ) البيئة السياسية والاجتماعية :

" أطول الملوك في الحكم زماناً، وأعظمهم مهابة وأحسنهم سياسة، وأكثرهم دهاءً وأجودهم تدبيراً، وأقواهم بطشاً وشجاعةً. مرت به التجارب وقاسى الخطوب وباشر الحروب، وتقلب في الدهر ألواناً، ونشأ في الملك والسياسة وله في ذلك الفخر والسعادة. خليقاً بالملك والسلطنة، فهو سلطان ابن سلطان ووالد ثمانية سلاطين..."(٢).

بهذه الأوصاف ونحوها أطرى المؤرخ أبو المحاسن بن تغري بردي، السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، الذي حكم مصر اثنتين وثلاثين سنة، من(-٧٠٨)(إلى ٧٤١هـ) . وهي السنوات التي عاصرها ابن هشام بأزهى سنوات عمره، منذ ولادته في(-٧٠٨هـ) . إلى وفاة هذا السلطان في سنه(٧٤١هـ) . كما تعد هذه الفترة من أزهى عهود دولة المماليك البحرية على الإطلاق، وأطول فترة استقرار شهدها العهد المملوكي ؛ ففيها توطّدت دعائم البلاد واستقرت أساليب الحكم والإدارة، وازدهرت الفنون والعلوم، وباتت القاهرة – مسقط رأس ابن هشام – حاضرة لامبراطورية شاسعة، شملت مصر والشام والجزيرة العربية واليمن. لم يقتصر فيها نشاط السلطان الناصر محمد، على الحروب والغزوات المظفرة، بل اتجه فيها بالبلاد للأخذ بكل مقومات الحضارة في عصره، وصبغها بصبغة دينية ظهرت واضحة على العمائر التي شيّدها ومازال بعضها قائماً حتى اليوم . ولعل أشهرها : المدرسة الناصرية، ومسجد القلعة سنة٧١٨هـ . كما جدد المارستان الكبير الذي أسسه والده قلاوون سنة٦٨٨هـ . وبنى سبيلاً وقبّة ومكتبة عظيمة، وأنشأ خانقاه لفقراء الصوفية حتى قال عنه المؤرخ ابن إياس : " لايعلم لأحد من الملوك آثارٌ مثله، حتى لقد قيل : لقد تزايدت في أيامه الديارالمصرية والبلاد الشامية مقدار النصف، من جوامع وخوانق وقناطر وغير ذلك من العمائر..."(٣).

وأهم من ذلك، الاستقرار الذي ضرب بأطنابه في البلاد تحت حكم المماليك البحرية، وحتى بعد أن تسلم الراية منهم المماليك البرجية بقيادة السلطان برقوق (سنة٧٨٤.) فقد كان من شأن هذا الاستقرار أنْ مكّن للنشاط العلمي والازدهار الثقافي بفضل لجوء عدد كبير من العلماء في

١/ انظر المدرسة النحوية في مصر والشام – د. عبد العال سالم - ص٣٥٣- دار الشروق – بيروت ١٩٨٠م.– عن التصريح على التوضيح – الشيخ خالد ج١ص/٥ .

٢ - مؤسسة سفير للتأريخ – ص ٧٠ – موسوعة تاريخية .

٣ - المصدر نفسه- ص ٧١

الديار الإسلامية إلى البلاد مع ما يحملونه من كنوز العلم ومصنفات الفكر، ومشاركتهم في النهضة العلمية بمصر في هذه المنشآت والعمائرالتي أقامها وعمرها المماليك البحرية.

ب – البيئة العلمية :

لقد سجل التأريخ للمماليك: أنّ من أهم مزاياهم :عملهم– في سبيل الحفاظ على الملك والسلطان– على كسب ودّ المسلمين، حيث أضحوا في أيامهم كلها الملجأ الوحيد للفارين من علماء المسلمين وغيرهم في وجه غزوات التتار وحملات الصليبيين، فعُرف عصرهم بعصر إنشاء المكتبات الضخمة وحفظ التراث وتجمّع العلماء الكبارمن كل فن وصوب تحت رعايتهم في الديار المصرية مستقر حكمهم، وأنّهم قد ورثوا من الأيّوبيين نهوضهم بالعلم والنحو خاصّة، بما قدّموه لعلمائه من رعاية ودعم وتشجيع في ظل حكمهم .

وكانت القاهرة مع نشأة ابن هشام موئل العلم والعلماء ومهد الحضارة والفن والقبلة التي يُتوجّه إليها في محراب الثقافة والفكر، فلقد زخرت مدارسها ومساجدها بالعلماء الذين نبغوا في كل فن ، وتعمّقوا في شتى ضروب المعرفة السائدة في عصرهم .

نشأ ابن هشام في هذه البيئة المتحضرة بالعلم والعلماء، وترعرع فيها لأنّ مسقط رأسه بها ومستقر أسرته فيها . وحسب صاحب (المدرسة النحوية) " لم يحدثنا التأريخ أنّه انتقل منها، أو رحل عنها..."(١). وذلك لايتعارض مع قول صاحب المستدرك :

" أنه ولد في ذي القعدة وقرأ العربية وأقام بمكة ..."(٢). لأنّ خروج المرء من مسقط رأسه حاجاً إلى مكة، أومجاوراً فيها، لايعني انتقاله نهائياً، أو رحيله عن موطن استقراره مهما طال غيابه عنه. وقد أثبت ابن هشام في مقدمة كتابه مغني اللبيب، أنه كان بمكة عام (٧٤٩هـ) وعاودها في سنة(٧٥٦هـ) مجاوراً فيها. قال يذكر بدء إنشاء كتابه مغني اللبيب فيما سماه مقدمة الإعراب عن قواعد الإعراب : " ... وقد كنت في عام تسعة وأربعين وسبعمائة أنشأت بمكة – زادها الله شرفاً كتاباً ..." إلى أن يقول : " ... ولما منّ الله عليّ في عام ستة وخمسين وسبعمائة، بمعاودة حرم الله، والمجاورة في خير بلاد الله، شمّرت عن ساعد الاجتهاد ..."(٣).

ونسبة لما قد تقتضيه مثل تلك الرحلات في ذلك الزمان من تطاول الإقامة والسفر، لا نستبعد دخوله مكة قبل هذه التواريخ المذكورة أو بعدها بفترة من الزمن. كما أن مثل هذا الخروج في رحلاته مهما طال أوقصر لا يمكن أن يعني النزوح من مسقط رأسه، وكان فترة ترويح مكنت له أن يلتقط أنفاسه، فيُعن خلالها بإملاء بعض كتبه، أو بتلقي اليسير من العلم الذي يصادفه عفواً.

---

[١] - المدرسة النحوية السابق – عبد العال- ص ٣٥٤

[٢] -المستدرك على معجم المؤلفين- عمر رضا كحالة- ص ٥-٦ /١٦٣ – ط ١-١٩٨٥م

[٣] - مغني اللبيب - ابن هشام – ج١/ص١٣- ت . الفاخوري

ومما لاشك فيه، أنّ ابن هشام قد صادف وهو في مقتبل سنوات عمره وأزهى أيام شبابه، بيئة مواتية لتحصيل العلم والمعارف، وبلوغ درجة النبوغ . فاستطاع بكل يسر وسهولة أن يرتقي سُلّمَ المجد منذ نعومة أظفاره دون أن يضطر للرحيل ويتكلف السياحة في وجه الأرض طلباً للعلم أو الاستقرار، إذ جاءته الأرض في بيئته بعلمها وعلمائها ، فصادفته في نشأته ونشاط شبابه وفُتُوّة عقله، فنبغ مبكراً قبل الثلاثين، واستطاع – رغم قصر عمره (٥٢) سنة – أن يشتهر شهرة من عاش الدهر كلّه بما انتجه في ظل هذا الاستقرار السياسي والثقافي، من نشاط متميّز في الفكر النحوي، أثرى به الدرس اللغوي بشكل حضاري واكب عصره وساير بيئته، ومن تفكير شبابي ناضج ينظر إلى الواقع اللُّغَوي نظرة حضارية متقدّمة في إطار التراث النحوي الأصيل .

٣ – شيوخ ابن هشام

نشأ ابن هشام في تلك البيئة، يتلقى أنواع العلوم والمعارف في مساجدها ومدارسها عن أكابر الشيوخ الذين وفّرتهم له، ممَّنْ يشار إليهم بالبنان، فهم الامتداد لهذه البيئة المزدهرة بهم، نعرض فيما يلي لأشهرهم تأكيداً لمدى تأثيرهم في ابن هشام ، ولا يخفى أن محدودية ما ذكرته المصادر من شيوخة الذين أخذ منهم راجع إلى ظروف البيئة المزدهرة التي أغنت كثيراً عن اتخاذ العديد من الشيوخ، إذ كان كل منهم أمة بذاته، حاوياً لمايغني من معارف العصر وعلومه، وإن كان الأرجح أن شيوخه غير المذكورين أوشيوخه التاريخيين الذين قرأ لهم كابن مالك، أكثر بكثير ممن جاء ذكرهم في ترجماته، والذين هم حسب ترتيب وفياتهم :

1 – **التاج الفاكهي أو الفاكهاني – (٦٥٤ – ٧٣١)هـ**

عُمَرُ بْنُ علِيٍّ بْنُ سَالِمِ بْنُ صَدَقَةَ اللَّخْمِيُّ الإسْكَنْدَرِيُّ . تَاجَ الدِّيْنِ الفاكهيُّ العلامة النَّحْويُّ .

أخذ عن ابن المُنَيِّر وغيره، ومهر في العربية والفنون، وتفقه لمالك، وسمع عن عتيق العُمري وابن طَرْخان .

وصنّف : شرح العمدة ، شرح الأربعين النووية، وغير ذلك. وله مقدمته : الإشارة في النحو، " وله شرحها أيضاً . وقد قرأ عليه ابن هشام شرح الإشارة إلا الورقة الأخيرة..

وقيل أنه : سمع من التقي بن دقيق العيد ، والبدر بن جماعة ، وأجاز لعبد الوهاب القرويّ. مات بالثغر سنة٧٣١هـ . ([1])

[1] - البغية – ج ٢/ص٢٢١ – ترجمة ١٨٤٤

٢- ابْنُ السَّرَّاجِ - (٦٦٨ – ٧٤٣) هـ

مُحَمّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ بَصْخَانَ، بَدْرُ الدِّيْنِ أَبُوعَبْدِاللهِ ابْنُ السَّرَّاجِ الدِّمَشْقِيُّ الْمُقْرِئُ النَّحْوِيُّ .

ولد سنة(٦٦٨هـ) وقرأ على الرِّضَا بن دَبُوْقا والجمال الفاضليّ، والدِّمْياطِيّ، والشَّرَف الفَزاريّ ولازمه، وأقبل على العربية وأحكمها، وسمع الحديث من الفاروثيّ، وغيره . وتصدّى بدمشق لإقراء القرآن والنحو وقصده الطلبة، وظهرت قصائده وبهرت معارفه وبعُد صِيته، ... وجلس للإفادة وازدحم عليه الطلبة، ، وولي مشيخة التربة الصّالحية بعد المجد التونسي بحكم أنه أقرأ أهل دمشق، ولم يطلب جهة مع كمال أهليته. وكان حسن البزة والعمة ، منوّر الشيبة، طيب النغمة جيد الأداء .أخذ منه ابن هشام وسمع في القراءات والنحو الأدب، بمصر. مات سنة ٧٤٣هـ ([1])

3 – ابْنُ الْمُرَحَّلِ –(ت ٧٤٤هـ)

عَبْدُ اللَّطِيْفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِبْنُ يُوْسُفَ بْنُ أَبِيْ الْعِزِّ عَزِيْز بْنُ نِعْمَةَ بْنُ ذُوَالَةَ الْحَرّانِيُّ الأصل الشّافعيّ المعروف بابْنِ المُرَحّلِ شهاب الدّين النحويّ، من أهم الشيوخ كان له الأثر الأكبر على ابن هشام، لازمه وأخذ عنه ، وهو الذي نوّه به وعرّف بقدره . وكان يُطْريه ويُفضّله على ابي حيّان وغيره ويقول : ... الاسم في زمانه لأبي حيّان الانتفاع بابن المرّحل .

كان يُكنى أبا الفرج بن عز الدين ، سمع من ابن الحَبّوبيّ وعليُّ البَكْريِّ وشِهابِ المُحْسِنيِّ وغيرهم. قرأ بنفسه، وخرّج له تقيّ الدِّين بنُ رافعٍ جُزْءاً من حديثه ، وتصدر بالجامع الحاكميّ وانتفع به الناس... اعتنى بالعربية وخصوصاً ألفية ابن مالك وكان فيها ماهراً وأقرأها فأخذهاعنه جماعة بحلب والقاهرة . وكان شديد التثبّت في النقل مات بالقاهرة سنة ٧٤٤هـ وقد جاوز الستين."([2])

٤ – أبوحيّان (٦٥٤ – ٧٤٥)هـ –

مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يُوْسُفَ بنُ حَيّانَ الإمَامُ أَثِيْرُ الدِّيْنِ أَبُوحيَّانَ الأَنْدَلُسِيُّ الغِرْناطِيُّ.

النَّفْزيُّ نسبة إلى نَفْزة، قبيلة من البربر، نحويُّ عصره، ولُغوِيُّهُ ومُفَسّرُهُ ومُحدّثُهُ ومُقْرِئُهُ ومُؤَرّخُهُ وأديبُه . وُلد (بمطخشارش) مدينة من حضرة غرناطة سنة(٦٥٤هـ.) وأخذ القرءات عن أبي جعفر الطّبّاع ، والعربية عن أبي الحسن الأبّذيّ وأبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأحوص وابن الضائع وأبي جعفر اللّبْليّ، وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة . وتقدّم في النحو وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً. وطار صيته واشتهر اسمه وأخذ عنه أكابر عصره وتقدّمو في حياته كالسبكي والأسْنَوِيُّ وابن عقيل والسَّمين (وابن هشام) بالطبع وغيرهم . قال الصفدي:

" أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لايدركه أحد من أقطار الأرض فيهما، غيره " ألف الكثير من التصانيف في مختلف الفنون المنتشرة في عصره،

---

[1] – البغية– ج ١/ص٢٠ ترجمة ٣٠

[2] - الدرر الكامنة – ج ٢ص/٤٠٦–٤٠٧–٤٠٨. (ترجمة٢٤٩٧)

سجل معظمها تلميذه الصفدي، وحتى تلك التي شرع فيها ولم يسعفه وقته في إنجازها . مات في سنة(٧٤٥هـ) .([1])

٥- التاج التبريزي – (ت٧٤٦هـ)

عَليُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ أبيْ الْحَسَنِ الأَرْدَبيليّ التِّبْرِيزِيُّ . الشيخ تَاجُ الدّينِ. قرأ النحو على السيد ركن الدين الأستراباذيّ و الرّكن الحُدَيْثيّ، والأُصول على القُطْب الشّيرازيّ والبيان على النّظام الطُّوسي والفقه على السّراج حمْزة الأرد َبيليّ والخلاف على العلاء بن النُّعْمان الخُوَارزميّ . وسمع الحديث من الوانيّ والخِتْني والدّبُوسي .

دخل بغداد ومصر ودرّس وأفتى وناظر. كان عديم النظر وأحد الأئمة الجامعين لأنواع العلوم ، عالماً كبيراً مشهوراً في الفقه والمعقول والعربية والحساب وغير ذلك . مع دين ومروءة وانتفع به الناس منهم ابن هشام . حدث وصنّف في أنواع العلوم . صُمّ في آخر عمره، ومات سنة ٧٤٦هـ ([2]).

***

هذا، ومما لاشك فيه أنّ ابن هشام بالإضافة إلى تأثّره بهؤلاء الشيوخ الأعلام الذين اقتصرنا على ذكربعضهم . وكان له تأثر بغيرهم من علماء البيئة المصرية المزدهرة في عصره وإن لم يدرجوا هنا . ولا عجب فقد سبق أن أشرنا إلى أن أبا حيان كان قد نسب إلى نفسه أنه أخذ عن أكثر من أربعمائة شيخ بما فيهم أولئك الذين التقاهم في طريق مصادفة.

على أن شيوخ ابن هشام غير المرئيين عدد لايُحصى، وهم مصادره الأساسية فيما حظي به من سائر العلم والبراعة. ويتصدرها :

- القرآن الكريم كتاب الله الذي اتخذه محوراً لدراسة النحو،
- فحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم–
- فالشعر العربي الفصيح أيّاً كان مصدره مادام على فصاحة يعرفها ويتذوقها من واقع خبرته بأساليب العرب.

- ثم بعد ذلك مصنفات النحاة الذين سبقوه على مدى امتداد عصورهم منذ أبي الأسود والخليل وسيبويه، وحتى عصره، بحيث لم يشذَّ عن بحثه واطلاعه من ذلك شيء.

- يُلمح ذلك من خلال كل خطوة في كتبه النفيسة التي نقّب فيها عن المسائل منسوبة إلى مصادرها بدقة، ومضيفاً عليها من رؤيته واطلاعه بما قلَّ أن يتوفر لأمثاله من الآراء والأقوال المطمورة في بطون الكتب .

---

[1] - البغية– ج ١ص٢٨٠ص–٢٨٥. ترجمة ٥١٦

[2] – البغية– ج ٢ص١٧١ – (ترجمة ١٧١٧)

٤ – إخلاق ابن هشام وصفاته :

مع علو المنزلة التي وصل إليها ابن هشام في عصره، وعلى الرغم مما انفرد به من بحوث علمية قيّمة، وبخاصة في مجال النحو – كما سيأتي – ظل محتفظاً بوقاره العلمي وخُلُقه العطر وأدبه الجم وتواضعه المحبوب، " فالذين كتبوا عنه أجمعوا على هذه المعاني، فسجلوا في كتبهم : أنه كان متواضعاً برّاً شفوقاً، يتمتع بدماثة الخُلُق ورقّة القلب "([1])

ومن أبرز الصِّفات التي تميّز بها ابن هشام عن غيره " أنه كان رجل طموح وجدّ ومثابرة. من أجل هذا فقد وصل إلى مناصب علمية مرموقة في عهده، فكان مدرّساً للتفسير بالقبة المنصورية في القاهرة، وهو منصب كان وقفاً على الشافعية، مما جعله ينبُغ في الفقه الشافعي ليصل إلى هذه المكانة. ولم يقنع بهذا الموقع فعمل على أن يكون معلماً بمدرسة الحنابلة بالقاهرة، وبهذا راح يحفظ عن ظهر قلب كتاب (المختصر) للخرقي، في أقل من أربعة أشهر، وانتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنوات "([2]).

وكان لابن هشام هدف مرسوم في الحياة، وغاية نبيلة يهدف للوصول إليها عن طريق العلم، متخذاً الصبر شعاره والجلد رائده ودثاره مواصلة الليل بالنهار ديدنه . ويدل على ذلك قوله شعراً :

ومَنْ يصْطبرْ للعلم يظْفَرْ بنيلهِ ومَنْ يخْطبِ الحَسْناءَ يَصْبرْ على البَذْل

ومَنْ لم يُذِلَّ النّفسَ في طلبِ العُلا يَسِيْرَاً، يَعَشْ دَهْراً طَوِيلاً أخَا ذُلِّ

ومع ذلك لم يخل هذا الخُلق الطيّب من انتقاد وجّهه إليه بعد الباحثين عن قصد أو بغير قصد، نعرضه مع الرد والتقييم في المبحث التالي .

---

[1] - المدرسة النحوية – ص٣٥٧ / والدرر الكامنة – ٣٠٨/٢ .

[2] - دار المعارف الإسلامية – المجلد الأول – ص ٢٩٦

المبحث الثاني

وقفة مع الآراء حول أخلاق ابن هشام وصفاته

١ – آراء المؤرخين :

على الرغم من الإجماع الواسع على أخلاق ابن هشام الفاضلة وصفاته النبيلة، – كما أسلفت– فقد ظلت المصادرتردّد حكايات تتنافى تماما مع هذا الإجماع، وتنال مما بينه وبين شيخه العالم الكبير أبي حيّان من علاقة طبيعية . فقد روت من المواقف بينهما، ما لايمكن ترجمتها بأي حال من الأحوال، إلا على خلاف ما عُرف في ابن هشام من الاتصاف بكل تلك الأخلاق والصفات العالية.

تدور تلك المزاعم حول ماتردّد من أنّ ابن هشام " لم يسمع عن شيخه أبي حيّان غير ديوان زهير، ولم يلازمه ولاقرأعليه"([1]). وكأنّما المراد بهذا الخبر الذي كرّرته المصادر، إبراز مدى جفوة واقعة بينهما. وهو تبرير لايستند على شيء ، ويثير تساؤل الجميع بعد ذلك، بحثاً عن الأسباب الداعية لهذا الانقطاع وعدم الملازمة من تلميذ لشيخه ! ومن ثمّ حيكتْ حول ذلك تكهّنات مختلفة.

كان أول المُخمِّنين الإمام الشوكاني، في كتابه (البدر الطالع) ، فعلّل هذا الموقف (مُرجّحاً) بطبيعة في ميلٍ ابن هشام إلى " المنافسة في مجال النحو، وبالتالي محاولته مزاحمة مَنْ تفرّد قبله (أبوحيّان) بعلم النحو في عصره..."([2])

وجاء صاحب كتاب (المدرسة النحوية) ليضيف تعليلاً آخرهو: احتمال أن يكون السبب كامناً في امتعاض ابن هشام الشديد من تجاوز شيخه أبي حيّان له في التقدير والإطراء، مع تخصيصه ذلك بالمقابل، بابن عقيل دونه في المجلس. قال يروي الواقعة عن الصّفْدي " إنّ أبا حيّان كما يقول المؤرخون أمثال الصّفدي وغيره كان في خلقه الإعجاب بالطلبة الأذكياء، والتّوَدّد إليهم والإقبال عليهم وإشعارهم بالإجلال والتعظيم. وممن ظفروا بهذا التقدير تلميذه ابن عقيل. فقد قال عنه : (ماتحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل) ولم يظفر ابن هشام على الرغم من صفاته النادرة وحسن استعداده بجزء من هذا التقدير الذي ظفر به ابن عقيل مما جعله (ابن هشام) يشيد بابن المرحّل (أحد شيوخه) ويحطّ في المقابل من قدر أبي حيّان."([3])

ويفهم من هذا أنّ أبا حيّان هو الذي أوغر صدر ابن هشام عليه، حتى راح هذا الأخير يفضل بدوره (كردّة للفعل) شيخه الآخر ابن المرحّل، ويحطّ في المقابل من قدر أبي حيّان– في كيد متبادل.

---

[1] - بغية الوعاة - ج٢ص٦٨ . .
[2] - البدر الطالع – الشوكاني –ص٤٠٠
[3] - المدرسة النحوية – ص ٣٥٧

ويلاحظ أن الشوكاني كان الأكثر تحفظاً مع هذا الخبر، فيما قدّم من تكهّن وتعليل ، إذ افتتح كلامه بعبارة : " لعل ذلك ... والله أعلم ..." بل وكان الأكثر تنبُّهاً وواقعية مع مثل هذه الأخبار، حينما اختتم كلامه بمقارنة وتمثيل، وبتنبيهٍ وتحذير لكل من ناقشها. قال : " وهكذا ناقش أبو حيّان الزمخشري فأكثر من الاعتراض عليه في النحو (تفسير النهرالماد) لكون الزمخشري من تفرّد بهذا الشأن. إلى أن يقول : " ... وإن لم يكن عصره متصلاً بعصره، وهذه دقيقة ينبغي لمن أراد إخلاص العمل أن يتنبه لها، فإنها كثيرة الوقوع، بعيدة الإخلاص."([1])

وفيه إشارة إلى أنّ التنافس بين المتعاصريْن أكثر وقوعاً منه ما بين غير المتعاصريْن، ويشمل ذلك مَنْ هم في حكم غيرالمتعاصريْن كابن هشام مع أبي حيّان الذي يكبره بنحو(٥٢سنة) ، أي بنحو عصر بالنسبة لعمر إنسان. والعمر الذي مات عليه ابن هشام.

أما صاحب(المدرسة النحوية) فإنه بعد أن تتبع ذلك الخبر وعلله، أخذ في ذكر مظاهره وآثاره، فعرض في كتابه لمواقف انتقامية لابن هشام، صوّره فيها مستاءً من أن يتعرض شيخه الكبير، وشيخ أبي حيّان الإمام ابن مالك، صاحب الألفية المشهورة– لحملات عنيفة من أبي حيّان فيقول : " إنّ ابن هشام تلمذ لأبي حيّان بعض الوقت إلا أنه– ويكررعبارة البغية– " قد قرأ عليه ديوان زهير، ثم انقطعت ملازمته له وتلمذته عليه " . وعلى الرغم من ذلك فإنّ ابن هشام لم يراع لأبي حيّان حرمة، ولم يعطه حقه من التقدير والإجلال كأستاذ له، وذلك لأنه كثيراً ما سفّه آراءه وسخر بها، ووقف بالمرصاد في معظم مسائل النحو التي يراها أبوحيّان. وكأنّ القدر أراد (هكذا) أن يقتص لابن مالك من أبي حيّان الذي كثيراً ماهاجمه وصال عليه بلسانه الحاد وكلماته القاسية، فهيّأ القدر (هكذا) ابن هشام ليُجري القصاص على يديه، ويردّ له الصاع صاعين مدافعاً عن ابن مالك، مشيداً بقدره وفي الوقت نفسه هادماً لأبي حيّان، منكراً لفضله.."([2])

ولعمري أنها لكلمات أقسى على ابن هشام من كلمات أبي حيان على ابن مالك . إذ يُخيَّل إليك أنك تقرأ كلاماً غير كلام مؤلفه الذي يُفاجئك بهذا الوصف القاسي الخارج عن الدقة العلمية وعن كل تحذير نبه إليه الشوكاني وعن كل ماعُرف في ابن هشام من دماثة الخلق ووقار العلم . ووقْع المفاجأة هو أنك ترى صاحب هذا الكلام يعود مرة أخرى – وكأنه يصحو من غفوة– فيقيم ما اعوجّ من كلامه هذا حيث يبدو منصفاً وهو يقول :

" أنّ ابن هشام لم يكن بصريّ النزعة، ولا كوفيّ الطابع ولابغدادي الرأي؛ لأنه في مجال النحو شخصية مستقلة، لاتقلد ولاتتابع وإنما يجري وراء الدليل فأنى وجده أخذه "([3]) . ثم يضرب الأمثلة تلو الأخرى على هذا المذهب في مواقفه المتعادلة بالقسطاس المستقيم، تأييداً أو مخالفة

---

[1] - البدر الطالع – الشوكاني ص ٤٠١

[2] - المدرسة النحوية- د. عبدالعال- ص ٣٢٤

[3] - نفسه -ص ٣٨٦

لآراء النحاة من سابقين ومعاصرين بلا استثناء ولاتمييز سواء بسواء، إلى أن يقول : " كان ابن هشام يؤمن بقول الجاحظ (ماعلى الناس شيء أضر من قولهم ماترك الأول للآخر شيئاً) "([1])

٢ – التقـــويم :

يمكن اقتراح الرد بالإجابة عما سبق بالأوجه التالية :

الأول – إنّ في تحفّظ الشوكاني وهو ينقل هذه الأخبار، وفي حَيرة صاحب المدرسة النحوية وشعوره بالغموض بعدما أورد عدة تكهنّات، وذلك بقوله : " أما تحامل ابن هشام على أبي حيّان فلازالت الحَيْرةُ تستبدّ بنفسي والقلق يساورني من جراء هذا الغموض "([2])–

فإنّ في كل ذلك ما يؤكد غياب أية أدلة قاطعة تعزز هذه الافتراضات من قول صادر من خصميْن مفترضيْن ضدّ بعضهما، على سعة ماتناولاه من قضايا علمية وحياتية . بل على خلاف ذلك تماماً فقد ثبت الآتي :

– قيام ابن هشام بشرح كتاب اللمحة البدرية، والكواكب الدّريّة وهوأحد كتب أبي حيان.

–و قيامه بشرحه المسمى (فوح الشذا في مسألة كذا) وهو كذلك شرح لكتاب الشذا في مسألة كذا، من تصنيف أبي حيّان، ومذكور ضمن كتاب الأشباه والنظائر"([3])

– و رواية ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، واقعة بينه وبين أبي حيان تؤيّد تقدير أبي حيّان له وتعظيمه لآرائه . قال : " وسألني أبي حيّان وقد عرض لاجتماعنا : علام عُطف (بحقلّدٍ) من قول زهير :

تقيٌّ نقيٌّ لم يُكثّرْ غنيمةً بنَهْكةِ ذي قُرْبى ولابحَقلّدٍ ؟

فقلتُ : حتّى أعرف ماالحقلّد ؟ فنظرناه، فإذا هو سيّئ الخُلُق . فقلتُ : هو معطوف على شيء مُتوهّم ، إذ المعنى : ليس بمُكْثر غنيمة. فاستعظم ذلك."[4] انتهى

ولا يكون مثل هذا وما سبق من أمثاله، إلابين شخصين لايضمران لبعضهما شيئاً مما قيل، مما ينافي الأخلاق الفاضلة.

الثاني – أهم المآخذ التي اعتمد عليها النقاد – دعواهم إهمال ابن هشام لذكر أبي حيّان، و إطراؤه في المقابل لشيخه ابن المرحل . واعتبارهم قوله فيهما : (كان الاسم في زمانه لأبي حيّان، والانتفاع بابن المُرحّل)([5]) نصاً في هذه المفاضلة .

وعندي لايبدو في هذا ما يؤيد ذلك المذهب، فإسناد ابن هشام لرئاسة علم النحو إلى أبي حيّان واضحة في عبارته **(الاسم في زمانه لابي حيّان)** وذلك كتميّز بعض الأزمنة بأعلامها، كزمن سيبويه، وزمن ابن جني، وزمن ابن مالك، وزمن ابن هشام. أماالانتفاع بابن المرحل، ففيه تصوير لواقع عاشه ابن هشام، وكذلك كل من طال استماعه إلى شيخ طال انتفاعه منه انتفاعاً لايماثله غيره

---

[1] - المدرسة النحوية –ص ٣٩٥ – وانظر الخصائص – لابن جني ج ١ص١٩٤

[2] - المدرسة النحوية – ص٣٥٦ .

[3] - قطر الندى – ص ١٠ - ت -محمد محي الدين

[4] - مغني اللبيب – ابن هشام ج ٣ص١٧- ت -محمد محي الدين

[5] - -الدرر الكامنة - ج٢ ص/ ٤٠٧

ممن لم يطل معهم استماعه . وذلك بالضرورة لاينفي عدم الانتفاع بغيره بشكل أو بآخر. كما لا ينفي جواز قيام زعامة للنحو بجانب زعامة انتفاع، ولا تتعارضان.

وأخذوا عليه عدم ملازمته لأبي حيّان واكتفائه منه بديوان زهير، لكن مثل ذلك هو ما كان من أمره مع كل شيوخه الذين جاء ذكرهم في ترجماتهم. كأخذه من الفاكهاني شرح الإشارة (في النحو) فقط ، إلا الورقة الأخيرة، وحضر بعض دروس التبريزي ولم يزد ، ولم يذكر أنه لازم من بينهم سوى ابن المرحل، وذلك أمر طبيعيٌّ.

الثالث – لقد عُرف بالإجماع عن أبي حيّان حدة الطبع وسرعة الغضب وسلاطة اللسان على القريب والبعيد بلا استثناء. إذ غصّت كتبه بكلمات كان يُرسلها نابية ساخرة مشوّهة لسمعة من يتعرّض له دون أن يراعي حرمة من علم أو تقدّم.

من ذلك موقفه من الإمام ابن تيمية فيما ذكره صاحب البغية، قال : " وكان يعظم ابن تيمية، ثم وقع بينه وبينه في مسألة نقل فيها أبو حيّان شيئاً عن سيبويه، فقال ابن تيمية : وسيبويه كان نبيّ النحو ! لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعاً من كتابه. فأعرض عنه ورماه في تفسيره النهر بكلِّ سُوء ."([1])

وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب(...) : هذه نحوُ الفقهاء .([2])

و في الحطّ من شأن الزمخشري والزراية عليه لدرجة إنكار شخصيته في النحو : قال :

" أصحابنا يقولون : أن الزمخشري غير نحويّ، ولايلتفتون إليه "([3]).

وقال عنه أيضاً :

" وأعجب لعجمي ضعيف يردُّ على عربيّ صريح محض قراءةً متواترة موجود نظيرها في لسان العرب".إلى أن يقول :

" وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة"([4]).

كما نال ابن مالك من هذا السخط (الحياني) ، إذ قال يصفه :

بـ" أنه لم يصحب مَن له البراعة في علم اللسان، لذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشأن، وينفرمن المنازعة والمباحثة والمراجعة، وهذا شأن من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه "([5]).

واعترض عليه في شرح التسهيل فوصفه بأنهً :

" عُني في كتبه بنقل لغة لخم وخُزاعة وقُضاعة وغيرهم، وليس هذا من عادة أئمة هذا الشأن "([6])

ومع كل هذا فإنه لم يعهد منه في ابن هشام كلمة واحدة نابية أوساخرة ، لا في خلال كتبه ولا على ألسنة الرواة . ومع استبعاد وقوع ذلك لحداثة عهد ابن هشام بالظهورحينئذٍ، ولكونه لازال طالباً،

---

[1] ـــ بغية الوعاة – السيوطي– ج ١ص٢٨٢

[2] - نفسه - ج ٢ص٢٨٢

[3] - المدرسة النحوية – ص ٤٠٣

[4] - نفسه – ص ٣٣٨

[5] - نفسه – ص ٣٣٩

[6] - نفسه – ص ٣٣١

فليس في مكافأته ابن عقيل بمدح مع حضور ابن هشام مايدلُّ على هذا التفضيل إلا في باب التكهّن والظن، وإلا فالأمر كما يفعل كل أستاذ مع تلاميذه فيميزهم واحداً واحداً بقصد إذكاء التنافس بينهم.

الرابع – بالمقابل، لانعثر لابن هشام خلال كتبه وإملآته على أية ألفاظ مما يُعَدُّ نابياً أو ساخراً ، فلم تتجاوز ألفاظه ماتُعُورف من مصطلحات الأساليب العلمية الهادئة في مجال النقد البنَّاء، كالوصف بالخطأ والذهول والتعسّف واللحن ومأأشبه ذلك .

الخامس – إنّ اعتراضات ابن هشام انصبت على البحث عن الحق وتصويب الخطأ، بصرف النظر عمن باشرهما، فهو يولي طرفه الأعمال ويغُضُّه عن الأشخاص، إذ لم يكن – كما سلف– (بصريّ النزعة ولاكوفي الطابع ولابغدادي الرأي) ، وهو في مجال النحو شخصية مستقلة تجري وراء الدليل. فالجميع أمامه سواسية، أعداؤه كأنصاره. خالف ووافق أبا حيّان كما خالف ووافق ابن مالك. عارض سيبويه كما عارض ابن المرحل. فلو كان إنما ينتقم أو يقتص لابن مالك من أبي حيّان لما اعترض على ابن مالك في مسألة واحدة ، ولتحامل على أبي حيان في مسائل. غير أنّ الواقع قد أثبت له مخالفاتٍ وموافقاتٍ قي مواضع لكلّ من ابن مالك وأبي حيّان على حدّ سواء ، مخالفات وموافقات قامتْ على المنطق وكشف الزيغ والردّ إلى الصواب لاغير.

السادس – إنّ ماتضمره كلُّ نّفس من طبيعة مشاعرها الإيجابية والسلبية لا غبار ولااعتراض عليه مادام لم يترجمه واقعٌ من التصرف القولى أو الفعلي. ومانُسب إلى ابن هشام لايتعدى تصوير المشاعر، فقد فسّر الشوكاني ماحدث من مجرد انقطاع تلميذ عن حضور مجلس شيخه بمشاعر المنافسة التي تحدث أحياناً بين أبناء البلد الواحد والبيئة الواحدة، حباً في الطموح ورغبة في الشهرة وحرصاً على المجد. وأنّ أكثر مايكون ذلك في طبع الشباب، وقد كان أبوحيّان وهو يتصدّى لابن مالك، ملؤه شباب وفخر وطموح "([1]) . وقد صدر عنه من تصرف قولي ماصدر. وليس أولى من ابن هشام أن يوصف بالتطلع إلى الطموح والمجد والفخر وهو في قمة شبابه بمجلس لأبي حيّان، غير أنه يظل شعوراً لم يصاحبه تصرف من قول أو فعل .

[1] ـ المدرسة النحوية ـ السابق – ص ٣٥٩

السابع – جاءت عبارة معجم المؤلفين في وصف الاتصال بين ابن هشام وأبي حيّان كما يلي : .
" وقد أُتيح لابن هشام أن يلقى النحوي الأندلسي أبا حيّان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي أثناء رحلته إلى مصر، وسمع منه..."([1]).

وهذا يعني أنّ اقتصاره على أخذ ديوان زهير ، أوقصيدته فقط عن أبي حيان كان لظروف خاصة أملتها كونه (**أُتيحت** له) في رحلته إلى مصر، ومعلوم أنه في مثل هذه الظروف لايُتاح لأيٍّ كان وقتٌ كافٍ للاستمرار في الأخذ والاستماع.

الثامن – الجنوح إلى التنافس من طالب أمر مشروع ، لاسيما إن كان يجد في نفسه كفاءة تدفعه، ويحس من روحه فخراً ويلتمس في عقله فسحة ورجاحة لمواجهة حتى أساتذته وشيوخه، صقلاً لمواهبه وكفاءته واختباراً لرجاحة عقله وقدرته بينهم. بل أنّ النفس الشابة طموحة، تأبى إلا أن تجنح بصاحبها إلى إظهار مواهبها وإبداء تفوقها في الآراء والفضائل من خلال المنازلة والمناظرة لمن هم في القمة ولاعجب .

ومن السذاجة أن يجاري معلم تلميذه وينافس شيخ طلابه وإن جاز العكس، بأن يجاري وينافس التلميذ أستاذه . وبالضرورة من غير المعتاد أن يقع ذلك وفارق السن بين الاثنين (٥٢سنة) في العمر .

التاسع – الذين أثبتوا لابن هشام قراءة قصيدة أوديوان ابن أبي سلمى فقط على ابي حيّان، قد أثبتوا تلمذته عليه . والتلمذة تثبت بأخذ القليل كما تثبت بالكثير، فهذا أبو حيّان ذكر من شيوخه مايربو على الأربعمائة،([2]) جُلُّهم ممن صادفه في طريق، أو ممن راجعه في مسألة واحدة أو في سؤال فرد، مع ذلك هم شيوخه وهو تلميذهم. ومثل ابن هشام في بيئته الملأى بالعلم والعلماء قد يكتفي بأقل القليل من كل عالم ، أو من قلة من العلماء، ثم لايضطر بعد ذلك إلى ملازمتة تفرغاً لغيره من أمور العلم وبحوره التي تملأ الساحة حوله ويسعها ذكاؤه وفطنته وشبابه . ويدل على ذلك قلة ماذكر له من شيوخه الذين قرأ عليهم مقارنة بكثير غيره من العلماء .

العاشر – إنّ رجاحة العقل ودماثة الخلق التي أجمع الجميع على اشتمال ابن هشام عليها، تقتضي أن لايضير مثله أن لايظفر بإطراء شيخه أبي حيّان كما ظفر ابن عقيل . لأنّ فيما حازه من تقدير ومكانة بين الناس، وفيما أحرزه من بروز في المحافل العلمية، مايغنيه عن كل إطراء لايمنع حصوله سكوت شيخ من شيوخه عنه، ولا يرقى إلى درجة الحقد والتحاسد في شيء .

---

[1] - المستدرك على معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة- ص ٤٤٣ – ط ١ مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان .- ١٩٨٥

[2] - انظر البغية – ج ١ص٢٠ ترجمة ٣٠

وأخيراً – مهما سلمنا بوقوع التنافس والمزاحمة على الصدارة، فلايمكن أن نحصر ذلك إلا في كونه وقع في سن شباب ابن هشام الذي هو مبدأ بزوغه في مجال الشهرة والإبداع . ولانربطه إلا بفترة كان فيها إبداعه الذي أخرج به أول قطرات علمه للناس ، وبالأخص في تأليفه وإخراجه كتابه الأول (قطر الندى وبل الصدى) . ونستدل– على العامل النفسي الذي انتابه، والمشاعر التي كانت تعاوده حينها وهو في طريقه إلى الظهور– نستدل بكثرة ماتردد على لسانه مع ذلك الكتاب الأول من ألفاظ الاستعاذة من الحسد والحاسدين. فلا يكون ذلك إلا من شخص قد استشعرشدّة في المنافسة وتوهّم عدم الاعتداد بما عنده من الملكات إن هو أبداها في كتاب، لا من شيخه فحسب، بل في عيون المحيطين به آنئذٍ . فهو لم يسبق أن عرض ماسيعرضه عليهم لأول مرة من مبتكراته التي يتوقف عليها صعوده أوهبوطه.

ولذلك نجده قد كرّر في خاتمة قصيرة لاتتعدى تسعة أسطر من كتابه الأول (قطر الندى) كلمة الحسد أربع مرات ، وهو مالم يفعله في مؤلفاته التي تلته بعد ذلك ولا لمرة واحدة . في قوله يقرّظه : (" ... تقرّ به عين الودود، وتكمد به نفس الجاهل **الحسود** ... "

ثم في استشهاده بأبيات جاء فيها :

" إنْ **يَحْسُدوني** فإني غيْرُلائمِهم قبْلي من الناسِ أهلَ الفضلِ **قد حَسدوا**

فدامَ لي ولهمْ مالي ومالهُمَ وماتَ أكثرُنا غيَظاً بمايَجِدُ

أناالذي يجِدوني في صُدورِهِمُ لاأرْتقي صَدْراً منها ولاأرِدُ "

إلى أن يقول : " ... وإلى الله أرغب أن يجعل ذلك لوجهه الكريم، وأن يكفينا شر **الحساد**، ولايفضحنا يوم التناد ..." ([1])

فيُلاحظ في هذا الجزء القصير من أسطر خاتمته حشد من عبارات وكلمات عبّرت عن الاعتصام بالله والجلد والصبر على الجهلاء والحساد والناس، بمن فيهم من وقع عليهم حسد الحاسدين من أهل الفضل. فكل ذلك الإلحاح في التحفظ والتحوط من الحسد وأهله، يجسّد حضور الحسد بارزاً في ذهن ابن هشام فيمن حوله ، رغم اعترافه بأنه من الأمور الاعتيادية والبديهية، فذلك الإلحاح الجاد ما هو إلا حالة نفسية صاحبته مع أول شهرته ومبدأ ابداعه وإنتاجه وما يتبع ذلك عادة من تهيّب طبيعي .

هذا وقد اختفت تلك النغمة المتحفظة تماماً بعد ذلك من مؤلفاته التالية ، لأنه قد جاوز تلك الفترة وتعدى حاجز الاختبار بنجاح .

[1] - قطر الندى – ابن هشام – ص- ٤٧٠-٤٧١

المبحث الثالث

ثقافة ابن هشام ومكانته العلمية

يستدعي الحديث في ثقافة ابن هشام ومكانته، الإلمام بمظاهرتلك الثقافته ومجالاتها، والمكانة العلمية التي حازها، وذلك من خلال أقوال العلماء وشهاداتهم فيه . كما يشمل ذلك استعراض جملة من تلاميذه الذين تمثلت فيهم تلك الثقافة والخبرة العلمية. ثم ببيان ماخلفه من آثار علمية نفيسة جليلة، قبل الختم بوفاته.

١ –تنوّع ثقافته،

في تلك البيئة المتنوعة المعارف، تعددت ثقافة ابن هشام وتنوعت مشاربه، فلم تقتصر على النحو بل كانت مزيجاً من العلوم السائدة في عصره . وتمثّلت في الآتي :

– الفقه :

درس المذهب الشافعي فتولى التدريس فيه بالقُبّة المنصورية . وبعد ذلك ألمَّ قبل موته بقليل بالمذهب الحنبلي، وقد حفظ فيه مختصر الخرقي فيما دون أربعة أشهر، حتى استحق بذلك أن يلتحق مدرساً بمدرسة الحنابلة بالقاهرة.

–القراءات والحديث:

حفظ القرآن الكريم، وفي القراءات أخذ عن ابن السَّراج، وحدّث عن ابن جماعة بالشاطبية ، وتخرّج به جماعة من أهل مصر وغيرهم . ومع أنه لم يُعرف له كتاب مستقل في غير النحو، فإن كتبه في النحو لم تخلُ من تعَرُّض للتفسير والقراءات والحديث، وهو ما يؤكد العلاقة الوثيقة التي تربط النحو عنده بالمعارف الأخرى خاصة القرآن والحديث والشعر. حيث وظّف النحو توظيفاً فعّالاً في تلك المعارف .

– الأدب :

تلقى ديوان زهير عن أبي حيّان . وله اطلاع بالأدب والنقد تجلى في شرحه البارع لقصيدة البردة لكعب بن زهير بن أبي سُلمى، وفي قدرته على نظم الشعر ، وفي ذوقه الأدبي الذي عكسته مختاراته ونقدة الجيد لشواهده النحوية من أشعاركثير من شعراء الطبقات التي حظرها أغلب النحاة، كشعر المولدين والمحدثين، أمثال المتنبي وأبي تمام أبونواس وغيرهم كما سيأتي لاحقاً .

– اللغة :

أتقن العربية، ففاق الأقران، بل الشيوخ. " وكان له الباع الطويل حتى أنّه كان ينقد اللغويين ويتعقّب أقوالهم في مقدرة فائقة وبراعة كاملة. مثال ذلك : تصريحه في بحث (هلمّ جرّا) بقوله :

" أنّ أئمة اللغة المعتمد عليهم لم يتعرضوا لهذا التركيب، حتى صاحب المحكم مع كثرة استيعابه وتَتبعَّه، وإنما ذكره صاحب الصحاح ، وقد قال أبو عمرو بن الصلاح في شرح مشكلات الوسيط :

أنه لايقبل ماتفرّد به. وقد ذكر في أول كتابه أنه ينقل عن العرب الذين سمع منهم ، فإنّ زمانه كانت اللغة فيه قد فسدت، وأما صاحب العُباب فإنه قلد صاحب الصحاح بنسخ كلامه " ([1])

وهذا كما يدل على طول باع ابن هشام كذلك يدل على واسع اطلاعه في كتب التراث وغوصه عميقاً في دقائقها .

- النحو:

أما النحو فقد كان فيه خاتمة المجتهدين الذين استوعبوا مسائل هذا العلم ونبغوا فيه نبوغاً عظيماً جعلهم أئمة يشار إليهم بالبنان. فثقافة النحو أبرز صفاته، درس النحو في كتب النحويين قبله دراسة قامت على الدقة والبحث والمناقشة والاستنباط، وكان له مع أصحابها نزاع وجدال يقوم على منهج عقلي منظم – كما سنبيّن لاحقاً– وبثقافته النحوية شاع ذكره وطار صيته ودوّى في كل ركن من أركان العالم الإسلامي. وقد رفد ذلك ذكاؤه اللماح فيه وحرصه الشديد في تناوله، مع نشاطه العلمي الجمّ .

هذا، وقدعُرفتْ عنه بعض رسائل لم تدر في فلك النحو، كرسالته في سعادة النفس، ورسالته في شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم .وشرح البردة، ورسالته في مختصر الانتصاف من الكشاف في علم التفسير ، كلها رسائل بالإضافة إلى قلتها لم تكن ترقى إلى مستوى الكتب المتخصصة .

٢ – مكانته العلمية

تتجلى مكانة ابن هشام من خلال شيوع ذكره وتصاعد صيته في أقوال معاصريه عنه، وتنويهات الذين جاءوا من بعده به من العلماء والأعلام . وأول ماتناقلته المصادر من ذلك قول معاصره ابن خلدون عنه :"مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه "([2]).

ويبدو أن ابن خلدون الذي شهد بالسماع أولاً ([3]) عاد يشهد ثانياً باطلاعه المباشرعلى مؤلفات ابن هشام ، فقال :

: " وصل إلينا لهذا العهد بالمغرب من تآليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر ... إلى قوله: ..." ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية في ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه ..."([4])

ثم مرة ثالثة قال يصف المغني : " " ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر... استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة ... فوقفنا منه على علم جمّ ..."([5])

---

[1] - الأشباه والنظائر- السيوطي ج٣ ص٢٠٢- مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – ١٣٥٩هـ.
وانظر المدرسة النحوية – ص ٣٥٨

[2] - البغية – ص٦٩ – والدرر الكامنة ج ٢ص ٣٠٨-٣١٠ .

[3] - **وفيه دليل على أن ابن خلدون قدأملى مقدمته أولاً في شكل مذكرات متتابعة جمعها لاحقاً في كتاب دون تدخل في مسار تأريخ إملائها .**

[4] - مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون – ص ٥٣٢- مع –ج ١ من كتابه العبر – دار إحياء التراث .بيروت لبنان .

[5] - نفسه – ص ٥٤٧ – وانظر المدرسة النحوية السابق – ص ٣٧٥ .

وتلك من أقوى الشهادات التي عرفها التأريخ في عالم النحو، تجاوزت الحاجز الجغرافي والإتصالاتي لذلك العصر، كما تعدت حاجزاكتظاظ البيئة المصرية على مدى القرنين السابع والثامن الهجريين بعلمائها الذين تتوه الأبصار في خضمّهم ، وتضل العقول عن الترجيح والانتخاب فيما بينهم.

بل لقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك حين وصف علمه وطريقته في صناعة النحو، بأنه مع إحكامه اقتفاء آثار من قبله قد أتى بالشيء العجيب . قال :

" فوقفنا منه على علم جمّ يشهد بعلو قدره في صناعة النحو، وكان ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنّي، واتبعوا مصطلح تعليمه؛ فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه . والله يزيد في الخلق ما يشاء ."([1]).

ويلاحظ دقة ابن خلدون في ذكر ثلاث صفات هي من أبرز صفات ابن هشام النحوي وفق مايحاول هذا البحث تأكيده . والصفات هي :

- **اتباعه** مصطلح تعليم ابن جني. فالمذهب التعليمي من أخص خصائصه في كل عمله النحوي .
- **قوة الملكة**، وذلك واضح وضوح الشمس من خلال قدرته على مجاراة النحاة في طرائقهم وقوة ملاحظاته لأعمالهم ومناهجهم. وفي انتهاجه أساليب متعددة، فقهية ومنطقية وكلامية- حسب مايتطلبه الموقف الدرسي عنده.
- **اطّلاعه الواسع** ، وذلك من أوضح الأمور كذلك، وتجلى من خلال سياحته الطويلة حول المسألة الواحدة، مستبطناً جميع مصادرها، ومستعرضاً كل الآراء حولها منسوبة إلى أصحابها في دقة.

ويمكن إيجاز ماقيل عنه من الإطراء، مما يبرز مكانته العلمية بين العلماء في قول ابن حجر:

" أنه تصدّر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً ..."([2])

فمكانته إذن كانت في مجال النحو أشهر من أن يشار إليها، فقد برزت منذ نبوغه في عصره وبين معاصريه، ثم انتشرت فيمن جاء بعدهم إلى حاضرنا .

---

[1] - مقدمة ابن خلدون – ص٥٤٧ .

[2] - الدرر الكامنة –ج٢ص٣٠٩. / البغية – ج ٢ص٦٩ . / المدرسة النحوية – ص ٣٥٩ .

٣ – تلاميـذ ابن هشام :

ممايعد مظهراً من مظاهر الثقافة والمكانة العلمية التي حازها ابن هشام، نبل ونباغة تلاميذه العديدين، الذين جلسوا في حلقاته ونهلوا من موارده وتأثروا ببحوثه، وصارت لهم مكانة مرموقة في الدولة، ووصلوا إلى أرقى المناصب في القضاء والتدريس . وأيضاً لايدل ذكر القلة من تلاميذه المشاهير هنا على ضيق في انتشاره كعالم يشارإليه بالبنان، سبقت شهرته إلى كل مكان .

لذا أكتفي بذكرخمسة من أشهر هؤلاء التلاميذ والتعريف بهم وبما بلغوه من منزلة، في إيجاز حسب تأريخ وفياتهم كما يلي :

١ – النُّوَيْرِيُّ (٧٢٢ – ٧٨٦هـ)

هو، جمال الدِّيْنِ أبُو الفَضْلِ مُحمّدُ بْنُ أحْمَدَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النُّوَيْرِيُ، نسبة إلى نُوَيْرة من بلاد مصر. وُلد في شعبان سنة ٧٢٢هـ وسمع بدمشق من المَزّيّ وغيره... وصارقاضيَ مكة وخطيبها، وأخذ العربية عن ابن هشام. قال ابن حبيب في تأريخه : أنه ولي قضاء مكة نيفاً وعشرين سنة، وتوُفي سنة ٧٨٦هـ . ([1])

٢– إبْراهِيمُ بْنُ مُحمَّدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ بْنُ إبْرَاهيمَ بْنُ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ اللَّخْمِيُّ الشَّافِعِيُّ (٧١٥–٧٩٠–هـ)

يلقب الشيخ جمال الدين الأميوطيّ بالميم .قال ابن حجر: ولد سنة ٧١٥ هـ وأخذ الفقه عن المجد السِّنْكَلُوميِّ والتاج التِّبْريزيِّ، والإسْنَويِّ. والعربية عن ابن هشام النّحويّ الحنبليّ. ومهر في الفقه والأصلين والعربية ، وسمع من الحجّار الوانيّ، والدَّبُوسيِّ والْخُشْتيِّ وآخرين، ودرس وأفتى وناب في الحكم في القاهرة ، وصنّف مختصر شرح (بانت سعاد) نسخة ابن هشام وغيره. واستوطن مكة سنة ٧٧٦هـ إلى أن مات في ٧٩٠هـ .([2])

٣ – اِبْنُ الْفُرَاتِ–(٧٩٤هـ)

هو، عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ الْفُرَاتِ المالَكِيُّ .

" مُوقّع الحكم ، برع في الفقه وشرح مختصر الشيخ خليل ، وحمل عن جمال الدين ابن هشام، وكتب الخط المنسوب ، ودرّس ووقّع على القضاء ، راتبه مراراً . وكان سمع من أبي الفتح الميدومي ، وتوفي في جمادى الآخرة ."([3])

٤ – مُحِبُّ الدِّيْنِ– (٧٥٠– ٧٩٩هـ)

هو، مُحمّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ يُوسُفَ بْنُ هشام، العلامةِ مُحِبُّ الدِّيْنِ ابن (ابن هشام صاحب المغني)

كان أوحد عصره في تحقيق النحو . قال البلْقينيُّ : هو أنحى من أبيه . قرأ على والده وغيره ، وسمع الحديث على المَيْدُوميِّ والقلانِسيِّ ، وأجاز له التَّقِيُّ السُّبْكيُّ، والعِزُّ بن جماعة ، والبهاء بن عقيل والجمال الإسنويّ وغيرهم. وروى عن الحافظ بن حجر. ومات سنة ٧٩٩هـ.([4])

---

[1] - المدرسة النحوية – د.عبد العال - بتصرف ص ٣٦٠ – انظر شذرات الذهب –ابن العماد – ج٢ص٢٩٢

[2] - البغية – ج ١ص٤٢٧– ترجمة (٨٦٦)

[3] - شذرات الذهب – لابن العماد – ص٧٥٠/٨ – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق – بيروت .

[4] - البغية – ج١ص١٤٨

٥- ابراهيم بن محمد بن عثمان بن إسحاق الدّجَوِيُّ المصريُّ النحويُّ .(٨٣٠ هـ)

قال ابن حجر : أخذ عن الشهاب بن المُرَحّلِ ، والجمال بن هشام وغيرهما ، ومهر في العربية وشغل الناس فيها ، وكان جُلُّ ماعنده من الألفية . وفيه دُعابة. ومات سنة ٨٣٠هـ وقد بلغ الثمانين.([1])

[1] -البغية – ج١ص/٤٢٧

المبحث الرابع

آثـــــــــــــــار ابن هشام

الكتب والبحوث والرسائل

خلّف ابن هشام مصنفات كثيرة كلها نافع مفيد، تلوح منها أمارات التحقيق وطول الباع ، وتطالعك من روحه فيها علائم الإخلاص والرغبة عن الشهرة وذيوع الصِّيت . وهذه المؤلفات جلها يدور حول النحو ومشكلاته، ولم يسهم في غيره من العلوم الأخرى كما أسهم أستاذه أبو حيّان. وباستثناء بعض رسائله القليلة التي لم تدر في فلك النحو، فإنّ رسائله الرئيسية كثيرة زاخرة بالبحوث النحوية .

وتلك البحوث العلمية يميّزها عن المؤلفات والتصانيف كونها رسائل محدودة ، موجّهه إما إلي سائل ، أو موضوعة للفائدة العامة ، لذلك غالباً مايصدّرها ببيان هدفها ، أوبتسمية جهتها الموجهة إليها . والفرق بينها وبين كتبه الرئيسية في النحو كالفرق بين قصة قصيرة ورواية ، حيث تعالج الرسالة غالباً جانباً واحداً في النحو، بينما تتناول كتبه الأخرى جوانب شتى من أبواب النحو . وبعض هذه الرسائل يمكن تصنيفها في الكتب، حيث تعالج من النحو قضايا جزئية، كشرحه لكتاب (فوح الشذا) أو كوضعه مختصراً لغاية نحوية (الإعراب) .

وقد ذللت أعماله النحو وعبدت طريقه وجعلته مستساغاً في الأذهان مقبولاً في الطباع. وإزاء هذا النتاج الضخم من المؤلفات أكتفي بعرضه في إيجاز مع تعريف بأهم الكتب النحوية التي كان لها أثر كبير في نفوس المتعلمين في عصره، بل وفي العصور التي أعقبته إلى يومنا هذا .

والمتحقق من هذه الكتب يجدها (٢٩) كتاباً وعدّة رسائل أوردتها المصادر، وبعض هذه الأعمال لم تذكر المصادر بياناً لها واكتفت بالإشارة إلى مصدرها (الأشباه والنظائر للسيوطي) الذي أوردها أسماء بلا تفاصيل . وقد رأيت أن أعرض ما اتفق لي من هذه التصانيف بتقسيمات ثلاثة : الكتب والمؤلفات النحوية ، ثم الكتب التي هي أشبه بالرسائل النحوية ، وأخيراً الرسائل النحوية – كما يلي – مرتبة على حروف المعجم :

أ : كتبه ومؤلفاته النحوية، وفق حروف المعجم .

١ – **أوضح المسالك ، إلى ألفية ابن مالك** . ويُعرف (بالتوضيح) أيضاً، طبع بالقاهرة مراراً وبكلكُتا(الهند) وشرحه الشيخ خالد، وللأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد عليه ثلاثة شروح وجيز ومتوسط مطبوعان، وثالث مبسوط . وسيأتي تفصيله لا حقاً في هذا البحث .

٢ – **التذكرة** : ذكرالسيوطي في الأشباه والنظائر، أنه من خمسة عشر مجلداً .

٣ – **التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل**، ذكر السيوطي أنه في عدة مجلدات .

٤ – **الجامع الصغير** : وهو في النحو ، ذكره السيوطي . ويوجد في المكتبة الأهلية بباريس رقم (١٥٩) قبل الآن . (حسب المحقق[١])

[١] - أي - عند تأريخ تحقيق الكتاب .

٥ – **الجامع الكبير** – ذكره السيوطي .

٦– **رفع الخصاصة عن قرّاء الخلاصة:** ذكره السيوطي، وذكر أنه في أربعة مجلدات.

٧ – **الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية** : وهو شرح للشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في (اللُّمَع) موجودة ببرلين رقم ٧٦٥٢ . قبل الآن .حسب المحقق

٨ – **شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : طبع مراراً وشرحه الأستاذ محمد محي الدين . وسيأتي التعليق عليه لا حقاً .

٩ – **شرح البُرْدة** (قصيدة بانت سعاد) طبع مراراً . وسميت البردة لأن الرسول– صلى الله عليه وسلم – أهدى عليها كعباً بردة.

١٠ – **شرح شذور الذهب** : المتقدم، شرحه الأستاذ محمد محي الدين، طبع مراراً .

١١ – **شرح الشواهد الصغرى** : ذكره السيوطي.

١٢ – **شرح الشواهد الكبرى:** ذكره السيوطي .

١٣ – **شرح (بانت سعاد)** ، طبع مراراً . ولعله شرح البردة الذي تمت الإشارة إليه في رقم ٩ مع اختلاف في نسخ الطبع.

١٤ – **شرح القصيدة اللُّغْزية في المسائل النحوية** : يوجد في مكتبة ليدن قبل الآن.حسب المؤلف.

١٥ – **شرح قطر الندى وبلّ الصّدى** : طبع مراراً.– يأتي التعليق عليه لا حقاً .

١٦ – **شرح اللّمحة لأبي حيّان** : ذكره السيوطي .

١٧ – **عُمْدةُ الطالب في تحقيق صرف ابن الحاجب** : ذكره السيوطي، وذكر أنه في مجلدين .

١٨ – **قطر الندى وبل الصدى** : طبع مراراً ، وشرحه الأستاذ محمد محي الدين .

١٩ – **القواعد الصغرى** : ذكره السيوطي .

٢٠ – **الشواهد الكبرى** : ذكره السيوطي .

٢٢ – **مختصر الانتصاف من الكشاف** : وهو اختصار لكتاب صنفه ابن المُنَيِّر في الرّد على آراء المعتزلة التي ذكرها الزُّمُخْشُري في تفسيرالكشاف . واسم كتاب ابن المنير (الانتصاف من الكشّاف .وكتاب ابن هشام يوجد في مكتبة برلين .– حسب المحقق

٢٣ – **المسائل السفرية في النحو** : ذكره السيوطي .

٢٤ – **مُغْني اللّبيب عن كتب الأعاريب** : طبع في طهران والقاهرة مراراً ، وعليه شروح كثيرة طبع منها عدد وافٍ ، وسيأتي تفصيله .

٢٥ – **مُنقذُ الأذهان، ومُوقظ الوسنان** : تعرّض فيه لكثير من مشكلات النحو، ويوجد في دار الكتب المصرية ، وفي مكتبتي برلين وباريس– حسب المحقق– ويذكر(موقظ الوسنان ومنقذ الأذهان) بالتقديم والتأخير.

ب : كتبه النحوية الشبيهة بالرسائل :

١ – الإعراب عن قواعد الإعراب : ويُعرف أيضاً (الإعراب في قواعد الإعراب)

وهو رسالة صغيرة طبعت في القسطنطينية عام ١٢٩٨هـ ، ونشرت مع ترجمة فرنسية– ده ساس عام ١٩١٩م. وفي مصر وشرحه الشيخ خالد الأزهري .

أشار إليه ابن هشام في افتتاحية كتابه مغني اللبيب عرضاً ، وبما أنه لم يتيسر في كل ماألف الوقوف على تأريخ محدد ودقيق لأي من مؤلفاته، فقد لجأ كل من تناولها إلى ترتيبها بحسب حروف المعجم فجاء ترتيبه الأول . ويكفي وصفاً له ماقاله عنه صاحبه ابن هشام – في إطار حديثه عن بدء إنشائه كتابه مغني اللبيب ، قال :

" لما أنشأت في معناه المقدمة الصغرى المسماة، بـ الإعراب عن قواعد الإعراب حسن وقعها عند أولي الألباب وسار نفعها في جماعة الطلاب مع أن الذي أودعته فيها بالنسبة إلى ما ادخرته عنها كشذرة من عقد نحر بل كقطرة من قطرات بحر..."([1])

٢ – الألغاز :

أشرنا أنه ضمن رسائله التي هي أولى بأن تكون كتاباً ألفه لخزانة السلطان الملك الكامل . هذا وقد احتوى كتابه (موقظ الوسنان وموقد الأذهان) السالف الذكر في الكتب والمؤلفات، على جملة من مثل هذه الألغاز .

والألغاز– في القاموس المحيط (بتصرّف) جمع مفرده لُغُز بضمتين ، أو لُغَز بضم وفتح أوألغوزة . ومعناه : من ألغز كلامه ، وألغز فيه أى عمّى مُراده . ([2])

وفي الاصطلاح : ينسبها صاحب كشف الظنون إلى العلم ، فيقول : "علم الألغاز هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية ، لكن بحيث لاتنبو عنها الأذهان السليمة، بل تستحسنها وتنشرح لها."([3])

وبيّن ابن هشام حقيقة الألغازالنحوية ، فقال : " اعلم أنّ اللغز النحوي قسمان : أحدهما مايطلب به تفسير المعنى . والآخر مايطلب فيه وجه إعراب .

فالأول : كقول الحريري : وما العامل الذي يتصل آخره بأوله ، ويعمل معكوسه مثل عمله ؟ الجواب : أنه (يا) في النداء فإنه عامل النصب في المنادى ، وهو حرفان ، فآخره متصل بأوله ، ومعكوسه وهو أي حرف نداء أيضاً .

والثاني : وهو الذي يطلب فيه تفسير الإعراب وتوجيهه . كقول الشاعر :

جاءك سلمان أبوها شما فقد غدا سيّدها الحارث .

---

[1] - مغني اللبيب – ابن هشام ج١/ص ٦

[2] - القاموس المحيط – بتصرّف – ج٢ص/١٨٨ – المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١هـ .

[3] - كشف الظنون – رضا كحالة - ج١-نهر-١٤٩

وإعراب هذا البيت : (جاء) فعل ماض . (كسلمان) جار ومجرور. وعلامة الجر الفتحة لأنه لاينصرف . إنما أُفردت الكاف في الخط ليتأتى الإلغاز (أبوها) فاعل جاء والضمير لامرأة عرفت من السياق . (شما) فعل أمر من شام البرق يشومه، ونونه للتوكيد ، كتبت بالألف على القياس . (سيدها) نصب بـ(شم) كما تقول انظر سيّدها و(الحارث)فاعل غدا. "([1])

هذا ، ولايبدو لي أنّ ما استدل به الرافعي، وصاحب المدرسة النحوية على أولية التأليف في الألغازالنحوية دقيقاً ، وذلك فيما رواه أبو الطيب في كتابه (مراتب النحويين) من " أنّ الخليل قال : رأيت أعرابياً يسأل أعرابياً عن البلصوص ماهو ؟ فقال طائر . قال فكيف تجمع ؟ قال البلنصي . قال الخليل : فلو ألغز رجل فقال : ما البلصوص يتبع البلنصي كان لغزاً" ([2]) : "

فالخبر المذكور عام، يفيد أنّ الخليل أقدم نحوي وردت على لسانه الألغاز دون تحديد، بينما أن ماذكره لاعلاقة له بالنحو ولا بمصطلحاته .

فينبغي التفريق بين الألغاز غير النحوية ، وبين الألغاز. النحوية كما هي رسالة ابن هشام . ولا يعتبر ابن هشام أول نحوي أكثر من الكتابة في الألغاز ووضع فيها مؤلفات ، فقد سبقه في هذا المضمار الحريري في مقاماته ، والزمخشري الذي ألف كتاب الأحاجي،الذي شرحه السخاوي وأتبعه بأحاج منظومة .

وعندي، أن هذه الألغاز ليست مما يفخر المرء بالسبق فيها ولا بالإكثار منها في النحو ، لأنّ لجوء العالم النحوي بنحوه إلى الألغاز، ما هو إلا ترف لغوي، يستهوي فقط المتمكن في النحو الذي يصنع أو يصطنع من خلال أحكامه ومصطلحاته صوراً خفية تحاور العقل والفطنة، وتثير الفضول والتسلية، وتختبر البراعة . وقد تعد الألغاز بذلك ذات قيمة من حيث ما تبعثه في هذا العلم المتشعب بالجدل والمنطق من روح تسلية تخفف على النفس من وطأة أثقاله وقيوده فيما يشبه الترويحة بالأحاجي والقصص . إلا أنّ مما يقلل من هذه القيمة هو أنّ الألغاز النحوية لايستطيعها إلا عالم نحوي . ولا يفقهها فيتسلى بها إلا من له باع في النحو . وقد يبدو أيضاً أنّ هذا الضرب من الصنعة لا يعدو كونه صناعة لفظية تضاف إلى العلل التي أثقلت النحو بالأعباء .

٣ – فَوْحُ الشَّذَا بمسألة كذا .

عبارة عن شرح وإعادة تصنيف لكتاب (الشذا في مسألة كذا) تصنيف أبي حيان ، وهو أولى بأن يكون كتاباً من حيث مادته، ورسالة من حيث الهدف . ويوجد ضمن كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي .

قال فيه : " لما وقفت على كتاب الشَّذا في أحكام كذا لأبي حيّان رحمه الله تعالى– رأيته لم يزد على أن نسج أقوالاً وحدّها، وجمع عبارات وعدّدها ولم يُفصح كل الإفصاح عن حقيقتها وأقسامها. .. ولأبين مايعتمد عليه مما أورده ولأنبه على ما أجمع عليه أرباب تلك الأقوال واتفقوا ، ولأعرب عما اختلفوا فيه وتفرقوا، فرأيت أن الناظر في ذلك لايحصل منه بعد الكد والتعب إلا على الاضطراب

[1] - الأشباه والنظائر– ج ٢ص٢٦٢

[2] - تأريخ الأدب العربي – للرافعي ج ٣ص ٤٢٥

والشغب، فاستخرت الله تعالى في وضع تأليف مهذّب أبين فيه ما أجمل ، واستئناف تصنيف مرتب،أُورد فيه ما أهمل . وسميته : (فَوْحُ الشَّذا بمسألة كذا) وبالله أستعين، وهو حسبي ونعم المعين . وينحصر في خمسة فصول :

الفصل الأول : في ضبط موارد استعمالها .

الفصل الثاني : في كيفية اللفظ بها وتمييزها.

الفصل الثالث : في إعرابها.

الفصل الرابع : في بيان معناها عند النحويين .

الفصل الخامس : فيما يلزم بها عند الفقهاء. ويستمر ابن هشام في عرض هذه الفصول مناقشاً ومحللاً ، هادماً وبانياً في تمكّنٍ بارع من مادته وخبرة وعلم بأسرارها . مشفوعة بتصوير جاذب وعرض رائع ، فيه مسحة الأدباء وحنكة البلغاء .

جً- بحوث علمية :

قدم ابن هشام في عدة رسائل بحوثاً قيمة ، نهج فيها منهج الباحث المدقّق الذي يعوّل على الحُجَّة، ويستند على الدليل من غير نظر إلى التّعصب في الرأي، أو الميل إلى الهوى؛ لأنه رجل رائده الحق لاغير.

ونكتفي في الاستدلال من بحوثه بعرض مايلي :

١- **رسالته** في قوله تعالى : **(إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيْبٌ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ)** ([1]).

قدّم بحثه فيها بقوله : في هذه الآية سؤال مشهور، الأدب في إيراده وإيراد أمثاله أن يُقال : ماالحكمة في كذا ؟ تأدباً مع كتاب الله تعالى.فيقال ماالحكمة في تذكير قريب مع أنه صفة مخبر بها عن المؤنث ، وهي الرحمة مع أن الخبر الذي هذا شأنه يجب فيه التأنيث . تقول : هندٌ كريمة وظريفة. ولايقال كريم وظريف . وإنما بينت كيفية السؤال لأنني وقفت على عبارة شنيعة لبعض المفسرين في تفسير السؤال أنكرتها. .."

"... وقد أجاب العلماء رحمهم الله بأوجه جمعتها فوقفت فيها على أربعة عشر وجهاً منها قويٌّ وضعيف . وكلٌّ مأخوذ من قوله ومتروك ، ونحن نسرد ذلك بحول الله وقوته متتبعين له بالتصحيح والإبطال بحسب مايظهر الله تعالى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ".([2])

وأخذ ابن هشام بعد ذلك يورد هذه الأوجه التي ذكرها النحاة في هذه الآية . ويعقب على كل قول بما يتراءى له من التصحيح والإبطال .

---

[1] - الأعراف-٥٦

[2] - المدرسة النحوية – ص ٣٧٩

٢ – رسالته في بعض المشكلات العربية .

في انتصاب لغةً ، وفضلاً، وخلافاً ، وأيضاً ، وهلمّ جرا .وإعرابها .

بين هذه المشكلات التي كان النحاة يقفون أمامها في حيرة واضطراب ، لصعوبة مسالكها وتعقيد إعرابها . قال :

" سألني بعض الإخوان وأنا على جناح سفر عن توجيه النصب في نحو قول القائل : فلان لايملك درهماً فضلاً عن دينار . وقوله : الإعراب لغةً البيان ، واصطلاحاً تغيير العامل ، والدليل لغةً المرشد... وقوله يجوز كذا خلافاً لفلان، وقوله : وقال أيضاً ، وهلمّ جراً .

كل هذه التراكيب مشكلة، ولست على ثقة من أنها عربية وإن كانت مشهورة في عُرْف الناس . وبعضها لم أقف لأحد على تفسير له، ووقفت لبعضها على تفسير لايشفي عليلاً ، ولا يبرد غليلاً .

وها أنا مورد من هذه الأوراق ماتيسّر لي، معتذراً بضيق الوقت وسقم الخاطر، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب."([1]).

ثم يمضي ابن هشام يحقق هذه المشكلات ، ويعرضها في وضوح ليكشف عنها النقاب ، ويذلل ما فيها من الصعاب .

٣– رسالته في الاستفهام .

قال : " وبعد، فهذه مسألة في شرح حقيقة الاستفهام ، والفرق بين أدواته على حسب ما التمس منّي بعض الإخوان ، وبالله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولاقوّة إلا بالله العليّ العظيم".([2])

٤ – رسالته على قول القائل : " كأنّك بالدُّنيا لم تكن، وبالآ خرة لم تَزَلْ" .

بيّن في هذه الرسالة أنّ البحث فيها يتضمن القائل لهذه العبارة ، وبيان معنى كأنّ، ثم البحث في توجيه الإعراب . وكعادته وطريقته المألوفة – عرض هذه الرسالة لكل رأي، ثم تعقّب تلك الآراء معارضاً أو مؤيّداً، مع بيان رأيه الخاص في كلا الحالتين .

٥ – رسالته في التنازع :

قال السيوطي : " ووجدت بخط الشيخ ركن الدّين بن قدير مانصّه : وجدتُ بخط الشيخ جمال الدين بن هشام رحمه الله تعالى– رسالة، ابتدأ فيها بعد تسمية الله وحمده والصلاة والسلام على رسول الله عليه السلام ، بقوله : قال الفقير إلى ربه عبد الله بن هشام –غفر الله له ولوالديه، ولأحبابه ولجميع المسلمين : هذا فصل في الشروط التي بها يتحقق تنازع العاملين أو العوامل، تتبّعنا ذلك فوجدناه منحصراً في خمسة شروط، شرطين في العامل ، وشرط في المعمول، وشرط بينهما..."([3])

---

[1] - الأشباه والنظائر- السيوطي ج ٣ص١٨٧ . وانظر المدرسة النحوية ص ٣٨٠

[2] - المصدر – نفسه ج ٣ص١٨٨

[3] - الأشباه والنظائر – السيوطي ج٣ص/١١١

٦ – رسالته في استعمال المنادى في تسع آيات من القرآن الكريم .

وهي مما اكتفت المصادر بالإشارة إلى وجودها في مكتبة برلين قبل الآن، دون ذكر لتفاصيل عنها .

هذا، وهناك بعض المؤلفات لابن هشام لم أجدها مع محمد محي الدين عبد الحميد في تعليقاته على كتب ابن هشام ، وليست في الأشباه والنظائر للسيوطي ، كما لم أشاهدها في غير ذلك لمعرفة ما إذا كانت ضمن الكتب أو الرسائل . وهي مما أورده الدكتور الشيخ محسن بن سالم العميري – جامعة أم اقرى– في مصادره من كتابه (مواقف ابن هشام من الجوهري) . كما يلي:

- **تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام** –ت –د. عباس الصالحي ط١ – الدار العربي بيروت ١٤٠٩هـ
- **الحكمة في تذكير (قريب) لابن هشام** ت–د. عبد الفتاح الحموز – الأردن ١٤٠٥هـ
-
- **نزهة الطرف في علم الصرف** – لابن هشام ت–د. أحمد هريدي – مكتب الزهراء القاهرة ١٤٠٠هـ

وقد ظلت تلك الكتب والرسائل محور النحو والنحويين إلى يومنا هذا، أقبل عليها العلماء شارحين ومعلقين، وانبرى فيها الطلاب دارسين وباحثين، وما ذلك إلا لأنّ مؤلفات ابن هشام تتسم بالطابع التعليمي ، ولاتهدف إلى الجدل الذي لاطائل وراءه. ولم تكن الكتب النحوية السابقة إلا ميداناً لهذا الجدل ومسرحاً للمناقشات الفلسفية والمنطقية التي عقّدت النحو ونفّرت منه النفوس، ونلمس ذلك في الثورات المتكررة على النحو والنحاة في كل جيل وفي كل زمن ، منذ عهد سيبويه،

المبحث الخامس

أصول ابن هشام وشواهده

وأعني بأصوله: الأصول النحوية، وهي كل ما اتصل بمنهجه في العمل النحوي من شواهد وأدلة ، ومن آراء متفرّدة واتجاهات نحوية مدرسية، ومن مواقف له مع النحاة السابقين له والمعاصرين، مما سأعرض له خلال الفصول اللاحقة، – وتتميماً لهذا الفصل الثاني من ترجمة ابن هشام – اكتفي هنا بذكر شواهده وأدلتة ، مع تحليل ما جاء حولها من والانتقادات، ومن ثَمَّ توثيق وفاته فيمايلي :

١ –الشواهد والأدلة

احتج ابن هشام بالأدلة المعتمدة في الاستشهاد لدى أئمة اللغة والنحو، وهي القرآن والحديث الصحيح والشعر وسائر كلام العرب الموثوق بعربيتهم من أدلة السماع . واعتمد كذلك القياس والتعليل .

* **القرآن** : فاق استشهاده به كل استشهاد، بل وجعل آياته الكريمة مداراً لأمثلتة ونماذجه وتدريباته النحوية، بصورة لم يسبق إليها. وقد وجهها توجيهاً يقرر ويوضح الحكم والقاعدة مثل قوله : " ويقع الخبر ظرفا كقوله تعالى : (والرَّكْبُ أسْفلَ مِنْكُمْ) (١). وجاراً ومجروراً، كقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَلَمِيْنَ)(٢)، وهما حينئذٍ متعلقان بمحذوف وجوباً تقديره مستقر أو استقرُ والأول اختيار جمهور البصريين ، وحجتهم أنّ المحذوف هو الخبر في الحقيقة، والأصل في الخبر أن يكون اسماً مفرداً . والثاني، اختيار الأخفش والفارسيّ والزمخشري، وحجتهم أنّ المحذوف عامل النصب في لفظ الظرف ومحل الجار والمجرور، والأصل في العامل أن يكون فعلاً."(٣)

هذا، مع عنايتة الشديدة بأوجه القراءات والإعراب كمثل قوله :

" وقد يحذف الضمير سواء كان مرفوعاً ، نحو قوله تعالى : (ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ)(٤) أي الذي هو أشدُّ، أو منصوباً، نحو(وماعَمِلَتْ أَيْدِيْهِمْ) (٥) ،وقرأ غير حمزة والكسائي وشُعبة(عَمِلَتْهُ) بالهاء على الأصل، وقرأ هؤلاء بحذفها. أو مخفوضاً بالإضافة ، كقوله (فاْقْضِ ماأنْتَ قَاضٍ)(٦)، أي ماأنت قاضيه ..."(٧) .

---

١ – الأنفال: ٥٢

٢ ـ الفاتحة : ١

٣ ـ قطر الندى – ص ١٢٠

٤ ـمريم : ٥٦

٥ ـ يسين : ٣٥

٦ ـ طه من آية: ٧٢

٧ ـ قطر الندى ـص ١٠٨

ومثل قوله في توجيه قراءة الحسن (...) :

" فإن قلت ماتصنع في قراءة الحسن (تَسْتَكْثِرْ) – وذلك من قوله تعالى :(ولاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ)([1])– "

قلتُ : يحتمل ثلاثة أوجه:

إحداها : أن يكون بدلاً من (تَمْنُنْ)، كأنه قيل(لاتَسْتَكْثِرْ) أي لاتزَ ماتُعطيه كثيراً .

الثاني : أن يكون قدّر الوقف عليه لأنه رأس آية ،فسكنه لأجل الوقف ، ثم وصله بنية الوقف .

الثالث : أن يكون سكّنه لتناسب رؤوس الآي وهي: (فأنْذِرْ، فَكَبِّرْ، فَطَهِّرْ، فاهْجُرْ) ([2]).

* **الحديث** : احتج بعدد من الأحاديث، أورد منها أكثر من اثنين وعشرين حديثاً من الصحاح، في كتابيه قطر الندى وشذور الذهب. كشواهد لمذهب، أو تقريراً لقاعدة . الأول مثل حديث (ليس من امبر امصيام في امسفر) والثاني كحديث : (خمس صلوات كتبهن الله ...). ([3])

* **الشعر**: استشهد بما استشهد به النحاة السابقون شعراً ونثراً، من عصورالاحتجاج، وزاد من شعر المولدين والمحدثين، بل ولم يستنكف الاستشهاد بالأمثلة المجهولة النسبة إلى قائل، اعتماداً على سليقته وجودة فهمه وقدرته على تمييز الفصيح من الأقوال. جاء بها كذلك إما لتقرير قاعدة، أو لتوضيح حكم ([4]).

* **القياس** : وقد دل على أنه أكثرمن القياس كثرة الشواهد التي سجلتها كتبه، لأنها مجال القياس . وكثيراً ماظهر في أعماله أثر القياس الفقهي الذي هو وإن كان معيباً في اللغة من ناحية، إلا أنه بالنسبة لابن هشام ومنهجه مفيد من حيث أنه القياس التعليمي الذي يصلح في توصيل المادة خاصة للمبتدئين . وسوى ذلك " لاغناء فيه ولاجدوى منه في الوقوف على حقائق اللغة وقوانينها، وكثير من أمثلته في مصنفات أصحابه يدل على أنها أمثلة لاواقع لها في اللغة، كقولهم مثلاً : كيف تبني من ضرب على فعْلَلَ ؟ ولا وجود لبناء (ضرْبَبَ) في اللغة "([5])

كما أن القياس عند ابن هشام لايُعتمد إلا إذا كان سنده من كلام العرب المجمع على فصاحته .

* **التعليل** : وقد جرى عنده مجرى السابقين ، خاصة ابن جني – كما أفاد ابن خلدون – فأبدع في التفرد بتعليلات كثيرة تتبادر إلى أذهان الدارسين ولم يفطن إليها غيره . كتعليله البدء بالمفعول به من بين المفاعيل في التصنيف، ولا يخفى إنّ التعليل عند ابن هشام من أدوات المنطق الجدلي، كما سيأتي .

---

[1] - الكوثر: ٥

[2] - قطر الندى – ص ١١٣

[3] - انظر ص١٧٤ من هذا البحث مع ما بعدها

[4] - راجع ص١٧٨ من البحث مع ما بعدها .

[5] - الدراسات اللغوية – د. محمد حسين ياسين – ص ٣٤٦

فمصادر ابن هشام في الاستشهاد إذن هي : القرآن الكريم ، وكتب الصحيح، ودواوين الشعر وبعض كتب اللغة ومصنفات النحو قبله قاطبة .

٢ – وقفة مع أخطاء في شواهد ابن هشام

أقدم الشيخ الدماميني في تعليقه على المغني ، المسمى " تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب " – أقدم على الإسراف في تعقب ابن هشام في بعض آرائه ، مما حمل الشيخ الشُّمُنِّي على الإكثار من الرّد عليه في حاشيته على المغني وقد سماها : " المنصف من الكلام على مغني ابن هشام " وقد أصاب الدماميني أحياناً في تعقبه .

قال : "... ففي بعض شواهد ابن هشام في المغني عرض تحريف لا نحسبه عليه في هذا المؤلف الكبير . من ذلك على سبيل المثال :

١– استشهاده (في مبحث التاء...) على قلة تقدم الخبر جملة ، بقول الفرزدق

إلى ملكٍ ما أمُّهُ من مُحاربٍ أبوه ، ولاكانت كليبٌ تُصَاهِرُه .

والصواب (أبوها) كما يقتضيه البيت التالي وهو :

ولكنْ (أبوها) من رَواحةَ ترتقي بأيّامِه قيسٌ على من تفاخرُهْ .

وبهذا صار البيت شاهداً على تقدّم الخبر شبه جملة لا جملة كما هو ظاهر . ولا شيء يؤخذ عليه في ذلك ".([1])

ففي هذا التعقّب للدماميني تبرير لعمل ابن هشام رغم التحريف الواقع بـ (أبوه) مكان (أبوها)، والذي لايحسبه الدماميني من الكاتب، ولا علاقة لمبحث التاء بالاستشهاد، فابن هشام إنما يستطرد من خلال مبحثه في التاء، في ذكر قاعدة عارضة وهي تقدم الخبرشبه جملة، لأن النحو متشعب القضايا.

فتقدير البيت على اعتبار (أبوها) قبل التحريف –– كما يلي : إلى ملك ما أمُّهُ (من محارب أبوها) وإعرابه : أبوها مبتدأ، من محاب خبره شبه جملة متقدم عليه –وهو ما أراده ابن هشام– أما التحريف (أبوه) يقتضي أن يكون التقدير : (إلى ملك أبوه ما أمه من محارب) وإعرابه حينئذٍ : أبوه مبتدأ، خبره (ماأمه من محارب) وهو جملة، ولا شاهد فيه على تقدم الخبر شبه الجملة ، بل على الخبر جملة وهو الظاهر مع هذا التحريف الذي أسقطه الدماميني.

ومثال آخر:

٢ – استشهاده في مبحث (كل) على وجوب مراعاة معناها بحسب المضاف إليه النكرة ، فهو مثنى في قول الفرزدق :

---

[1] - تحفة الغريب – للدماميني ص ٧٧ -

وكلُّ رفيقيْ كلِّ رَحلٍ وإن هما تعاطى القنا قوما هما أخَوانُ .

وبالنظر إلى روايته (قوماً) بالتنوين قال ابن هشام : " وهذا البيت من المشكلات لفظاً وإعراباً ومعنىً فلنشرحه ..." "(١) .انتهى .. ثم قال ما قال بناءً على روايته الخاطئة .

وقد أبان الدماميني في تعليقه على المغني أنّ (قوما) مثنى. وطاح كلام ابن هشام من أساسه" (٢)

أقول : أما تعقّب الدماميني في هذا المثال الأول فله وجاهته ، وفي نفس الوقت لا ينبغي أن يُلام ابن هشام . ولا نخطّئه لأنه غير مخطئ في التباس عبارة (قوما هما) عليه ، ويُرَدُّ ذلك بأمور ثلاثة :

أحدها : احتمال أنّ الالتباس ناتج من رداءة الخط ، ومن المؤكد ليس هو من صنعه أو من سوء نظرته .

ثانيها : إنّ تخريج هذا الجزء من البيت ورد في إطار استطراده بعيداً عن الموضوع الأساس – مراعاة معنى (كل) ، وبالتالي لا أثر له في الموضوع .

ثالثها : لقد أبدى ابن هشام احتراسه في ذكاء حينما اصطدم بهذا اللبس غير المقصود، بتصريحه بوجود إشكال في اللفظ والإعراب والمعنى في البيت ، فلأنه نحويٌّ يتذوق أثرالتركيب وإعرابه على المعنى واللفظ، أحسّ فيه ما يخدش هذا الأثر بذلك التقدير الملبس .

وبصرف النظر عن شرح ابن هشام للبيت بناء على روايته الخاطئة ([٣]) ، أقول في تحليل شرحه:

- معنى البيت على روايتة الصحيحة هو : (إن كل رفيقي درب وإن تقاتل قوماهما سيظلان أخوين)
- المعنى المحتمل على رواية ابن هشام الخاطئة هو : (إنّ كل رفيقي درب وإن هما قاتلا قوماً ما سيظلان أخَوين ، أو سيظل الجميع إخْوَاناً) .

فالإشكال في المعنى : هو لو أنك قدّرت (أنهما سيظلان أخوين للقوم الذين قاتلاهما) كان المعنى ساذجاً وغير مألوف .

وإن قدّرت (أنهما سيظلان أخوين بينما القنا تتناوش القوم) كان المعنى أيضاً بعيداً ساذجاً .

وفي الحالتين يظل التركيب ملتوياً عند نقطة إسناد كل من التعاطي والأخوين ، ويظل اللفظ مُكرهاً فيه . وإعراباً يصعب توجيه النصب في (قوماً) إلا بعد تقدير وتأويل وتكبد مجاز لا أساس له .

ومن هنا كان احتراس ابن هشام وتعليله في محله .

---

[١] - نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة – محمد الطنطاوي ص ٢٣٦ – الطبعة الثانية .

[٢] - نفسه –ص ٢٤١

[٣] - راجع المدرسة النحوية ص ٢٤١

٣–وفاة ابن هشام :

كما اتفق المؤرخون على تأريخ ولادة ابن هشام، فكذلك اتفقوا أيضاً على تأريخ وفاته، وكان في الشهر الذي ولد فيه، أي في ذي القعدة من سنة ٧٦١هـ(١).

وعند ابن حجر في الدرر الكامنة، توفي ليلة الجمعة في خامس ذي القعدة، وهو نفس اليوم الذي ولد فيه.

أما صاحب كشف الظنون فقد ذكر في غير موضع من كتابه أنه توفي سنة ٧٦٢هـ.(٢)

وسجل النجوم الزاهرة الساعة التي دفن فيها، والقبر الذي وارى جثمانه بأنه : " دفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة "(٣).

وكان لموته هزة عنيفة في نفوس معاصريه من العلماء والأدباء. فقد رثاه ابن نباتة (...) بقوله :

سقَى ابنَ هشامٍ في الثرى نوءُ رَحمةٍ يَجُرّ على مَثواهُ ذيلَ غَمامِ

سأرْوِي لهُ مِن سيرةِ المَدْحِ مسنداً فمازِلتُ أرْوي سيرةَ ابنِ هشامٍ

هذا وفيما يلي من الفصل الثاني، عرض لأشهر الكتب الأربعة التي يدور فيها هذا البحث في تطوّر الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري – رحمه الله .

---

[١] - شرح التصريح على التوضيح – الشخ خالد الأزهري ج١/ص٥

[٢] - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون– حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)– ص١٤٢ – وما بعدها – وكالة المعارف بإستنبول .

[٣] - النجوم الزاهرة – أبو المحاسن - ابن تغري بردي –ج ١٠/ص٧٦١ – دار الكتب المصرية ٢٤/ ١٩٦٥م .

الفصل الثاني
كتب ابن هشام الأربعة، دراسة وتحليل

- المبحث الأول : قطر الندى وبل الصدى وشرحه .

- المبحث الثاني : شذور الذهب وشرحه .

- المبحث الثالث : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .

- المبحث الرابع : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

المبحث الأول

قطر الندى وبل الصدى وشرحه:

- أهمية دراسة الكتب الأربعة

لابدّ - لقياس مظاهر التطور الفكري الإصلاحي عند ابن هشام- من وقفة متأنية على المنهج مفصلاً في مؤلفاته المشهورة؛ لأنها تحتوي كل سياساته الفكرية القائمة على التطور.

وهكذا فإن أستعراض كتب ابن هشام الأربعة في هذا الفصل يوفرالصورة العامة لمظاهر الفكر عند ابن هشام، ويلقي الضوء على اتجاهات ومظاهر فكرية، تمثل في مجموعها ركيزة لخطوات التطور النحوي في فكرابن هشام الذي نسعى لتتبعه.

فهذه الكتب الأربعة لابن هشام : - قطر الندى ، شذور الذهب ، أوضح المسالك ، مغني اللبيب- قد طارت شهرتها في سماء النحو بين المتعلمين بما لم يتفق لمؤلف بعد كتاب سيبويه ولا بعد مؤلفات ابن جني ، ولا غيرها . إذ راجت بين الدارسين والمهتمين بالنحو من العلماء والعامة ، كمراجع أغنت كل باحث عن طلب زبدة العلم وخلاصته في شعاب النحو، ولبّت حاجة المبتدئين وهم أغلب البشر- بما توفرت عليه في ضوء تتابعها فكراً بعد فكر على مدى سنوات حياة مصنفها ابن هشام العلمية، من سمات التدرّج التصاعدي والنمو الفكري المرن بالنحو، لمن هم في حاجة للتيسير والتسهيل . من خلال أساليب جديدة تنوعت مابين :

- آراء سديدة يتدخل بها بين العلماء لفض نزاعاتهم وتوجيه آرائهم .
- ومناظرات تجنح إلى إزالة الغموض وجمع للعقول من براثن التشتت بين الآراء المتعارضة التي تذهب بها كل مذهب .
- وأساليب تعليمية بسيطة ، تنبو عن التراكيب الغامضة والمصطلحات العقيمة.

وكل ذلك مبثوث بقوة في أنحاء متفرقة من تلك الكتب الأربعة ، التي جاء في ختامها كتابه مغني اللبيب جبلاً شامخاً على قمة التطويرالنحوي بما تضمنه من إعداد طريف غير مسبوق ومن مادة نحوية جديرة بأن توصف بإضافة إصلاحية حقيقية في تصنيفها وانتقائها بما يتناسب وحاجات المتعلمين .

- القطر - تعريفه :

القطر : مقدّمة صغيرة في النحو رأى المؤلف حاجتها إلى التوضيح والتفصيل والشرح والتبيين- كما أشار في مقدّمته – فألف لها شرحاً اشتهر (بشرح قطر الندى) . وقد أسهم في شرحها كذلك الكثيرون ، منهم :

- **الشهاب أحمد بن الجمال عبدالله بن أحمد على الفاكهي** . باسم : مجيب الندا في شرح قطر الندى . أتمّه في يوم الاثنين الثالث عشر من رجب (سنة ٩٢٤هـ) - ومنهم:

- **محمد بن علي بن أحمد الحريري** المتوفى (سنة ١٠٥٩هـ) . جاء مهذّباً لشرح الجمال ومحرراً له بالإضافة إليه ما يكمله . وقد أتمه في محرم (سنة ١٠٤٧هـ)

ولا يخفى أن الأستاذ/ محمد محي الدين عبد الحميد ، هو أحد شرّاحه الذين تميّزوا كذلك بتحقيق كتب ابن هشام والتعليق عليها بمايفيد في كثير من جوانبها .

وشرحُ ابن هشام لمقدمتة بنفسه أفاد الناشئين فائدة كبيرة وكاملة، لما اشتمل عليه شرحه من حسن العرض وجمال الأسلوب ووضوح الفكرة وسهولة العبارة مع ايجاز غير مخلٍّ ، مع شموله – رغم ذلك – لكثير من أبواب النحو ومسائله المطلوبة لطالب العلم . هذا فضلاً عن أنّ شرحه الخاص لكتابه ، وهو الذي يعنينا أكثر من غيره هنا .

منهجه :

الدارس لكتاب قطر الندى وشرحه، يرى أنّ ابن هشام حاول أن يضم أبواب النحو المتشابهة بعضها إلى بعض، فجعل قسماً للمرفوعات، وقسماً للمنصوبات، وقسماً للمجرورات، بعد أن تحدّث عن البناء والإعراب.

وإذا عرض لمسألة خلافية بسط آراء النحويين فيها مع الإيجاز، وربما فضّل رأياً على رأي، وقوّي مذهباً وضعّف آخر حسب مايتسنى له من القوة التي تلامس الدليل . فيضع بين يديك خلاصة يسهل تداركها ، كنحو : تفصيله الآراء في فعلية (نعم وبئس وعسى وليس) [1] . وخلاصتها عنده كما يلي :

نعم، بئس، عسى، ليس	أفعال ماضية : لقبولها تاء التأنيث .	ابن هشام
نعم، بئس .	اسمان : لدخول حرف الجر عليهما .	الفراء ، وجماعة من الكوفيين .
ليس	حرف نفي بمنزلة ما النافية .	الفارسي ، أبوبكر بن شقير.
عسى	حرف ترجٍّ بمنزلة لعلّ .	ابن السراج ، والكوفيون .

[1] - ش قطر الندى – ابن هشام – ص٣٥-٣٦ ت/ محمد محي الدين – دار الفكر العربي .

كما حاول ابن هشام في هذا الكتاب أن يكون معلِّماً قبل أن يكون مؤلِّفاً؛ لأنه في أكثر مسائله يذكر القاعدة، ثم يأتي بمثال يوضِّحها ، فإذا تم له ذلك قوّاها بالشاهد، ودعّمها بمايسندها من كلام العرب .

وتلك إحدى الطرق التي اشتهرت في النظم التعليمية الحديثة، فيما يسمى بأسلوب القياس أو الطريقة التوضيحية، من العام إلى الخاص. عكس الطريقة الاستقرائية من الخاص إلى العام ([1])

والقطر من أوائل ما ألف ابن هشام ، وإن لم يشر في مقدماته إلى تأريخ محدّد له ، يُتبيَّن به السابق من اللاحق بين مؤلفاته ، إلا أن الدلائل كلها تشير إلى تقدم قطر الندى على غيره من كتبه الأربعة الشهيرة من خلال بعض البينات البسيطة في أقواله فيها. منها أنه :

لما كان هذا الكتاب قد وضعه ابن هشام للمبتدئين، كان ينفر،أو بالأحرى يترفع فيه من الاستطراد ، ويهرب من احتدام النقاش بين النحاة في المسائل التي تكون موضع خلاف بينهم. على عكس فعله في كتابه التالي شذور الذهب. فإذا ذكر شيئاً من هذا الخلاف لا يلبسه ثوب الاستطراد ، والتقصّي لأدلة المعارضين أو المؤيدين ، وذلك لأنه رأى – ورأيه حق– أنها " كافية لمن اقتصر عليها، وافية ببغية من جنح من طلاب علم العربية إليها." ([2]) . كما يعلل قائلاً : " لأنّ التعمق في مناقشة مسائل النحو لايتفق مع مَن بحث في هذا العلم وصعد إلى قمته.

وفي طوايا الكتاب الكثيرمن أدلة هذا النفور من الاستطراد، حيث يكثر من التعبير عن ذلك في عقب كل مسألة آثر عدم الاستطراد فيها بنحو قوله : وفي هذا الجواب نظر .. . أو ... لايحتمله هذا المختصر ..أو ... وفي هذا الفصل تفاصيل كثيرة لايليق بها هذا المختصر. ... أو . وسيأتي تفصيل ذلك كله ... ونحو ذلك .([3])

من أمثلة ذلك قوله في **(إذما)** :

" فأما إذما فاختلف فيها سيبويه وغيره. فقال سيبويه: أنها حرف بمنزلة إنْ الشرطية، فإذا قلت : إذْ ما تقمْ أقُمْ ، فمعناه إنْ تقُمْ أقُمْ . وقال المبرّد ، وابن السّرّاج، والفارسي: أنها ظرف زمان، وأنّ المعنى في المثال ، متى تقمْ أقمْ . واحتجّوا بأنها قبل دخول "ما" كانت اسماً ، والأصل عدم التغيير، وأُجيبُ : بأنّ التغيير قد تحقّق قطعاً بدليل أنها كانت للماضي فصارت للمستقبل ، فدلّ على أنها نُزع منها ذلك المعنى ألبتة ... ولا يلبث أن يقول : " وفي هذا الجواب نظر لا يحتمله هذا المختصر" .([4])"

---

[1] - انظر المبحث الثالث من الفصل الثامن في هذا البحث

[2] - قطر الندى – ص١٢

[3] - القطر نفسه ص٤٨ – ص ١٥٣ ص ٢٤٤

[4] - نفسه – ص ١٥٣

كما يدل على أنّ منهجه في شرحه لمقدمته لم يكن الغرض منه الجري وراء الخلاف ، وتعقّب آراء النحاة بالنقد والتجريح ، ماذكره عند الكلام على أداة التعريف . قال :

" والمشهور بين النحويين أنّ المعرِّف : (ال) عند الخليل ، و(اللام) وحدها عند سيبويه ... وزعم ابن مالك أنه لاخلاف بين سيبويه والخليل في أنّ المعرِّف ، ال . قال : إنما الخلاف بينهما في الهمزة ، أ زائدة هي أم أصلية، واستدلّ على ذلك بمواضع أوردها من كلام سيبويه ...ثم قال : والاحتجاج لهذه المذاهب يستدعي تطويلاً لايليق بهذا الإملاء."([1])

ومن ذلك أيضاً أنه كثيراً ما يكتفي بعرض وتوضيح المذهبين المتقابلين في المسألة بلا تعليق ، كما فعل في الحديث عن (مهما) قال :

" أما (مهما) فزعم الجمهور أنها اسم بدليل قوله تعالى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ) ([2]) فالهاء من (به) عائدة عليها ، والضمير لايعود إلا على الأسماء . وزعم السُّهَيْليُّ وابن يَسْعُون ، أنها حرف، واستدلا على ذلك بقول زهير :

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلمِ .

وتقرير الدليل أنهما أعربا خليقة اسماً لتكن ، ومِن زائدة ، فتعين خلو الفعل من الضمير . وكون مهما لاموضع لها من الإعراب ، إذ لايليق بها ههنا لو كان لها محل إلا أن تكون مبتدأ ، والابتداء أيضاً متعذر لعدم رابط يربط الجملة الواقعة خبراً له ، وإذا ثبت أن لاموضع لها من الإعراب تعيّن كونه حرفاً "([3])

فهو هنا لم يؤيد أياً من المذهبين على حساب الآخر اكتفاء بعرضهما على الطلاب بما يدل ذلك على استحسانه لكلا الوجهين ، وذلك وجه من وجوه الاتساع في صالح المتلقي . ولا عبرة بما ذهب إليه الأستاذ / محمد محي الدين في هامش هذه المسألة من تأييد لرأي الفريق الأول هنا .([4])

وكذلك كثيراً ماكان يستبعد الآراء التي تؤدي إلى التشويش، وليس وراءها من جدوى سوى الفلسفة المنطقية . ففي باب إعراب المضارع . استبعد في تحقيق رفع المضارع آراء الكسائي وثعلب بعد أن أشار إليهما، وحرص – مع الفرّاء وأصحابه ، من الكوفيين–على أن يكون رافعه هو التجرد من الناصب والجازم .

كما أنه يحاول تركيز الفهم الصحيح في إذهان المستفيدين من الطلاب للألفاظ وللآيات القرآنية التي يتطرق إليها الوهم بسبب الخلاف أو في ظل القراءات المتضاربة مع قواعد إعرابية معينة .

فيتحرز من ذكر ما لايتناسب من الأمثلة مع الموقف التعليمي التأديبي : كقوله : " الأفصح استعمال (الهَنُ) كغدٍ " وذلك بعد أن ذكر ماقيل من معانيه : كالكناية عن أسماء الأجناس : كرجل وفرس

---

[1] - قطر الندى – ص ١٠٩

[2] - الأعراف : ١٣٢

[3] - القطر نفسه ص ٤٩ -

[4] - نفسه ص ٤٩ .

وغيره . أوعما يستقبح التصريح به ، أو عن الفرج خاصة . فأدار أمثلته بالتالي على المعنى الذي لايوافق إلا أسماء الأجناس وهو الغد . فقال " تقول هذا هنٌ ورأيت هناً ومررت بهن . كما تقول يعجبني غدٌ وأصوم غداً . وأعتكفت (أعتكف) في غدٍ . (١)

كما نلاحظ حرصه على عدم التلفّظ بكلمة من مثل:(شاذّ) إلا بقلة، ومنسوبة إلى القراءة لا إلى القرآن ولا إلى القارئ ، وذلك في المواضع التي يترجّح فيها خلافها بشدّة واجماع . قال في باب الإشتغال :

" أما الذي يترجح فيه الرفع مما عدا ذلك كقولك (زيدٌ ضربته) . قال تعالى : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) (٢) أجمعت السبعة على رفعه، وقُرئ شاذاً(مجهولا) بالنصب، وإنما يترجح الرفع في ذلك لأنه الأصل ولامُرجّح لغيره " .(٣)

أو يحرص على تثبيت الفهم السليم لمعنى الآية وفق إعرابها الأصح في الإشتغال. فيقول:

" وليس منه قوله تعالى : (وَكُلُّ شيءٍ فَعَلوْهُ فِي الزُّبُرِ)(٤) لأنّ تقدير تسليط الفعل على ماقبله إنما يكون حسب المعنى المراد، وليس المعنى هنا أنهم فعلو كلّ شيء في الزُّبر، حتى يصح تسليطه على ماقبله، وإنما المعنى : وكل مفعول لهم ثابت في الزُّبر ، وهو مخالف لذلك المعنى . فالرفع هنا واجب لاراجح ، والفعل المتأخر صفة للاسم، فلايصح أن يعمل فيه .."(٥)

وهذا كذلك من قبيل إعتراضات ابن هشام على المعربين في مغني اللبيب – يأتي لاحقاً في الفصل التاسع الآتي .

ومن التعليلات التي وافقت حرصه على أهمية المعنى البلاغي في تطابقها مع الإعراب إشارته إلى إجماع النصب في الأنعام من قوله تعالى: (خُلِقَ الأنْسَانُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذَاهُوَ خَصِيْمٌ مُبِيْنٌ والأنْعَامَ خَلقَها لكُمْ)(٦) قال : " أجمعوا على نصب الأنعام لأنها مسبوقة بجملة فعلية للتناسب "(٧) والتناسب هنا أن يكون المعطوفان بهذا التقدير جملتين فعليتن (وخُلق ... و...خلقها) .

وقد حرص ابن هشام أن يستصفي له آراء جزئية فريدة من كل جولة من خلال نظرات النحاة . تدل على ملاحظاته الذكية لبعض الأبواب المثيرة للشبه والإلتباس في أحكامها : . مثل إيراده في باب المفاعيل الخمسة بعض التسميات التي تنبّه إليها بعض النحاة مما يعتمد على ذلك الشبه

---

١ ـ نفسه – ص ٦٢
٢ ـ النحل ٣١
٣ ـ قطر الندى ـ ٢٧٣
٤ ـ القمر ٥٢
٥ ـ نفسه – ص ٢٧٣
٦ ـ النحل : ٤ ـ ٥
٧ ـ نفسه – ص ٢٧٠

المتقارب . فقال : " نقض الكوفيون المفعول له فجعلوه من باب المفعول المطلق ، مثل قمت إجلالاً لك على زنة قعد جلوساً "([1])

وقال : "وزاد السيرافي سادساً وهو المفعول منه نحو : قوله تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) ([2]) أى من قومه – ولعله مااصطلح عليه غيره بالنصب على نزع الخافض .

وقال : " وسمى الجوهري المستثنى مفعولاً" ([3])

وتدعيماً لأسلوبه التعليمي انتهج في القطر كما في غيره، طريقة العرض المنطقي المتأثر بأدوات المنطق وأساليب الفقه وعلم الكلام. حتى ليبدو أسلوبه صورة تدريسية أكثر منها إملائية . فقد أكثر من استخدام الاستفهامات المثيرة للانتباه . مثل قوله : ألاترى أنّ آخر زيد تغيّر بالضمة والفتحة والكسرة بسبب ما دخل عليه من (جاءني) و(رأيت) و(الباء"([4]) .

أو يردد الاستفهام مع أسلوب التدرج المنطقي الكلامي الفقهي ، كقوله : فإن قلتَ لم اشترطتَ كذا ؟ قلتُ إنما احتاجوا إلى ذلك لكذا .. وإنْ قلتَ فلم عدلتَ عن اللفظ إلى القول ؟ قلتُ لأنّ اللفظ ... أو أجيب كذا وكذا . ونحو ذلك مما هو مبثوث في كتبه لا يخلو منه باب .

أو يتبع التقسيم ويمارس أحياناً أساليب اللّف والنشر المتبع في الفنون المنطقية، خاصة في معرض الردّ على رأي ، أو لتأكيد رأي .كقوله :

"... فانتفى أن يكونا اسمين وأن يكونا فعلين ، وتعين أن يكونا حرفين إذ ليس لنا إلا ثلاثة أقسام ، وقد انتفى اثنان ، فتعين الثالث"([5])

وكقوله : " والعلامات الفروع منحصرة في سبعة أبواب ، خمسة في الأسماء، واثنان في الأفعال ، وستمر بك هذه الأبواب مفصلة بابا باباً.."([6])

وقال في اعمال أنْ المضمرة : " إما إعمالها مضمرة فعلى ضربين ، لأنّ إضمارها إما جائز وإما واجب، . فالجائز في مسائل ..." ([7])

ونحو ذلك كثير جاء به في عدة مصطلحات كالاقسام والصور والأوجه والمسائل ونحوه .

وكذلك من مزايا منهجه التعليمي المتكامل في القطر: أنه قد يورد الحكم متضمناً فوائد غير مباشرة تثري الدرس ويستفاد منها ، مثل قوله – في إطار اعتراضه أن تكون الحركة يجلبها العامل لاغير– : " يجوز أن تقول في جلستُ حيثُ جلس زيد : حيثُ ، وحيثَ ، وحيثِ . إلا أنّ هذه

---

[1] ـ القطر ـ ص ٢٧٩

[2] اية الأعراف ٢٥ ـ٠القطرنفسه – ص ٢٧٩ ـ

[3] ـ قطر الندى – ص ٢٨٠

[4] ـ القطر – ص ١٦ – وذلك من نحو قولك : (جاءني زيدٌ ، ورأيت زيداً ، ومررت بزيدٍ .)

[5] ـ القطر – ص ٤٨

[6] ـ نفسه – ص ٥٩

[7] ـ نفسه – ص ٨٩

الأوجه ليست بسبب العوامل؛ لأنّ العامل واحد وقد وُجد معه التغيير "[1] فترى هنا – بالإضافة الإفادة بالحكم المذكور، يستفيد المطلع حكماً آخر يتعلق بما يجوز في ضبط حيث .

لم يغادر ابن هشام حتى أردف جهوده في قطر الندى بدرس في الإملاء والتحرير لبعض المفردات التي يُستشكل فيها ذلك ، مثل كتابة نون التوكيد الخفيفة في نحو (يكتبنْ) عند الوقف . وكتابة إذن بالنون أو إذاً بالألف والتنوين . قائلاً " لما ذكرت الوقف ... ذكرت كيفية رسمها في الخط استطراداً ..." [2] ، وهنا وجه في التكاملية كما سيأتي ،بالفصل التاسع الآتي.

وخلاصة القول : أنّ عمل ابن هشام لخدمة النحو في القطر كان عملاً جليلاً، قربه للناشئة مبتعداً فيه عن خلافات النحاة ، ومايصحبها من معارك ومناقشات تؤدي إلى اختلاط المسائل واضطراب الأفكار وفقدان الثقة في النحو.

ولشعور ابن هشام بقيامه بهذا الجهد الكبير في شرح هذه المقدمة على ضوء منهج واضح لاغموض فيه ، قال في آخر الشرح مانصه :

" هذا آخر ماأردنا إملاءه على هذه المقدمة ، وقد جاء بحمد الله مهذب المعاني، مشيد المباني محكم الأحكام مستوفى الأنواع والأقسام ، تقرّ به عين الودود ، وتكمد به نفس الجاهل الحسود "[3]

---

[1] - نفسه – ص ١٧.- دار الفكر

[2] -قطر الندى – ص ٤٦٦ ومابعدها - وانظر – التكاملية في الفصل التاسع

[3] - نفسه – ص ٤٧٠ –

المبحث الثاني

شذور الذهب وشرحه، لابن هشام :

ولما فرغ ابن هشام من شرح القطر رأى أن يضع مؤلفًا آخر لمستوى أعلى من المستوى الذي وضع له مقدمة القطر ، وكان هذا المؤلف هو :

" شذور الذهب " ، مقدمة كمقدمة القطر راعى فيها مؤلفها تركيز القواعد وحصرها ليتسنى للطلاب حفظها ، والإلمام بها في يسر وسهولة حتى لا تتشعب أمام الطلاب مسائل هذا العلم ، وتختلط عليهم قضاياه .

وكدأب ابن هشام في توضيح ما أوجز ، وتفصيل ما أجمل ، ألف لهذه المقدمة شرحًا عرف " بـ(شرح شذور الذهب) وقد شغلت هذه المقدمة أذهان الشراح فتنافسوا في شرحها . ومن هؤلاء الشراح :

– بدر الدين حسن بن أبي بكر بن أحمد القدسي الحنفي المتوفى (سنة ٧٨٩هـ) ،

– زين الدين القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري المتوفى (سنة ٩٢٦هـ) ، وسمي شرحه : بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب .

– كمال الدين الشيخ محمد بن عبد المنعم الجوهري المصري المتوفى (سنة ٨٨٩هـ) وسمى شرحه : " شفاء الصدور في حلّ ألفاظ الشذور " .

ولم تقتصر عنايتهم بالشذور على هذه الشروح بل حاول بعضهم نظمه كما فعل أبو الفتوح الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المحلِّي بن السَّفيَّه المتوفى (سنة ٩٠٧هـ) وشرح هذا النظم الشيخ زكريا الزيتي المصري" (١)

---

١ -كشف الظنون ج ١/ ص ١٠٣٠

والذي يعنينا من الشروح، شرح ابن هشام لمقدمتة، فهو بها جد خبير ، لأنها من نتاج فكره ، وترتيب ذهنه ، وثمرة عقله يعرف مدلولات عباراتها ، ومفهوم ألفاظها ، واتجاه قواعدها .

منهجه في شرح الشذور :

لم ينس ابن هشام – كعادته دائما – أن يبين لنا في شرحه لهذه المقدمة المنهج الذي اختطه ، والهدف الذي رسمه ، وبلسان حاله يوضح لنا منهجه في شرحه لهذه المقدمة .

قال : " فهذا كتاب شرحت به مختصري المسمّى بشذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تممت به شواهده ، وجمعت به شوارده ، ومكنت من اقتناص أوابد رائدة ، قصدت فيه إلى إيضاح العبارة ، لا إلى إخفاء الإشارة ، وعمدت فيه إلى لفّ المباني والأقسام ، لا إلى نشر القواعد والأحكام ، والتزمت فيه أنني كلما مررت ببيت من شواهد الأصل ذكرت إعرابه ، وكلما أتيت على لفظ مستغرب أردفته بما يزيل استغرابه ، وكلما أنهيت مسألة ضمنتها بآية تتعلق بها من آي التنزيل ، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل ، وقصدي بذلك تدريب الطالب ، وتعريفه السلوك إلى أمثال تلك المطالب "(١).

وبهذا المنهج الواضح أغنانا عن تلمّسه في ثنايا شرحه ، وكأنه يسلم لكل دارس في كتبه المصباح الذي ينير ، والقبس الذي يضيء. ونظرة واحدة على هذا المنهج تدلّ على أنه نهج جديد في الدراسات النحوية ، فهو يهتم بتضييق دائرة أقسام النحو حتى لا يضلّ الناشئة في مسالكها العديدة وشعابها المختلفة ، كما أنه يدعم مسائل النحو بالآيات القرآنية التي تتعلق بها ولا يكتفي بإيرادها ، وإنما يحاول أن يبيّن ما في هذه الآيات من وجوه الإعراب والتفسير والتأويل ، وبهذا يقدم للدارس قواعد كاملة ، ومسائل منظمة ، تزينها الآيات القرآنية ، وتجملها الشواهد الشعرية ، وغرضه الذي يهدف إليه من هذا كله هو تكوين الملكة القوية التي تستطيع أن تدرس فتهضم ، وتستوعب فتُلهِمُ ، أو كما قال ابن هشام :

" وقصدي بذلك تدريب الطالب ، وتعريفه السلوك إلى أمثال هذه المطالب "

.ولا يخفى أن في إعراب الشاهد الوارد في الدرس ساعة وروده ترسيخاً أقوى للقاعدة النحوية منه في الإعراب المجرد بعيداً عن مواطن القاعدة المدروسة .

كما لا يفوتنا أن نلفت إلى آراء ابن هشام التي نبه إلى أنها توجيهات تفرد بها ولم تخطر على بال النحويين قبله .(٢)

---

١ -ش- الشذور – ص ١٠

٢ - راجع الآراء المتفردة ص ١٢٨ وما بعدها من هذا البحث –.

المبحث الثالث

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام :

كان لألفية ابن مالك شأن كبير في الدراسات النحوية ، لأنها جمعت مسائل النحو وقواعده في ألف بيت يتيسر الإلمام بها ، إلا أنها كانت موجزة بسبب قيود النظم وما يقتضيه الإيجاز من حصر القواعد في مثل هذه المنظومات .

لهذا ترى النحاة قد أسهموا في شرح الألفية ، وبيان ما اشتملت عليه من مسائل وقواعد ، وأهم الشروح النحوية التي دارت حول الألفية هي : شرح ابن عقيل ، وشرح الأشموني ، وأوضح المسالك لابن هشام ، أوالتوضيح – كما يُطاق عليه أحياناً .

منهجه في أوضح المسالك :

بيّن لنا ابن هشام في مقدمة هذا الكتاب المنهج الذي ارتسمه فقال :

" فإنّ كتاب الخلاصة الألفية في علم العربية نظم الإمام العلامة جمال الدين أبي عبد الله بن مالك الطائي، كتاب صغُر حجماً وغزُر علماً ، غير أنه لإفراط الإيجاز قد كان يُعد من الألغاز . وقد أسعفت طالبيه بمختصر يدانيه وتوضيح يسايره ، أحلّ به ألفاظه ، وأوّضح معانيه ، وأحلل به تراكيبه وأنقّح معانيه ، وأعذب به موارده ، وأعقل به شوارده، ولا أخلى منه مسألة من شاهد أو تمثيل ، وربما أشير فيه إلى خلاف أو نقد أو تعليل ، ولم آل جهداً في توضيحه وتهذيبه .وسميته أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك "[1] .

فهو يشير في هذا المنهج إلى أنّ الألفية صغرت حجماً وغزرت علماً . وتلك شهادة على اعتزازه بتميّزها عن كتاب سيبويه . غير أنه يفيد ضمناً حاجتها إلي توضيح ، مما يؤكد ما اعتبره البعض من أن لجوء بعض النحاة إلى الإيجاز بمثل هذه الألفية ما هو إلا جمع للمعلومات في نطاق، أكثر من تيسيرها وتسهيلها لما اشتملت عليه من صعوبة وإبهام . وقد أوضح في منهجه هذا أنه سلك في هذا الكتاب طريق الإيجاز ، إذ يصف شرحه بأنه مختصر يقارب الألفية في مسائلها وقواعدها التي ذكرها ابن مالك، وذلك رجوعاً بالاختصار والإيجاز إلى إفادة التيسير والتسهيل إذا ما أُحْكم ولم يُخلَّ فيه بشيء . فلم ينس أن يبيّن أنه لهذه الغاية : لا يُخْلِي مسألة من شاهد أهمل، وإذا كانت هناك مسائل خلافية فقد يشير إليها إشارات عابرة ، لأن مختصره لايحتمل خلافات النحويين مع ما يتبعها من التعقيبات .

---

[1] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ابن هشام - ص ٥ - ت -الفاخوري

كما أنّ من منهجه أيضاً : أنه إذا وجد نقداً لابن مالك أو غيره ، لا يتورع من ذكره لا حباً في النقد ، ولكن إظهاراً للحق .

وقد زعم النحاة أن التوضيح لابن هشام في حاجة إلى شرح يزيده وضوحاً ، وأنه لم يقم بذلك كما فعل مع مختصريْه القطر والشذور. والذي يبدو لي أن ابن هشام تفادى قدر الإمكان في التوضيح إذابة شخصيته كلياً بالتهالك على الاسترسال في شرح آراء غيره ، فاكتفى –حفاظاً على قيمة الاختصار والتسهيل – بما.قصده بهذا المختصر، بإبداء ملامح من نقده وتصرفه على خطوات الآخرين دون إضافة.

ومجيئ هذا المختصر بعد شرْحَيْ القطر فالشُّذور كان تماشياً مع سنة التطور في التدرج والترقّي الذي سار عليه، فبعد أن قدّم للناشئة هذين الكتابين _القطر والشذور– أخذ بيدهم إلى تذوق كتب ابن مالك ، فشرح لهم ألفيته في هذا الكتاب ليسهل عليهم حفظها بعد الإلمام بأهداف قواعدها ، وأغراض مسائلها ، وأسرار إشاراتها ومدلول عباراتها .

ولما بدا للنحاة المتأخرين– كما سبق– أنّ عمله في توضيحه غير كامل في تذليل صعاب الألفية ، فقد لجأوا إلى توضيح عباراته وتذليل مسائله وكشف معانيه ، فقاموا بشرحه خدمة للعلم ، وتسهيلاً للنحو . إلا أن بعض تلك التوضيحات والشروح لم تحقق هي الأخرى المرجو منها، وذلك نتيجة لما جنحت إليه من التوسع المفرط في الحواشي كما سيأتي، فضلاً عن أن أغلب تلك الشروح والتعاليق تمّت– فيما أكاد أجزم – بدافع من الانبهار والإعجاب بعمل ابن هشام .

أهم العلماء الذين قاموا بهذا العمل :

– الشيخ – خالد بن عبد الله الأزهري (...) وسمى شرحه (التصريح على التوضيح) . وضّح في مقدمته الأسباب ، قال " أنّ الشرح المشهور بالتوضيح على ألفية ابن مالك في علم النحو للشيخ الإمام العلامة الرباني جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري في غاية حسن الموقع عند جميع الإخوان ولم يأت أحد بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، ولم يوضع في ترتيب الأقسام مثله ، ولم يبرز للوجود في هذا النحو شكله، غير أنه يحتاج إلى شرح يسفر عن وجوه مُخدّراته النقاب ، ويبرز من خفي مكنوناته ما وراء الحجاب ، وقد ذكرت ذلك لمصنفه في المنام فاعترف بهذا الكلام ، ووعد بأنه سيكتب عليه ما يبن مراده ويظهر مفاده ، فقصصت هذه الرؤيا على بعض الإخوان فقال : هذا إذن لك يا فلان ، فإنّ إسناد الشيخ الكتابة إلى نفسه مجاز ، كقولهم : بنى الأمير (القصر) ."

وليس هو الباني بنفسه ، وإنما يأمر العملة من أبناء جنسه ، وكنت أنت المشار إليه لما تمثلت بين يديه ، وخاطبك بهذا الخطاب ، فانهض وبادر للأجر والثواب " ([1])

وقد أتم الشيخ خالد هذا الشرح سنة (٨٩٠هـ) حسب كشف الظنون [2]. وقد تجلى فيما تقدم من كلامه أثر ذلك الانبهار والتأثر بعمل ابن هشام كدافع له أكثر من مجرد إرادته تفسير وتوضيح العمل .

ومن الشّراح أيضاً :

– الشيخ – جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١هـ) ، أسهم في التعليق على توضيح ابن هشام ، ووضع الحواشي عليه .

– وعزّ الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة (٨١٩هـ)

– وجمال الدين أحمد بن عبد الله بن هشام (٨٣٥هـ)

– وبدر الدين محمود بن أحمد العيني (٨٥٥هـ)

– ونظم التوضيح أيضاً . القاضي شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخوبي (٧٩٣هـ) .([3])

[1] ـ التصريح على التوضيح ج١ص/٣ . والمدرسة النحوية ص ٣٧٠

[2] ـاكشف الظنون السيوطي ج١/ص١٥٤

[3] كشف الظنون – السيوطي ـج ١/ص١٥٤ ـ والمدرسة النحوية ص ٣٧١

المبحث الرابع

كتاب المغني : وضبطه : "مُغني اللّبيب عنْ كُتُب الأعاريب"

من أهم كتب ابن هشام ، ولعل شهرة ابن هشام في النحو إنما جاءت بعد تأليفه لهذا الكتاب الذي دوّى ذكره ، وطار صيته بين الناس، فكان له من الشهرة كما كان لكتاب سيبويه .

ولهذا كنت اعتقد دائماً، أنّ النحو بدأ بسيبويه، وانتهى بابن هشام. إذ لم يتوفر قبل سيبويه من جمع النحو مثله في كتاب، ولا جاء من بعد ابن هشام من أقام النحو مثله في مصنف يضارع المغني في تصنيفه على أسس جديدة، قامت على منهج ناجع في تيسير الوصول إلى قضايا النحو مع الدقة والشمول .

وتسميته بالمغني كانت تسمية محكمة، فقد جمع الرجل في هذا الكتاب شوارد النحو ، ورتب قواعده على غير مثال سابق ، وكان فيه مجدداً مبتكراً لم يجر على سنن غيره ، أويدر في فلك نحوي قبله . ومن درسه استغنى به عن دراسة غيره لما فيه من حسن التقسيم وجمال العرض ، وقوة الابتكار ، وتذليل النحو لمن طلبه ، وتعبيد طريقه لمن قصده . حتى إنّ صاحبه أجاب حينما سُئل ، هلا فسرت القرآن ، أو أعربته قال " أغناني المغني "(١)

ومن الكتب التي سمّيت بالمغني :

- مغني تقي الدين منصور بن فلاح اليمني ت(٦٨٠هـ) .
- مغني فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي (ت٧٤٦هـ)
- مغني محمد بن اسحاق بن أسباط الكِّنْديّ، وهو في النحو

منهجه في المغني :

قال ابن هشام في مقدمة كتابه المغني مبيناً منهجه فيه ، موضحاً خطوات هذا المنهج ، مفصلاً الأسباب التي دفعته إليه :

" اعلم أنني تأملت كتب الإعراب ، فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمور :

أحدها : كثرة التكرار ، فإنها لم توضع لإفادة القوانين الكلية ، بل للكلام على الصور الجزئية ، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ، ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام .

الثاني : إيراد ما لايتعلق بالإعراب كالكلام في اشتقاق اسم أهو من السّمة كما يقول الكوفيون أم من السمو كما يقول البصريون ؟ الاحتجاج لكل من الفريقين ، وترجيح الراجح من القولين

---

١ - نشأة النحو – ص ٢٣٧

.**الثالث** : إعراب الواضحات ، كالمبتدأ وخبره ، والفاعل ونائبه ، والجار والمجرور ، والعاطف والمعطوف ، وأكثر الناس استقصاءً لذلك الحوفي "[1] .

وهذه الأسباب الثلاثة مجتمعة هي التي حفّزته لتأليف هذا الكتاب .

وسبب **رابع** : وهو – حسب تعبيره – حينما أنشأ في معناه المقدمة الصغرى المسماة " بالإعراب عن قواعد الإعراب " حسن موقعها عند أولي الألباب وسار نفعها في جماعة الطلاب – مع أنها كما يقول : " إن الذي أودعته فيها بالنسبة إلى ما ادخرته عنها كشذرة من عقد نحر ، بل كقطرة من قطرات بحر ، وها أنا بائحٌ بما أسررته ، ومقيد لما قررته وحررته ، مقرّب فوائده للأفهام لينالها الطلاب بأدنى إلمام "[2]

وبعد أن بيّن الأسباب الدافعة لتأليف هذا الكتاب وضح منهجه فيه بقوله :

" ووضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام وترصيف ، وتتبّعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقّحتها ، وأغلاطاً وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبهتهم عليها وأصلحتها "[3]

وقد فرض عليه منهجه أن يجعل أبواب هذا الكتاب ثمانية : قال :

" وينحصر في ثمانية أبواب :

الباب الأول : في تفسير المفردات وذكر أحكامها .

الباب الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها .

الباب الثالث : في ذكر ما يتردد بين المفردات والجمل ، وهو الظرف والجار والمجرور ، وذكر أحكامها .

الباب الرابع : في ذكر أحكام يكثر (ورودها)، ويقبح بالعرب جهلها .

الباب الخامس : في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها .

الباب السادس : في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها .

الباب السابع : في كيفية الإعراب

الباب الثامن : في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لاينحصر من الأمور الجزئية " [1]

---

[1] - المغني ج١ ص/٧-٨

[2] - المغني – ج ١/ص٤

[3] - المغني–ج١/ص٥

وإذا تتبعنا كتب النحو من عصر سيبويه إلى عصر ابن هشام لم نجد مؤلفاً نهج هذا المنهج ، فعمل ابن هشام في حصره لمسائل النحو جميعها في ثمانية أبواب عمل جديد لم يسبق إليه من أجل هذا كان كتابه المغني درّة في عقد الكتب النحوية . أشاد به الدماميني بقوله :

ألا إنَّما مُغني اللبيبِ مُصَنَّفٌ جليلٌ به النحويُّ يحْوي أمانيَهْ
وما هُو إلا جَنةٌ قد تزخْرفَتْ ألمْ تَنْظرِ الأبوابَ فيه ثَمانيَهْ

وقد بين ابن هشام الغرض الذي قصده من هذا المنهج وهو تذليل النحو ، وتقريبه إلى الأفهام ، والبعد به عن الاضطراب الفكري الذي يدعو إليه اختلاط مسائل هذا العلم بعضها ببعض ، وفي هذا العمل خدمة للناشئين ، وتعبيد الطريق أمام السالكين . وقد أشار إلى ذلك في مقدمته فقال : "

" ولما تم هذا التصنيف على الوجه الذي قصدته ، وتيسر فيه لطائف المعارف ما أردته واعتمدته سميته (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) وخطابي لمن ابتدأ في تعلم الإعراب ولمن استمسك منه بأوثق الأسباب ، ومن الله أستمد العون "[٢]

ولإحساس ابن هشام بأن ما قام به في هذا الميدان لم يسبق إليه ، لم يجد غضاضة في مدح هذا الكتاب والإشادة بفضله ، فقال :

" فدونك كتاباً تشدّ الرحال فيما دونه ، وتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله "[٣]

والبرهان على قوله هذا ، أن هذا الكتاب جاء شاملاً للآتي :

- الإحاطة بالموضوعات النحوية ، إحاطة السوار بالمعصم .
- عمق عقلية ابن هشام في عرضه لمسائل النحو ، وترضّيه للخلافات ، مع الدقة في التعبير والأدب والتصوير .
- كثرة الشواهد من القرآن والحديث والشعر وكلام العرب .
- التدريب على الإعراب والعمل من أجل تكوين ملكة تستطيع أن تفهم سر التراكيب العربية ، فتتضح المعاني ، وتعرف المدلولات ويكون ذلك وسيلة لفهم كتاب الله وسنة

---

[١] - المغني ج ١/ص٣
[٢] - المغني –ج١/ص٨ – ت محمد محي الدين .
[٣] - المغني ج١/ص٣-٤

نبيه : " فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية ، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية ، وأصل ذلك علم الإعراب "[1]

ودون سائر كتبه الأخرى لم يهمل ضبط تأريخ تأليفه المغني كعادته في الدقة ، فقال :

" وقد كنت في عام تسعة وأربعين وسبعمائة أنشأت بمكة – زادها الله شرفاً – كتاباً في ذلك ، منوراً من أرجاء قواعده كل حالك ، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر . ولما منّ الله تعالى عليّ في عام ستة وخمسين بمعاودة حرم الله ، والمجاورة في خير بلاد الله ، شمّرت عن ساعد الاجتهاد ثانياً ، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً "(٢) . أي : أنه بدأه ونهاه خلال سبع سنوات .

كما تعرض ابن هشام في هذا الكتاب لبعض أبيات أشكل إعرابها على كثير من النحاة ، وكان همّه أن يزيل غموضها ، ويفتح مقفلها ، ويحلل معانيها ، وقد تم له في هذه الأبيات الكثير .

ومن الظواهر اللافتة للأنظار أن ابن هشام كان ملماً بالتأريخ الأدبي ، لا يقبل قصة على علاتها ، ولا واقعة إلا بأدلتها ، فنراه يوجه نقده لقوم من النحاة استدلوا ببيت من الشعر على أنّ (كأنّ) تنصب الجزءين : قال : " زعم قوم أنّ (كأنّ) تنصب الجزءين وأنشدوا :

كأنّ أُذنيه إذا تشوَّفا قادمةً أو قلماً مُحرّفاً

" فقيل الخبر محذوف أي يحكيان . وقيل إنّما الرواية : تخال أذنيه ، وقيل الرواية : قادمتا . أو قلماً محرفاً بألفات غير منونة على أن الأسماء مثناة ، وحذفت النون للضرورة . وقيل : أخطأ قائله ، وهو أبو نُخَيْلة ، وقد أنشده بحضرة الرشيد أبو عمرو والأصمعي ..." قال ابن هشام :" وهذا وهم فإن أبا عمرو توفي قبل الرشيد " [3]

ومما يجدر التنويه به أنّ ابن هشام في المغني كما في بعض كتبه الأخرى لم يقف عند المسائل النحوية ، فتناول فيه بعض المسائل البلاغية ، لا لتقليد السابقين من النحاة ، ولذا قال : " لم أذكر بعض ذلك في كتابي جرياً على عادتهم ، وأنشد متمثلاً :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت إن ترشد غزية أرشد .

" بل لأني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً "[4]

---

[1] - مغني اللبيب ج ١/ص٣

[2] - المغني ج ١/ص٣

[3] - المغني ج ١/ص١٦٤

[4] - المغني - آخر الباب الخامس من المغني –ص ١١٢ ت -الفاخوري / --- البيت لدريد ابن الصمة الجشمي في ديوانه .

يريد أنّ ما ذكره منها ليس اقتفاءً لغيره حتى يحتاج إلى الاعتذار بإنشاد البيت ، وإنما قصد أن المغني جمع بين الأمرين . ويُروي أنه قيل لابن هشام : هلا فسرت القرآن ، أو أعربته ، فقال : أغناني المغني.([1])

وفي هذه الإجابة شيء من الخاصية التكاملية التي عند ابن هشام في مؤلفاته النحوية ، كما سيأتي .

ولما كان للمغني هذه المنزلة الكبيرة في مجال التأليف النحوي ، فقد شغل به النحاة عدة قرون بما ألفو له من شروح ، وبما أنتجوا حوله من تعليقات وقد أحصى صاحب كشف الظنون النحاة الذين اهتموا بهذا الكتاب شارحين ومعلقين وملخّصين.

هذا ومازال كتاب المغني في عصرنا هذا إلى جانب كتبه الثلاثة السابقة – والشروح العلمية التي قدمها لها النحاة المتأخرون – تتبوّأ مكانة مرموقة ، في معاهدنا العليا ، حيث تعتبر هذه الكتب وشروحها وتعليقاتها مصدراً كبيراً من مصادرها في دراسة النحو بما قدمته من خدمات علمية جعلت الإقبال عليها منقطع النظير من بين مصنفات النحو .

ويمكن القول :

إنّ مؤلفات ابن هشام الأربعة ، كما رسائله وبحوثه ومناقشاته العلمية ، جاءت على منهج وصفي تقريري شأنها شأن كل تصانيف النحو، وأنّ منهجه تميّز بعرض للمشكلة أو المسألة أوالقضية النحوية ، وبيان وجهات النحاة المختلفة حولها ، مع الحرص على ذكر أدلة كل منهم وتدعيمها بالأمثلة من القرآن خاصة ، ثم المقارنة بين تلك الأدلة بعضها ببعض . وفي دقة الباحث الذي لا تشغله ظواهر الأشياء، كان يعرض لهذه الأدلة بالنقد أو الإبطال ليبني على أنقاضها أدلة أمتن ، وحججاً أقوى .

[1] - انظر نشأة النحو ص ٣٣٧

الفصل الثالث
مفاهيم في الفكر والتطور

- المبحث الأول - الفكر معناه وتأريخه وعلاقاته بالإسلام وابن هشام
- المبحث الثاني - التطور، معناه وتأريخه وطرق التطور في الفكر النحوي

المبحث الأول

الفكــر

١ – معناه

نقلت المعاجم العربية المعنى اللغوي لكلمة(الفكر) بمفهوم موحد في ألفاظ متطابقة . جاءت في لسان العرب، تحت مادة (ر،ك،ف) بمعنى " ... التفكّر والتأمّل . والاسم الفِكْر والفِكْرة، المصدر الفَكَر، بالفتح، قال يعقوب : يقال ليس لي في هذا الأمر فَكَر، أي ليس لي فيه حاجة. الفتح (الفَكَر) أفصح من الكسر(الفِكْر)..."(١)

وأضاف مختار الصحاح " ... بابه نَصَر، وأفكر في الشيء، وفكّر – بالتشديد، وتفكّر بمعنىً ... ومن معانيه ،إعمال الخاطرفي الشيء "(٢)

كما يرى صاحب لسان العرب ، أنّ الفِكر كالفكرة – فالتاء في الثاني ليست للوحدة، وعلى ذلك فدلالة اللفظتين في الجمع والإفراد واحدة .

وعند سيبويه لايجمع الفكر ولا العلم ولا النظر "(٣) . والمقصود هنا ، إما أن هذه الألفاظ مفردها كجمعها ، الفكر كالفكرة، والعلم كالمعلومة ، والنظر كالنظرة. وبالتالي فهي لا تجمع ، ويمكن الاستغناء بالفكر عن التعبير بأفكار. وإما أنّها ألفاظ جموع لجمع ، ولا يجمع جمع الجمع ،حسب ابن هشام . فالفكر جمع للفكرة التي هي اسم جمع .

ومثل ذلك يقال في العلاقة بين كلمتي (الفكر والتفكير) إلا أنه غالباً ما يسبق إلى الأذهان في معنى كلمة (التفكير) مفهوم الدلالة على العمل والحدث المتمثل في إعمال الخاطر . ويسبق في معنى (الفكر) مفهوم الدلالة على حصيلة ذلك العمل الذهني.

على أية حال، تبقى العلاقة بين هذه الكلمات – الفكر، الفكرة، التفكير، العقل– علاقة تلازمية تكاملية .

---

١ - لسان العرب – ابن منظور – مادة (ر،ك،ف)–ج ٥ ص/٦٥ – دار صادر – بيروت

٢ - مختار الصحاح – محمدبن أبي بكر الرازي- ص٥٠٩- دار الكتاب – بيروت- لبنان.

٣ - لسان العرب – نفسه مادة (ر،ك،ف)– ج٥ ص/٦٥

أما من حيث الاصطلاح فليس لكلمة (الفكر) – ومثلها (التطور) – مفهوم اصطلاحي خاص، فهي عامة بمفهومها المباشر لدى كل ذي علم . فلا يختلف اثنان في أنّ الفكر حصيلة للتأمل والنظر وإعمال الخاطر في شئ ، ينتج عنه علم أو ما يشبه العلم .

ويوصف بأنه " ... نشاط عقلي يعكس فيه الإنسان الواقع بطريقة مختلفة عما يحدث عندما يتعرض لمثير، يتم استقباله عن طريق الحواس، حيث يسعى للبحث عن المعنى ويتطلب التوصل إليه تأملا وإمعانا للنظر في مكونات الموقف أو الخبرة التى يمر بها الإنسان ..."(١)

كما عرف التفكير الإبداعي بأنه "... نشاط مركب وهادف توجهه رغبة في البحث عن حلول ، أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقا. ويتميز التفكير الإبداعي بالشمولية والتعقيد ؛ لأنه ينطوي على عناصر معرفية وانفعالية وأخلاقية متداخلة تشكل حالة ذهنية فريدة .."(٢)

فالفكر إذاً عام في مفهومه ، مباشر في دلالا ته، لغة واصطلاحا .

٢ – تأريخه :

ليس لأولية الفكر ولا لنهايته حدّ معروف ؛ لأنه فطرة في الإنسان منذ خلقه، فالإنسان مفكر بالطبع والفطرة، بل هو – حسب بعض الباحثين– جوهر الإنسان ، أو هو الإنسان الحقيقي المفكر الشاعر المؤمل الباحث في ألغاز الحياة المتطلع إلى امتداداتها..."(٣)

" فمنذ وجود الإنسان الأول على ظهر البسيطة تتصارع أفكاره وتتكوكب معارفه ناهدة إلى كشف ما يحيط به من وجود وموجودات علوية وسفلية، تشمخ بخيلاء وتضفي على الكون آية من الروعة والجمال ..."(٤)

وإنّ ما عُرف من أساليب استدلال منطقية نهج على منوالها فيما بعد المفكرون العرب والنحويون، كالجدل والتأمل والنظر والمناظرة والحجة والإقناع ، مما يعد من أدوات الفكر وأساليبه ماهي إلا نتاج بيئتهم العربية الفكرية، امتد ظهورها إلى عصر ما قبل الإسلام، وظهر أثرها في التراث العربي الأدبي شعره ونثره ، مثلما كان نتاج البيئة اليونانية منطقها الأرسطي . فكلاهما – البيئة العربية والبيئة اليونانية أفرزتا تلك الأساليب المنطقية كل على حدة، وفق معايير خاصة. لا كما يزعم البعض من أن ذلك بفعل التأثير والتأثر بين بيئتين . كما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمثل أي منهما نقطة بداية لظهور الفكر، فخلق الإنسان هو بدايته الطبيعية، خُلق معه عقله بأدواته وأساليبه

---

[١] - دليل المعلم في استراتيجية التعليم – .ص٣٨- طبعة (١)ديسمبر ٢٠٠٦م-البحرين التربية

[٢] -دليل المعلم – ص ٤٢

[٣] - أصل الإنسان وسر الوجود- باسمة كيال- ص/ ٢٢-٢٣ - دار الهلال ط ١٩٨١م

[٤] - أصل الإنسان- ص ١٨

البسيطة من الجدل والتأمل والنظر ونحو ذلك قبل قيام علم المنطق الذي هذّب هذه الأساليب ورسم لها حدوداً ووضع فيها قوانين تسلكها .

إذن فالفكر قديم قدم الإنسان ، تدرج عشوائياً في بدايته إلى أن بلغ قمة التهذيب والترتيب على أيدي أصحاب المنطق كأرسطو وغيره ، فأنتج للإنسانية علوماً رقت بالحضارة في العالم القديم . أما في البيئة العربية فكان للاسلام– وهو يخاطب العقل– دوره الكبير في تطور أدوات وأساليب الفكرالذي انتج علوماً ومعارف رقت بالإنسان والإنسانية والحضارة في العالم الحديث .

٣ – الإسلام وأساليب الفكر

بمجيء الإسلام تطورت أساليب الفكر تطوراً كبيراً ، وذلك بفضل القرآن الكريم، فقد جاءت العديد من آياته الشريفة تدعو إلى الأخذ بأساليب الفكر الأساسية، وباعتماد أدواته الفعّالة من التأمّل والنظر والجدل والإستدلال واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والإقناع، ونحو ذلك من الأساليب المنطقية كما في قوله تعالى :

(اُدْعُ إِلَى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالّتي هِيَ أَحْسَنُ)([1]) .

وقوله تعالى : (فَلْيَنْظر الإنْسَانُ مِمَ خُلِقَ) ([2]) .

أي بالتأمل في مراحل أطوار خلقه، وكان في الآية السابقة(أَوَلَمْ يَتَفَكّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ...)، دعوة إلى إعمال الفكر في نفس الإنسان وخلقته .

ومن آيات الدعوة إلى الأخذ بالأساليب المنطقية أيضاً، قوله تعالى :

(هَلْ يَسْتوِي الذِّينَ يَعْلمُونَ والذِّينْ لا يَعْلمُونَ) ([3]).

وقوله تعالى : (إنَّ في خلْقِ السّموات والأرْضِ واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولِي الألْبابِ)([4])

وقوله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرَاً كَثِيْراً)([5])

وقوله تعالى: (يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيْلاً)([6]). وقوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا ...)([7]).

---

[1] - النحل : ١٢٥

[2] - الطارق : ٥

[3] - الزمر : ٩

[4] - آل عمران : ١٩٠

[5] – البقرة : ٢٦٩ .

[6] - الإسراء : ٩٥

[7] - المجادلة من آية : ١

هذه الآيات ومثيلاتها لا بدّ أن تلفت إنتباه العلماء إلى التأمل والنظر والمجادلة والحكمة، وإلى أهمية العلم والمنزلة الرفيعة التي عليها العالم . فكان القرآن إذن داعياً إلى التأمل والنظر، وكانت آياته تتطلب في تأويلها إعمال الفكر والخاطر، واستخلاص الدليل بما يقتضيه من الاستدلال المنطقي .

٤ – (فَكَرَ) والدعوة لإعمال الخاطر في القرآن :

خص الله تعالى الإنسان بالعقل وميّزه به دون سائر مخلوقاته، إذ هو أداة التفكير ومصنع الفكر، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلاً) ([1])

أبرز هذا التفضيل المذكور في الآية الكريمة، التفضيل بالعقل والفكر، فبهذه الفضيلة والهبة الربانية استطاع الإنسان أن يهيء أسباب حياته في الكون ويصنع وسائل استمراره على الأرض . وفي المقابل لم تستطع المخلوقات الأخرى التي لم توهب العقل والفكر أن تعيش إلا وفق التسخير والإلهام، ولأنها لو لم توهب هذه الفضيلة تعرّض أكثرها للانقراض، وظل ما تبقى منها عالة على فكر الإنسان يهيء أسبابها كيف يشاء، وبهذا الفكر في عقله استحق الإنسان أن يُخاطب بحمل الأمانة وعمارة الأرض والتمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، ثم التوصل بكل ذلك إلى توحيد الله الواحد الأحد وعبادته .

فلأهمية إعمال الخاطر في الإنسان خلق الله فيه عقلاً مطلق السياحة في مخلوقات ومحسوسات الكون، سمائه وأرضه وما بينهما من الحياة . ومطلق السياحة في كل ما يخطر على البال .

وقد حرص القرآن الكريم أشد الحرص على عرض كل ذلك في آياته الشريفة، قارناً بعضه بكلمة الفكر أومشتقاتها ، وبعضه الآخر بما يستلزم الفكر من عقل وعلم ويقين ومعرفة ونحو ذلك من مرادفات الفكر، حريصاً على التكثيف من الدعوة لإعمال الفكر والخاطر، تارةً بالأمر وتارات بالموعظة أو بالزجر والسخرية ممن يعطله .

وسور القرآن الكريم تفيض بمثل هذا مما يدل على عظم الأهمية في إعمال فكر الإنسان، وفداحة الضرر في تعطيله . وإلا ما كان استحق انسان أن يوجد في هذا الكون الذي سخره الله بما فيه له ، وبالتالي بطل أن توجد دنيا وتقام آخرة .

---

[1] - الإسراء : (٧٠)

وعوضاً عن استقصاء ذلك الكم الهائل من الآيات التي تناولت فكر الإنسان، نكتفي بسرد بعضٍ من الآيات التي اتفقت في الدعوة إلى إعمال الفكر وبالتعبير بكلمة (فكر) أوما يرادفها ، وتنوعت في استخدام أساليب الأمر والزجر والسخرية والموعظة والارشاد والالتماس . وهي :

قوله تعالى : (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قُدّرَ)([1])

وقال تعالى: (الّذِيْنَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَيتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ)([2])

وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَتَفكَّرُوا ما بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ...)([3])

وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَتفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ...)([4])

وقال تعالى: (...كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ...)([5])

وقال تعالى: (...إنّ فِي ذَلِك لآياتٍ لِقَوْمٍ يتَفَكَّرُونَ...)([6])

وقال تعالى: (... إنّ فِي ذَلِكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ)([7])

وقال تعالى: (... وَأَنْزَلْنا إليْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إليْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يتَفَكَّرُونَ)([8])

وقال تعالى: (...فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ ([9])

وقال تعالى: (... وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتفَكَّرُونَ) ([10])

وقال تعالى: (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِيْنَ)([11])

وعلى هذا النحو يستطيع كل متأمل في آيات القرآن الكريم أن يقرأ في خواتم كثير منها : (يعلمون ، يتفكرون، يعقلون، موقنون، يشعرون ..) ونحو ذلك مما يدل على كلمة الفكر. "

وقد تكررت مادة (ع ق ل) في القرآن الكريم نحو مايقرب من خمسين مرة مثل: (أفلا تعقلون، لعلكم تعقلون، إن كنتم تعقلون، أفلم تكونوا تعقلون، وما يعقلها إلا العالمون، إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (١٢)

---

[1] - المدثر☹ ١٨-١٩)

[2] - آل عمران : ١٩١

[3] - الأعراف : ١٨٤

[4] - الروم : ٨

[5] - يونس :(٢٤)

[6] - الرعد : ٢

[7] – النحل : ١١

[8] – النحل : ٤٤

[9] الأعراف : ١٧٦

[10] الحشر : ٢٨

[11] - الروم :(٢١)

[12] - الإنسان ذلك المعلوم – دكتور عادل العوّا - ص٣٦ - طبعة ١٩٨٢/٢م- منشوراتعويدات- بيروت – باريس

٥ – ابن هشام والفكر القرآني :

لاشك أنّ ابن هشام مثل جميع العلماء الذين صنفوا في النحو وغيره، قد استجابو لهذه الدعوات القرآنية وعملوا بها ؛ لأنّ العالم وشريحة العلماء من بين البشر، هم المعنيّون بتطوير الفكر إلى معارف وعلوم ، فعقولهم قد هيّأها الله تعالى لإعمال الخواطر درجات فوق عقول البشر. ففي قوله تعالى : (يَرْفَعِ اللهُ الّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِيْنَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ)[١].. في تنكير درجات، بيان لعظم تلك الدرجات التي حلّ بها العالم بفكره ؛ لأنه ما غدا عالماً إلا بإعماله خاطره كما ينبغي، وفيما ينبغي. كما نستخلص من قوله تعالى : (إنّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَماءُ)[٢]. دلالة ضمنية على حصر الفكر في العلماء، لأنّ الخشية من الله إنما تكون أقوى ماتكون بقوة العلم، وقوة العلم تستلزم وجود الفكر الفاعل المتأمل .

ومن كل هذا نستطيع أن نتبين مكانة ابن هشام بين هؤلاء العلماء ، خاصة في ضوء تميّزه بكثرة استشهاداته من القرآن الكريم، مما يضعه في المقام الأول في عمله هذا من منطلق وازع إيماني حفّزه للعمل بما جاء في الآيات من دعوات إلى إعمال الخاطر بالتأمل والنظر والحكمة والإقناع . وقد تجلى كل ذلك من خلال حقائق ثلاث نطقت بها أعماله تملثت في :

١ – عنايته الواضحة في التدقيق بإعادة تصويب معاني الآيات التي فسرها غيره وفق رؤيته النحوية والإعرابية الصائبة .

٢ – عنايته بتوجيه القراءات التي خطّأها النحاة أوسكتوا عنها ، ولأنّ الخوض في كلام الله تعالى ينبغي أن يحاط بالحيطة والحذر، فقد تطلب منه ذلك إعمال الخاطر والحكمة والتأمل وحسن الاستدلال والمنطق كما ينبغي .

٣ – مناقشته البارعة لكبار العلماء كأبي حيان وسيبويه وغيرهما ، في مسائل معقدة يحتاج الخوض فيها معهم لإعمال أساليب الفكر بدقة .

وأخيراً يمكن أن يضاف إلى كل ذلك حرصه على توصيل مادة النحو إلى المتعلمين من موقع القارئ المتبصر في التراث .

---

[١] - المجادلة من آية : ١١

[٢] - فاطر من آية : ٢٨

المبحث الثاني

التَّطـوّر

١ – معناه :

تشير هذه كلمة (التطوّر) منذ استعمالها اللغوي القديم إلى عدة معانٍ ، منها : معنى التعدي وتجاوز الحدود في الشيئ . ومنها معنى التّارة من قولك : تارةً فتارةً . كما تعني المرحلة ، وتعني الطَّور(بالفتح) . وأما الطُّور (بالضمّ) فمعناه الجبل .

جاء في مختار الصحاح ، تحت مادة (ط و ر) " عدا طورَه ، أي جاوز حدَّه . والتّارة في قوله تعالى : (وقَدْ خَلقَكُمْ أَطْوَارَاً)[١]. قال الأخفش : طوراً علقة وطوراً مضغة . والناس أخياف على حالات شتى . والطُّور بالضمّ الجبل ..."[٢]

وفيماعدا هذه الأخيرة ، فإنّ كلمة التطوّر في مجمل دلالاتها اللغوية قد أفادت مفهوم الانتقال بالشيئ من مرحلة إلى أخرى مختلفة .

وقد ارتبط مصطلح (التطور) بالمعارف العلمية الحديثة في الطبيعة والنشوء، وشاع استعمال الكلمة فيها تحمل نفس الدلالة اللغوية القديمة. والتطور كما يكون بالانتقال من الأسوأ للأفضل، فكذلك يجوز أن يكون من الأفضل إلى الأسوأ . إلا أن المتبادر للأذهان حين إطلاق كلمة تطور انحصارها في الانتقال للأفضل، ويقع فكر ابن هشام ضمن هذا المفهوم بما اشتمل عليه من خصائص للتطور في اتجاهاته ومظاهره، نحو التعدية وتجاوز الحدود والانتقال من طور إلى طور مما سيتناوله البحث بالتحليل .

٢ – تأريخه :

تجدر الإشارة إلى حقيقة : أنّ التطور من حيث هو تطوّر ، قد كان – من الناحية التطبيقية الواقعية – الأسبق ظهوراً من علم المنطق المشهور، الذي كثيراً ما يُعزى إليه رسم حدود التطوّر ووضع قوانينه ، ومن ثَمَّ ربطوا ظهوره على وجه البسيطة بتأريخ ظهورالمنطق الأرسطي ، وهو تأريخ أقرب بكثير وأحدث من تأريخ البداية الحقيقية للتطوركظاهرة طبيعية ارتبطت بوجود الإنسان على وجه هذه الأرض ،

---

[١] – نوح من الآية–(١٤)

[٢] -مختارالصحاح – ص٣٩٩ -مادة(ط،و،ر) دار الكتاب العربي – بيروت -لبنان ١٩٦٧م

وصاحبت فكره الذي سادته البدائية في أطواره الأولى، بل أنّ هذا المنطق الحديث نفسه كعلم ،ما هو إلا ثمرة من ثمرات التطور الذي صاحب فكر الإنسان منذ خلق الإنسان .

والقصد من وراء ذكر تلك الحقائق ، هو الرغبة في استبعاد مظنّة الاحتكار الفكري في أمة دون أمة ، على أساس ارتباطه بزمن أو عصر دون غيره ؛ لأنّ التطوّر المشاع بين كلّ الأمم على امتداد تأريخها منذ خلق الإنسان تتأكد به مشروعية اعتداد العربي بما ابتكره **ابن هشام** وأمثاله من عباقرة الفكر العربي والإسلامي المتطور من أفكار هي نتاج بيئتهم التي خلقها المولى عزّ وجلّ لهم – لا اكتساباً من بيئات أخرى غربية أوشرقية .

ومن بين أهمّ هذه االأنشطة الفكرية، الفكر النحوي العربي المتميّز بسماته الفريدة عن كل فكر نحويٍّ سبقه أولحقه في العالمين. ومن هنا كان من المهم تعرّف طرق وأساليب التطور من خلاله كما يلي :

٣– طُرق التطوّر في الفكر النّحويّ

أ – طريقا الإضـافة والإصـلاح :

تشير الدلائل إلى أنّ الفكر النحوي تطور من أفكار تتابعت بجهود العلماء المعنيين بالنحو ، حتى علا صرحه كبناء على مرّ العصور طابقاً فوق طابق . وقد تراكمت تلك الجهود الفكرية المكثفة بطريقتين تمثلان الكيفية التي تمّ بها هذا التطوّر .

الأولى : عن طريق الإضافة الحقيقية على ماكان موجوداً وقائماً . كأنْ يضيف العالم إلى ذلك البناء (لبنة صغيرة) .

الثانية : عن طريق الإصلاح فيما تمّت إضافته إلى الموجود ، أو الإصلاح في أصل الموجود . كأن يكتفي العالم بإصلاح لبنة سابقة أضافها غيره ، أو بإصلاح يعم كل جوانب البناء القائم .

أمّا الإضافة ، فلم يُعرف منها في صرح النحو إلا جانباً ضئيلاً ، جاء إمّا كصورة لبنة وضعت لتوضيح واقع لغوي غامض . وإما لتأسيس حدود تحول دون استعمال لغوي خاطئ ومفسد للغة .

فالإضافة وفقاً لهذا أشبه بعملية ترميم شكليّ لجوانب محدودة من البناء النحوي . بينما الإصلاح يشيع في عموم الصرح النحوي القائم ، وفي المضاف إلى ذلك الصرح تهذيباً وتقعيداً .

وفي المجمل ، إنّ طرق التطور في الفكر النحوي تتناول في الأغلب الأعم الترميم والتهذيب في المادة النحوية المتوفرة أصلاً في البيئة العربية ، مع شيء مما يمكن وصفه بإضافة أو وضع أو ابتكار . ومع هذا فإنّ لكلٍّ من العملين – الإضافة والاصلاح – قيمته الفنيّة المميزة ، التي تعادل بمزاياها قيمة الوضع والابتكار في النحو من عدمٍ.

وافتراض هاتين الطريقتين للتطوّر (الإضافة والإصلاح) هو على أساس أنّ النحو بقواعده ومادته كان موجوداً ، وذلك قبل عصور تدوينه في القرون الهجرية الأولى (الثاني والثالث والرابع) وجد فيما تمثّل في اللغة الحية المنطوقة والمستخدمة في وظائفها الطبيعية بين الناس ، وفق السليقة والسجية والطبع، وكذلك على أساس أنّ لكل من هاتين الطريقتين شأنهما الكبير في صناعة تحويل النحو إلىعلم ، أو بالأحرى في وضع علم يسمى النحو –ضمن قواعد ومصطلحات ، بدونها ظلّ النحو قبل ذلك بلا معالم واضحة يرقى بها إلى مستوى هذه التسمية .

ب – الإضافة وغيرالإضافة في أنماط التطوير.

مايمكن أن نطلق عليه إضافة حقيقية في النحو ، قد جاء بشكل محدود (جدّا) كواقع، ولهذا حرصت على تشبيهه (باللبنة الصغيرة) . ومع ذلك فإنّ تلك الإضافات – رغم صغرها وقلتها – قد جاءت مكمّلة لجوانب مهمة في صرح النحو ، لم يكن ليغدو بدونها ذا معالم مميّزة . فعلى سبيل المثال مع (الحصر) أيضاً :

– **إضافة نقط الإعجام** – وهي النقط المميزة للحروف المتشابهة ، كالباء والتاء والثاء والنون ، وكالجيم والحاء والخاء ، وكالدال والذال ، وكالراء والزاي ، وكالسين والشين ، وكالصاد والضاض ، وكالطاء والظاء ، وكالعين والغين ، وكالفاء والقاق . وهذه النقط – وإن تعلقت بحروف اللغة بعيداً عن قواعد نحوية – فإنها كانت دوماً ضرورية كمادة أولية لموضوع النحو والصرف لأهمية بناءالكلمة قبل القاعدة ؛ ولأنها أسهمت بشكل كبير في التفريق بين حروف الكلمة المتشابهة الرسم، وفي إحكام القراءة والنطق بها.

– **وكإضافة نقط الإعراب**(الحركات) – التى طوّرها العلماء في مراحل الإصلاح، من نقط حمراء وسوداء إلى علامات ترمز إلى الضمّ والفتح والكسر، أوالتسكين ، والتنوين والمدَّة والتشديد، وهي قواعد علمي النحو والصرف ، إذ تُعين – في يسر وسهولة – على تحديد الوظائف المعنوية للألفاظ، وتمنع خطأ النطق والقراءة والسماع، بالإضافة إلى وظائف صوتية شكلية أخرى–كما سيأتي–

إن العقل ليعجزعن تصور مقدار الضرر الذي كان ليصيب الفصحى، نحوها وصرفها ومتنها– مما ستئول إليه من انتكاسة وضياع ، في غياب هاتين الإضافتين اللتين ابتكرتهما عقلية فكرية عربية وخاصة اليوم، في ظلّ غياب السليقة التي عاش عليها العرب السابقون في كلامهم قبل اختلاطهم بغيرهم ، وقبل أن يشتدّ االاتصال أو مايشبه الاتحاد –في العصر الحديث – بينهم وبين الأمم والأجناس الأخرى ذات الألسن المختلفة واللهجات المتنوعة . فإضافة النقط بنوعيها – إذن هي الإضافة الحقيقية التي لا تضارعها إضافات في النحو واللغة، تستحق الذكر، إلا بما كان من قبيل الإصلاح الأتي ذكره .

أمّا بخصوص ما أوردتْه بعض المصادر من وصف لإضافات واسعة النطاق في النحو وُصفت بالوضع حيناً وبالتأسيس أحياناً، فإنّ التأريخ لا يكاد يجزم بها كلها ، لاختلاف المؤرخين حولها ، ولاختصاصها في معظمها بمجالات لغوية أخرى غير النحو .

فمن خلال الاستقراء والتتبع لجهود الرعيل الأول ، نجد القائمة يتصدّرها أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمروبن ظالم بن سفيان(٦٩هـ) الذي قرنت باسمه أول إضافة (النقط) ، ونسب إليه الوضع والتأسيس في النحو ، في روايات شملته إلى جانب إعلام آخرين نسبت إليهم أدوار في هذا الوضع والتأسيس، وأشير هنا إلى روايتين من بين سبع عشرة رواية، لاشتمالهما على معظم أنواع تلك الإضافات، معقباً بتلخيص ما في غيرهما من الأنواع .

الرواية الأولى : بلسان محمَّد بنِ سلّام الجُمَحِي (٢٣٢هـ) ، قال :

" ... وكان أول من أسس العربية ، وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها ، أبو الأسود الدؤلي ... إلى أن يقول : ... ووضع باب الفاعل والمفعول وحروف الجر و(الرفع) كذا ، والنصب والجزم ..." ويقول : "... ثمّ كان بعده ابن أبي اسحاق الحضرمي ، فكان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل" (١)

الرواية الثانية : للقُفْطِي (٦٤٦هـ) – قال :

" إنّ أبا الأسود الدؤلي " ... هو أول من استنبط النحو ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ..." (٢)

هذا، وقد ذكر وضع كل من (أقسام الكلمة ،وعلامات كل قسم ، وأقسام الأسماء ، والعطف ، والنعت ، والاستفهام . وإنّ وأخواتها ، وباب التعجب) منسوباً إلى أبي الأسود ، لدى كل من السيرافي(٣٦٨هـ) والزبيدي(٣٧٩هـ) وأبوالبركات الأنباري (٥٧٧هـ) وآخرون . أي أنّ النحو برمته –

[1] - ابن جني النحوي ص٩٥– ومابعدها - د. فاضل السامرائي - دار النذير –بغداد ١٩٧٥م
[2] -انظر الدراسات اللغوية عند العرب - - ص٦٢-

وفق هذه الروايات– داخل في إطار الوضع . الذي لا يعني بالطبع إضافة بالابتكار من عدم . وأن أبا الأسود هو رأس الواضعين في النحو.

" غير أنّ اختلافات المؤرخين في الواضعين الأُوَل وفي طبيعة الوضع ، لم ترد عندهم على وجه قطعي ..."(١) فلم يبينوا مثلاً ما إذا كان وضع أبي الأسود الدؤلي من نفسه ، أو بإشارة من سواه ؟ أو ما إذا كان واضعاً لقواعد نحوية – كباب الفاعل والمفعول وحروف الجر ونحوها ، لم تكن من قبل – أم أنه دوّن ما كان معروفاً منها ؟ .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف ، أوالاتفاق فإنه مما لايختلف فيه اثنان ، أنّ قواعد النحو قد جرى استقراؤها من قِبل العلماء مما كان موجوداً في كلام العرب ، راسخاً أو جارياً في طباعهم وسلائقهم . وإنّ ما هو غير معروف منه سابقاً ينحصر فقط فيما يتعلّق باصطلاحات القواعد وتعريف الأبواب وترتيبها، وتسميات الأحكام ، ووضع المقاييس والضوابط لها ، وهو مايمكن أن نصنّفه ضمن ما جرى به الإصلاح في مراحله التالية .

وبصرف النظر عن اصطلاح تسمية ذلك وضعاً أو إضافة ، فغاية الأمر أنّ النحو بحذافيره كان موجوداً في شكل ممارسات مقتصرة على حد السليقة والعادة ، ولم توضع حدوده وتقعّد قواعده وترسم مصطلحاته إلا ابتداءً من التّصدّي لظواهر اللحن الذي تفشى في اللغة ، وما استتبع ذلك من الإصلاح.

وإلى هذا، ذهب ابن فارس (٣٩٥هـ) ، قال : " أنّ النحو كان من معارف العرب القديمة ، غير أنهم لم يكونوا في حاجة دافعة إليه بسبب سلائقهم السليمة حتى تُرك ، بخاصة بعد الإسلام مباشرة ، حيث شُغلوا بالدين والفتوحات فنسيه الناس حتى جاء أبوالأسود فبعثه من جديد ..." ٢

ولـ(محمد آل ياسين) تحفّظ على هذا الرأي لابن فارس ، لخلوه من دليل، ولمافيه من تعميم بنسبة النحو إلى المعارف القديمة دون تحديد، إلا أنّ ذلك لا يمنع الميل بشدة إلى ما تضمنه من منطق، خاصة في ظل وجود اتفاق شبه تام بين العلماء على (سليقيّة) هذا النحو لدى العرب في وقت لم يكونوا فيه بحاجة إلى ضوابط نحوية – تماماً – مثل عدم حاجتهم لنظم أشعارهم المشهورة إلى ما وضعه الخليل فيما بعد للشعر من موازين وبحور .

---

١ -الدرسات اللغوية عند العرب ص٥٧

٢ - الدراسات اللغوية – نفسه ص٦٢

النحو قبل مراحل الإصلاح والترميم :

جاءت العديد من المصادر بإشارات وفيرة إلى ماكان عليه النحو قبل مراحل الوضع والترميم والإصلاح .

قال الزجاجي :

" أبو الأسود صدر عن سليقته في رسمه لبدايات النحو ، وتبعه النحويون ونسجوا على منواله ... إلى أن يقول : ... لأنهم تيقنوا (النحاة) أنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم يُنقل ذلك عنها ..."(١)

وقال ابن جني ، في إطار تعريف النحو :

"... هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره . كالتثنية والجمع ، والتحقير ، والتكسير . والإضافة والنسب والتركيب . وغير ذلك ..."(٢)

وفي تعريف الأشموني للنحو قال :

" ...هو العلم المستخرج بالمقاييس من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها ..." (٣)

ويقول الدكتور آل يسين فيما يختص بأصالة الفصاحة والإعراب في القدماء، وانضباط الحركات عندهم :

" ... إن العرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم رفعاً ونصباً وجراً وجزماً، وذلك بالسليقة التي فطروا عليها منذ نشأتهم في بيئة فصيحة اللسان سليمة البيان ، حتى أصبح الإعراب لديهم من الملكات الراسخة، وقد انطبع حسهم اللغوي عليه. وكل خلاف في النطق بهذه السليقة ينبو لسان العربي عنه. يقول أبو بكر الرازي: ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر إسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن ومصّرت الأمصار ودُوّنت الدواوين ..." [٤]

وإلى مثل هذا ذهب ابن جني في الخصائص [٥]

---

[١] - إيضاح العلل – الزجاجي ص٧٠

[٢] -الخصائص- ابن جني ص٣٤/١ – ت النجار .

[٣] - شرح الأشموني على الألفية – ص ٦-ت محمد محي الدين - الحلبي – ط ٢

[٤] - الدرسات اللغوية عند العرب – آل ياسين ص ٣١

[٥] الخصائص ابن جني ج١ص/٧٢

أمّا– طلال علامة ، فبيّن الكيفية التي تكوّن بها هذا النحو معتمداً على ما سبق ، بقوله : "... الإمام علي وتلميذه أبوالأسود لم يخترعا أصولاً لم تكن موجودة ، وإنما نظرا إلى الواقع الممارس قبل الفساد واستلهما من صوره أُسساً ثابتة نسجا على هديها ..." (١)

– وقال أيضاً – يصف واقع العمل الذي قاما به – الإمام وأبوالأسود– في النحو : بأنه،

" ... التماعة فكرية لا تتجاوز عمل رجلين استنطقا سليقتيهما العربية ، وأعملا نظرتيهما واستقرآ الواقع الذي غذته مئات الآلاف من المخيلات والعقول والسلائق والألسنة ، حتى غدا نموذجاً ساحراً بتعابيره اللفظية الرائعة ..." (٢)

فخلاصة الأمر ، أنّ وجود النحو كان سابقاً في كلام العرب تؤيد ذلك كل الدلائل – وإن لم يُنقل إلا بعد حين . هذا ، وفيما سنعرضه –لا حقا – من أطوارالنحو ونحاته في الوضع والإصلاح، ما يبين أظهر حركات تطور النحو عندهم.

– أساليب التّطوّر في الفكر النّحوي

أساليب التطور في النشاط العقلي أو الروحي ينقسم –بحسب بعض المؤرخين (٣) – إلى : طريقتين :

الأولى: طريقة التطور بالأسلوب الرأسي (التراكمي) – في بعض المعارف .

والثانية : طريقة الأسلوب الأفقي ، في بعض المعارف الأخرى .

أ – الأسلوب الرأسي (التراكمي)

وهو الطريقة التي يتطور بها العلم ويعلو صرحه متراكماً في الإتجاه الرأسي . وتختص به المعارف العلمية (العلوم الطبيعية والتجريبية) . فالمعرفة العلمية في تطورها أشبه بالبناء الذي يشيّد طابقاً فوق طابق ، مع فارق أساسي هو أنّ سكان هذا البناء ينتقلون دوماً إلى الطابق الأعلى ، أي أنهم كلما شيّدوا طابقاً جديداً انتقلوا إليه وتركوا الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء.(٤)

ويشرح فؤاد زكريا هذه الصورة في حالة المعرفة العلمية ، " بأنّ كل نظرية علمية جديدة تحل محل النظرية العلمية القديمة ، والوضع الذي يقبله العلماء في أي عصر هو الوضع الذي يمثل حالة العلم في ذلك العصر بعينه لا في عصرسابق ، والنظرية العلمية السابقة تصبح بمجرد ظهور الجديد شيئاً تأريخياً ؛ أي أنها تهم مؤرخ العلم لا العالم نفسه" .

---

[١] ـ نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة ـد طلال علامة ص١٣٧ دار الفكر اللبناني

[٢] ـ نشأة النحو ص١١٠

[٣] ـ دكتور فؤاد زكريا – التفكير العلمي – ص ٢٢ ـ ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٩م

[٤] ـ التفكير العلمي – نفسه ص ٢١-٢٢

ومن هنا فإنّ سكان البناء العلوي (العلماء) في حالة تنقّل مستمر ، ومقرهم هو أعلا الطوابق في بناء لا يكف لحظة واحدة عن الارتفاع .."[1]

وقد دعم هذه النظرية – (في اختصاص هذا المسار الرأسي بالمعرفة العلمية) – الدكتور توفيق الطويل ، في معرض مقارنة أجراها بين الأدب – ويلحق به الفن والنحو بالطبع– وبين العلم ، وحول الجديد والقديم فيهما . قال :

" ... هذا هو الحال في العلم ، فماضي العلم هو الجزء الميت الفاني من المحاولات التي قام بها العلماء ... أو الجهد الذي أدركه النسيان بعد أن بلغ أصحابه الغاية ، لهذا فإنّ العالم يبدأ أبحاثه من حيث انتهى سابقوه ... وينظر إلى الإمام ولا يلتفت إلى الوراء ..."[2]

بينما وصف الأدب ، ومن ضمنه النحو بعكس ذلك ، فقال :

"... فالأدب لايغني حاضره عن ماضيه ، لأنّ ماضيه يجري متجدداً فيّاضاً مع كل أديب وعبقريّ في كل عصر..."[3].

(... ويمكن تقريب الصورة لهذا المسارفي تطورالمعارف العلمية بالصورة الهرمية التالية ..)

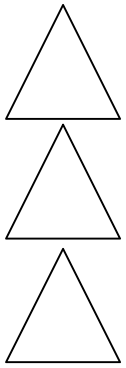

حيث يتدرج نمو الفكرة أو النظرية على مراحل نحو الأعلا والأرقى (وفق آخر مستجداتها) – طابقاً فوق طابق ، مكونة هرماً رأسياً ينتهي بالقمة ، حيث تتحدّد معالمها وتبلغ غايتها . ثم لا تلبث

[1] -التفكير العلمي . ص ٢١
[2] - مجلة اللغة العربية د. توفيق الطويل –ص٢٨ – - القاهرة / مايو١٩٨٥م
[3] - مجلة اللغة العربية – ص٢٨

أن تستأنف فكرة ، أو نظرية مستجدة مساراً جديداً ، غير معتمدة كلياً على النظرية أو الفكرة السابقة ، وتتصاعد في مراحلها إلى نهاية مساراتها الرأسية ، يعلو بعضها بعضاً في نظريات وفكر متنوعة تحدد كلاً منها متطلبات العصر . ويجمعها كونها من مادة واحدة هي المادة العلمية غير المنتناهية في طبيعتها وخضوعها لحاجات العصورالمتتالية ، وإن فرقها كونها أفكاراً متفردة أو ربما متناقضة .

ب – الأسلوب الأفقي : والنحو

وفيها يأخذ التطور مساره أفقياً في التراكم، وذلك في حالة العديد من المعارف غير العلمية ، من بينها علم النحو بالضرورة . ومعنى المسار الأفقي هنا ، بقاء التطور ضمن حدود أخيرة من تطور المادة (الفكرة المعرفية) لا يتعداها ، لكن يظل النشاط في التطور يعمل ضمن تلك الحدود مشرّقاً ومغرّباً ، بادئاً ومعيداً ، بتفريع المادة المتوفرة وتحليلها ، واستعراضها وتوليد ما أمكن توليده منها ، واستلهام ما بلغته أو ما تضمنته من أسرارها .

وقد ربط فؤاد زكريا هذه الطريقة بأنواع متعددة من النشاط العقلي والروحي للإنسان ، أهمها النشاط العقلي الفلسفي ، حين قال :

" عرف الإنسان منذ العصور القديمة نوعاً من النشاط العقلي قد يبدو مشابهاً للمعرفة العلمية (العلوم الطبيعية) إلى حد بعيد هو المعرفة الفلسفية ، لكن هذه المعرفة الفلسفية لم تكن تراكمية ، بمعنى أنّ كل مذهب جديد يظهر في الفلسفة لم يكن يبدأ من حيث انتهت إليه المذاهب السابقة ، ولم يكن مكملاً لها ، بل كان ينتقد ما سبقه ويتخذ لنفسه نقطة بداية جديدة " .(١)

ويستخدم زكريا التصوير أيضاً فيقول : " ... إنّ البناء الفلسفي لا يرتفع إلى أعلا ، بل يمتدّ امتداداً افقياً . وفضلاً عن ذلك فإن سكان هذا البناء لايتركون طوابقه القديمة ، بل يظلون مقيمين فيها مهما ظهرت له من طوابق جديدة ؛ ذلك لأنّ افتقار المعرفة في ميدان الفلسفة إلى الصفة التراكمية يجعل المشتغلين بالفلسفة يجدون في تياراتها القديمة أهمية لا تقل أهمية عن التيارات الحديثة ، ومن ثَمَّ تظل موضوعاً دائماً لدراستهم ..."(٢)

أمّا فيما يختص بالفكر النحوي ، فإنّ هذه المواصفات للنشاط العقلي الفلسفي لا تبعد كثيراً عنها في النشاط العقلي النحوي ، ولا عجب فقد تأثر النحو بالفلسفة في زمن مبكر خلال مراحل تطوره ، فأضاف إلى بعض خصائصه شيئاً من هذا . أضف إلى ذلك ، أنّ طبيعة المادة النحوية تتميز بقابلية الجمود عند حدٍّ معين ، إذ هي وقفٌ على مواصفات لغوية مكتسبة بالسليقة لا تتخلف عما ترسّخت عليه من معايير محددة ، كحركات الرفع والنصب والجر والجزم .

---

١ -التفكير العلمي – د . فؤاد زكريا ص١٥

٢ - التفكير العلمي – ص ٢٢

" ولا يقدح هذا الواقع بأي حال من الأحوال –في تطور النّحو وما قام عليه من ارتباط بالماضي ، وخاصة إذا كان الماضي القديم هو السياق الذي يفهم من خلاله كل جديد، وخير مثال لذلك : الفن ، فالفن ينمو أفقياً ، بمعنى أننا نظل نتذوق الفن القديم ولانتصور أبداً أنّ ظهور فن جديد يعني التخلي عن أعمال الفنّانين القدماء ، أو النظر إليها بمنظور تأريخي فحسب، وبطبيعة الحال فإنّ هذا النموّ الأفقي لايعني أنّ أي إتجاه جديد في الفن أو(في النحو بالأحرى) كان يمكن أن يظهر في أي عصر سابق إذ أنّ ظهور الإتجاهات الفنية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجموعة الأوضاع الاجتماعية والثقافية والروحية ... بحيث لا يمكن أن يفهم هذا الإتجاه حقّ الفهم إلا في سياقه التأريخي الذي ظهر فيه"(١)

وفي مجمل الأحوال نخلص من هذا المقام إلى : أنّ المسار الأفقي هو المسار الطبيعي الذي قام عليه الفكر النحوي ، فانتهى به بعد العلو والرقي مبكراً إلى غاية وقف عندها ليبدأ من جديد تطوراً أفقياً ، أي دون أن يغادر تلك الغاية بفكر جديد مختلف في الشكل أوالمضمون يضاف إلى قمته التي بلغها ، وقد راح يدور ويتوسع ضمن المحتوى بأفكار جديدة ما شاء له التوسع في اتجاهات جانبية أفقية تمثلت شرحاً وتصنيفاً واستنباطاتٍ بجهود العلماء النحاة ، منذ أبي الأسود وسيبويه، حتى ابن **هشام** ومن جاء بعده . فأنتج كل منهم ما يمكن أن يصدق عليه تطور في النحو ، برز من خلال غزارة الشروح وتعدد المنظومات والحواشي ، والتنويع في بحوث العلل وسبل التيسير والتسهيل في إطار تشعّب ضخم ناءت به المادة النحوية تحت ثقل الترميمات التي لحقته، و بما تأثر به من معارف ومستجدات طرأت على الساحة العلمية العربية جرّاء الأوضاع الاجتماعية والثقافية والروحية المتغيرة.

فغاية ما يمكن أن يوصف به تطور الفكر النحوي هو : أنه كان في مجمله تطوراً إصلاحياً، وأنه لا يخرج بالفكر النحوي عن دائرة الانتقال من صورة إلى صورة أخرى يختلف ظاهرها ويبقى مضمونها ، كمثل التطور في خلق الإنسان من نطفة ، ثم بعد مراحل (أنشأه الله خلقاً آخر) ، مع بقاء الخصائص الأولية وسماتها من الطور الأول، في الطور الذي انتهى إليه – وهكذا تطورالنحو ليس كالتطور الذي قد ينتهي بالشيء إلى نقيضه، تماماً كما في تطور المعارف العلمية ، حيث النظرية قد تحيا ردحاً من الزمن قبل أن تظهر أختها بفعل التطور ، فتنقضها من أساسها وتحل محلها ، لكنهما تبقيان مقبولتين موصوفتين بالجدة ، إذ كان في طبيعة المادة وعوامل قيامها ما سمح بذلك . فإثبات نظرية فكرية ما : أنّ القهوة مضرّة بالصحة مثلاً ، ثم قيام نظرية أخرى بعدها تثبت : أنّ القهوة مفيدة للصحة ، لا يعيب أيّاً من الفكرتين أو النظريتين ، لأنهما عاشتا وتعيشان ، وقضتا وتقضيان كما قُدّر لهما في حينهما وحين الحاجة إليهما .

---

١ - التفكير العلمي ص ٢٣

على أننا لا نتوقّع مثل هذا التناقض المقبول بهذا المعنى في تطور الفكر النحوي ، فليس في الإمكان أن نتقبل أو نستسيغ أن نرى مثلاً قاعدة نحوية (كالفاعل) وحكمه (الرفع) قد تطور يوماً فأصبح الفاعل يسمى مفعولاً وحكمه النصب . أو أن يتطور جمع السلامة(المسلمون) فيعرب بالحركات بدلاً من إعرابه بالحروف . لن يكون ذلك كذلك إلا عبثاً . أو أن يبادر التطور – قبل ذلك – إلى تطوير سليقة غير عربية في الإنسان ، يتطبع بها لسانه وعقله وفكره (وذلك من قبيل المستحيلات) إلا ما شاء الله .

والأولى أن يشمل التطور – حينئذٍ– هذه القاعدة أو تلك، فيكشف المزيد من خصائصها . كأن يُثبت أنّ (محمد) – وهو مفرد – لا يوصف بالفاعل إلا من خلال تركيب يسند إليه الحدث بوضع معين ، وأنّ العلة في إعراب جمع السلامة بالحروف في كونه يتأتى تماشياً مع سليقة الطبع واللسان ، وسهولة النطق والبيان ونحو ذلك . وإلا فلا جدوى من أي إصلاح لا يراعي السليقة .

فبمثل هذا نستطيع أن نزعم أن التطور الإصلاحي استطاع أن يقرب ويراعي المسافة ما بين المتكلم والقارئ والمستمع وبين اللغة التي يتكلم بها ويقرأ ويسمع ، ويتفاهم مع غيره ، خاصة بين أولئك الذين لم ينشأوا على السليقة العربية ، وأولئك الذين فقدوا سلائقهم بفعل الذوبان في غيرهم حتى غدا هذا النحو والعربية عامة وكأنما قد وضع لغيرالعرب البلغاء منهم ، والفصحاء سليقة وطبعاً .

الفصل الرابع
ابن هشام بين مدارس النحو وأطواره

المبحث الأول : مدارس النحو

المبحث الثاني : أطوار النحو

المبحث الثالث : ابن هشام وطور البسط والتصنيف

المبحث الأول

مدارس النحو

ظهورمدارس النحو كان نتيجة طبيعية للتطور المتلاحق الذي تواصل في النحو أفقياً، إذ أخذ علم النحو في التطورالأفقي المتواصل بعد نشأته على أيدي أعلامه الأوائل كأبي الأسود وطبقته ؛ لاتصالهم الوثيق بالحياة الفكرية المزدهرة في تفسير القرآن الكريم ، وتأويل الأحاديث النبوية الشريفة من خلال مجالس الجدل والمناظرات التي طبقت الآفاق والتي استدعتها حداثة الداخلين بلغاتهم وموروثاتهم الثقافية إلى الإسلام . حتى كان الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه اللذان يعتبران بحق المؤسسيْن للنحو العربي بصورته المعروفة . فبظهور " الكتاب" لسيبويه – ذلك الكتاب المشهور، الذي ضمّنه سيبويه آراء شيخه الخليل، وعدّه النحويون من بعده قرآن النحو – فكان قمة في تطورالفكر النحوي تطوراً كبيراً .

ومن أهم مظاهر تطورعلم النحو العربي، انقسامه وتشعبه إلى مدارس ونظريات ، تحت ضغط عوامل من البيئة ومن تعدد لغات العربية ،واتخاذ المنطق والفلسفة وسيلة لتعليل الاختلافات اللغوية المسموعة في كلام العرب . وكما أن انقسام الشيء الواحد يعتبر مؤشر فساد وعامل انهيار ، فكذلك هوبنفس القدر دليل قوة وبلوغ قمة، فعند أهل التأريخ : أن انقسام الدولة الواحدة إلى دويلات ، دليل على ضعف في المركز وقوة في الأطراف . وغاية مايمكن أن نصف به مركز النحو عند انقسامه في تلك العهود المزدهرة ، بالتشبُّع الذي أدى إلى انفجار تطايرت شظاياه في مدارس ونظريات، مدارس عرفت بأسماء بلدان تكونت فيها . أولها المدرسة البصرية : التى تفجّرت بالنحو فأفرخت بإزائها المدرسة الكوفية . وهما معاً أوحتا بالبغدادية فالمصرية فالشامية فالأندلسية، التي منها جميعاً استقى **ابن هشام** فكره النحوي المتفرّد ، ورؤيته المتطوّرة للنحو التعليمي الميسّر. ونشأت نظريات تتابعت في العصر الحديث شكلت وجهات نظر هي الأخرى متشعبة ، وإن اتّحدت جميعها في الدعوة إلى تيسير النحو وتجديده وتقريبه من المتعلمين والعالَمين .

١ – مدرسة البصرة :

نسبة إلى مدينة البصرة التي كانت مصرا من الأمصار، حيث ضمت نخبة من علماء النحو في مواجهة ظروف لغوية ملحّة بحكم موقعها في ملتقى العرب والعجم . عرفت آراؤها بالمذهب البصري تأثراً بالاتجاهات الفقهية السائدة . ويدعى أنصارها بالبصريين ، لم تتميز كمدرسة إلا بعد بروزالمدرسة الكوفية مشتقة منها ومتميزة عنها في المنهج والطريقة. دستورها في النحو كتاب سيبويه . ومنه تجددت

وتنوّعت الآراء البصرية في النحو. "... وضعت أصول القياس النحوي ، وأنها كانت تسعى إلى أن تكون القواعد مطرّدة اطرادًا واسعًا ، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها إطارًا لوضع قانون نحوي ، ولذلك كانت تتحرى صحة الاستقراء اللغوي ، كما رفضت الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، لما ادعي من جواز روايته بالمعنى ، ولدخول كثير من الأعاجم في هذه الرواية ...

عدد غير قليل من القضايا التي استقرت عليها فسر في ضوء نظر عقلي لا يطابق الواقع اللغوي " استمر التعصب لها قديما وحديثا في مواجهة المذهب الكوفي" ([1]).

من أشهر أعلامها الأوائل وآثارهم :

– سيبويه ،(١٨٠هـ) إمام المذهب البصري ، وينبوع المذاهب الأخرى وكتابه (الكتاب).الذي ضم وشرح أقوال الخليل أستاذه . وتوفر على شرح الكتاب وتعليمه الكثيرون .

– المبرد–(٢٨٥هـ) أبوالعباس محمد بن يزيد قائد المذهب بعد سيبويه ، في كتابه المقتضب .

وغيرهما جملة من الأعلام البصريين ومؤلفاتهم، سيرد ذكر بعضهم في معرض هذا البحث – إن شاء الله .

٢ – مدرسة الكوفة :

نسبة إلى مدينة الكوفة وكانت أيضا مصرًا من الأمصار ، نشأت بعد البصرة بعامين ، وفي موقع بظرف مشابهٍ لها . آراء علمائها هو المذهب الكوفي ،وأنصارها الكوفيون ،

و " لا تذكر البصرة إلا وتذكر معها الكوفة . ويرجع ازدهار النحو فيها إلى ما كان بين المدرستين من تنافس شديد ارتفع إلى درجة الخلاف حول كثير من ظواهر العربية . تعلمت النحو من البصرة ، ثم بدأت تتخذ لنفسها منهجاً خاصا فيه حتى تشكلت لها مدرسة متميّزة ، وحتى لا تكاد تجد مسألة من مسائل النحو إلا وفيها مذهبان، بصري وكوفي . بل لعلك تستطيع معرفة رأي إحداهما إذا وقفت على رأي الأخرى .

ومن أشهر أعلامها الأوائل وآثارهم :

الكسائي:(١٨٩هـ) أبو الحسن علي بن حمزة ، أمام المذهب الكوفي . وله فيه(مختصر النحو) و(ماتلحن فيه العوام) ومواقفه في المسألة الزنبورية أصل الخلاف مع البصريين .

الفراء : (٢٠٧هـ) يحي بن زياد – وكتابه المشهور (معاني القرآن)

وكذلك (جملة من أعلام الكوفة ومؤلفاتهم ، ترد خلال هذا البحث .

نماذج من أصل الخلاف بين المدرستين .

---

[1] – دروس في المذاهب النحوية د/ عبده الراجحي –ص ١١ – الطبعة ٨٠ –١٩٨٨م .

" ازدهرت فيها رواية الأشعار بجانب الفقه ، وكانت أكبرمدرسة لقراءة القرآن . تعتمد المثال الواحد لتجعله ظاهرة عامة بحيث تستخرج منه القاعدة التي تراها صالحة للاستعمال . لهذا كان كثيرمما ذهب إليه الكوفيون أقرب إلى الواقع اللغوي مما ذهب إليه البصريون الذين كانوا يتشددون في التوصل إلى القاعدة من الأمثلة الكثيرة ،ويعتبرون الأمثلة المفردة –على مذهب الكوفيين– شواذ من القاعدة . مما فتح الباب أمام كثير من الشبه التي يثيرها الدارسون على النحو العربي ، والتي يدحضها ما يذهب إليه الكوفيون فيما لو وُجِّه الاهتمام به وبدراسته بقدر الاهتمام بالبصري .

ويمثّل ابتعاد الكوفيين عن التأويل العقلي ، واقترابهم من المنهج الوصفي السليم . "([1])

القضية التالية في : وقوع الجملة فاعلا :

" كان البصريون قد قرّروا أن الفاعل لايكون جملة ، ولكنهم اصطدموا بنصوص عربية لا يرقى إليها الشك تؤكد وقوع الجملة فاعلا ، فاضطُروا إلى تأويل النص والإسراف فيه ، وذلك نحو قوله تعالى : (ثُمَّ بدَا لهُم مِن بَعْدِ ما رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُ حَتّى حِينٍ) ([2])... أين فاعل الفعل (بدا) ؟.

اضطروا إلى أن يدوروا حول النص ، فقالوا : إن الفاعل هنا ضمير مستتر تقديره (هو) . فعلى أي شيء يعود هذا الضمير ؟ قالوا إنه يعود على المصدر المفهوم من الفعل ، والتقدير : ثم بدا لهم بداء، هو ....ثم قالوا إن الجملة (ليسجنه) جملة تفسرية تفسِّر هذا الضمير المستتر العائد على البداء"

ومن الواضح أن هذا الضمير لم يظهر قط وأن هذا البداء خيال .

أما الكوفيون فقد قالوا إن جملة (ليسجننه) هي الفاعل . وليس من شك في أن هذا هو الصحيح ، ووقوع الجملة فاعلا ليس أمرًا غريبًا في اللغات "([3])

وأيضاً في قضية حذف الفعل وجوبا وبقاء الفاعل ، بعد (إنْ ، وإذا) ، نحو (وإن أحد من المشركين استجارك) وقوله: (إذا السماء انشقت)

" مذهب جمهور البصريين ، وحاصله أن الاسم المرفوع بعد (إن وإذا) الشرطيتين فاعل بفعل محذوف وجوبا يفسره الفعل المذكور بعده .

ومذهب جمهور النحاة الكوفيين ، وحاصله أن الاسم المرفوع بعد إنْ ، وإذا فاعل بنفس الفعل المذكور بعده ." ([4]) فيلاحظ قرب المذهب الكوفي من الواقع اللغوي البسيط المتبادر إلى التفكير الطبيعي لذهن التلميذ والمتعلم . وهو منهج وصفي سليم ، بينما رأي البصريين اشتمل على فلسفة تعتصرالأذهان اعتصارا .

---

[1] –– دروس في المذاهب النحوية السابق – د/ عبدة الراجحي ص١١–١٢

[2] - يوسف ٣٥

[3] - دروس في المذاهب النحوية– السابق -ص ٨٩ –٩٠

[4] - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – الحاشية/ ج٢/ص٨٦ – محمد محي الدين عبد المجيد– طبعة ١٩٨٨-

هذا، وقد زعم بعض الدارسين أنه حتى هاتين المدرستين –البصرية والكوفية– فضلاً عن سواهما، مدرسة واحدة ومذهبهما واحد في الأصل، ولايرى مكان لفصلهما بمذهب، إذ لا خلاف بينهما في أصل التفكير النحوي، وإنما فقط–حسب قوله– خلاف في عدد المسائل التي لاترسم معالم منهج خاص في طبيعة الدرس، وهي أسباب فرعية لا خطر لها.[1]

٣–المدارس المختلطة : وهي

البغدادية والشامية ، والمصرية ، والأندلسية . التي تميّزت كلها بمزايا خاصة في النحو تكونت لديها من أخذها بأرجح ما في المذهبين –البصري والكوفي– وتطويره وفقا للبيئة المحيطة وقضاياها . وينسب بعض الدارسين **ابن هشام** إلى هذا الضرب من المذاهب ، وإن كان قد تميز منفرداً –كما سيأتي– بمذهب وسط بينها وبين المذهبين الرئيسيين –البصري والكوفي – هذا ، وقد أنكر بعض الباحثين كما أسلفت تسميتها مدارس ، ومنهم الدكتور على المزهر ، على أساس أنها لم تستقل بحمل الخصائص المدرسية المتميزة .

–المدرسة البغدادية :

ونمثل من أعلامها بابن الأنباري–" (أبو البركات٥٧٧هـ)، وإن كان أميل إلى مدرسة البصرة . فقد أخذ النحو عن ابن الشجري ٥٤٢هـ الذي تنتهي سلسلة شيوخه إلى سيبويه .

و كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) جمع أهم المسائل التي اختلفت عليها المدرستان ، فكانت عدتها (١٢١) مسألة ، رتب الخلاف فيها متأثرا بمسائل الخلاف بين الفقهاء ، فذكر من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق ، واعتمد في النصرة على ما كان يذهب إليه من مذهب أهل البصرة أو الكوفة محاولا – كما يقول– أن يكون ذلك على سبيل الإنصاف . ، لا التعصب والإسراف" . وإن كان التعصب للبصريين قدغلب في الكتاب على عمله ، فلم يتخلص من هواه البصري ، إذ لم يؤيد الكوفيين إلا في سبع من المسائل فقط ، هي رقم–(١٠/ ١٨/٢٦/٧٠/٩٧/١٠١/١٠٦ .) "

فهو يقدم القضية التي جرى حولها الخلاف ، ثم يقدم براهين الكوفيين ، ومن بعدها براهين البصريين . ثم يقدم –في الأغلب– جواب البصريين على كلمات الكوفيين " .

وبين تلك المسائل ما يكشف سيطرة (نظرية) العامل على الفكر النحوي العربي مما يؤكد ردود الفعل القديمة المتمثلة عند ابن مضاء (كما سيأتي)، والحديثة المتمثلة عند عدد من اللغويين والمحدثين كذلك . ثم ما ظهر أخيرا من **قبول التحويليين** لأساس هذه النظرية ." ([2])

[1] - الفكر النحوي عند العرب – د. علي مزهر ص٣٦١

[2] - دروس في المذاهب النحوية– الراجحي –ص١٠٩-١١٠

وأكتفي في التمثيل لذلك هنا بالإشارة إلى المسألة الواردة في كتاب الإنصاف –بعنوان (القول في رافع المبتدأ ورافع الخبر) ([1])

والمسألة عرضها يسير على نحو ماذكرت من منهج ابن الأنباري وخلاصتها : أنه خلاف " ناشئ عن إيمان المدرستين بنظرية العامل في النحو ، فكل أثر إعرابي لا بد أن يكون له سبب ؛ أي عامل ، والعامل إما لفظي أو معنوي .

والجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ مرفوع والخبر مرفوع . فما السبب في رفعهما ، أي ما العامل فيهما ؟ البصريون يرون أن المبتدأ يرتفع بالابتداء ، فما هو الابتداء ؟ – إنه عامل معنوي ، وهو وقوع الكلام في ابتداء الكلام على وجه الأصالة ، وهو التجرد عن العوامل اللفظية .

لكنهم اختلفوا فيما يرفع الخبر :

فريق يرى أن (الابتدا) و(المبتدأ) يرفعان الخبر معاً .

ب–وفريق يرى أن (الابتداء) و(المبتدأ) يرفعان الخبر معا .

ج–وفريق ثالث يرى أن (الابتداء) يرفع (المبتدأ ، والمبتدأ يرفع الخبر .

أما الكوفيون فيرون أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ ؛ أي أن العامل هنا عامل لفظي .

هل كان الكوفيون ينكرون العامل المعنوي ؟

الحق أنهم لم ينكروه بل فسروا رفع المضارع على أساسه ، فقالوا :

إنه يرتفع لخلوه عن الناصب والجازم ، أي لتجرده عن العوامل اللفظية ، وهذا عامل معنوي " ([2]).

(وهي من الصور الجدلية التي أدت إلى إثراء الفكرالنحوي عند العرب عامة وعند ابن هشام خاصة)

وقد تميّزت مدرسة بغداد بمنهجها الخاص المبني على الانتقاء من المذهبين السابقين ، اللذين اتصل بهما روادها الأوائل. فتفاوتوا في ميولهم بين من يأخذون عن البصرة وميلهم الكوفي أشد ، مثل : ابن كَيْسان ، وابن شُقَير. وبين من يأخذون عن الكوفة وميلهم البصري أشد . كأمثال : الزَّجّاجي ، وأبي علي الفارسي ، وابن جِنِّي .

وتتابع بعد هؤلاء – أمثال صاحب الإنصاف –الآنف الذكر– وأمثال الزمخشري ، صاحب الكشاف ، وكتابه (المفصل) في النحو البغدادي ، وابن الشَّجري وابن يعيش وغيرهما .

---

[1] - الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري ص٤٥–٥٥ – تحقيق محمد محي الدين الطبعة ١٩٨٢

[2] - دروس في المذاهب - ص١١٠-١١١

المدرسة المصرية الشامية

" رغم سيطرة كتاب سيبويه، كان النحو في مصر انعكاسا للنحو في البصرة والكوفة ، فقد أخذ ولاد بن الوليد، عن الخليل ، وأبو الحسن عن الكسائي ، ثم اتجه النحويون في مصر بعد ذلك إلى بغداد فصنعوا صنيعهما في المزج بين مذهبي البصرة والكوفة محاكين في ذلك بغداد .

وكانت الحركة النحوية في اقليم الشام صورة للحركة في مصر ، فالحدود بينهما كانت متصلة ، والرحلة بين البلدين ميسرة ، والعلماء يتنقلون بينهما دون حواجز أو قيود ، ويترددون على قصور الأمراء والسلاطين فيهما لنشر العلم وأخذ العطايا .

من رواد الإقليمين :

في مصر – بعد ولاد ، يذكر أبو علي –أحمد بن جعفر ، وله (المهذب) على غرار الأنصاف ، ومحمود بن حسان ، وكان نحويا مجودا .

وفي الشام – اشتهر في دولة بني حمدان – أبو علي الغالي ، وابن جني ، وابن خالويه . مع المتنبي ، وقد أثرت مناظراتهم الحركة النحوية .

بيد أن أشهر من خلفوا في الإقليمين المتحدين :

– عبدالله بن بَرّي المصري النحوي–٤٩٩هـ الذي لدقته قلت تصانيفه النحوية ، فله (مقدمة اللباب) و (جواب المسائل العشر) .

– يحي بن معط ٥٦٤ هـ من مؤلفاته في النحو (حواش على أصول ابن السراج) و(الدرة الألفية) . التي سبق بها ألفية ابن مالك ."

– ابن الحاجب : عثمان بن عمرو – ٥٧٠هـ من أعلام مصر في النحو . وله(الكافية) و(الشافية) و (الأمالي) . وشروح لكتاب سيبويه ومفصّل الزمخشري ."([1]) وغيرهم .

المدرسة الأندلسية :

احتل كتاب سيبويه الصدارة بين الأندلسيين ، ورغم ذلك اشتد إقبالهم على الأخذ عن مذاهب الكوفة والبصرة وبغداد ، لكنهم لا يخضعون خضوعا تاما للنحو المشرقي ، بل يضيفون إليه ما يتوصلون هم إليه . ومن مشاهيرهم :

محمد بن موسى الأفشين ٣٠٧هـ / وهو أ ول من أدخل كتاب سيبويه .

محمدبن يحي الرباحي ٣٥٨هـ

محمد بن حسن الزبيدي ٣٧٩هـ

[1] – دروس في المذاهب / ص ١٥٩/ ١٦٠

ابن الطراوة / ابن الباذش / السهيلي / ابن خروف / ابن عصفور/ و ابن مضاء – غيرهم كثير يمكن الرجوع إليهم في كتب التراجم .

وخلاصة القول :

إن التطور في النحو جاء مرتبطا بتطور البيئة الفكرية وازدهار الثقافة الدينية ، لأنه كان وسيلة التفسير واستنباط الأحكام من القرآن الكريم والحديث الشريف .

ظهور المدارس النحوية مظهر من مظاهر تطور النحو وبلوغه قمة الازدهار ، بحيث انتج صراعا فكريا أدى إلى الاستقلال المذهبي ، أكثر من كونه دليل ضعف وانهيار وتمزق .

اصطبغت المدارس النحوية في أنحاء البلدان العربية بالصبغة البصرية الكوفية التي تمثل قمة نضج النحو ، وتميزت بنتاج مزيجها الذي يتفق وأحوالها الفكرية والبيئية .

شيوع المذهب البصري قام على أكتاف كتاب سيبويه وشهرته وغلبته بين معظم الناس قد أخفى مكانة المذهب الكوفي وصلاحية أكثر آرائه للواقع اللغوي ، بينما استمر البصري –في كثير من آرائه– في رأي البعض–تحت تقديس الناس له– عاملا من عوامل التعسير والانتقاد بين الدارسين .

هذا وقد أنكر بعض المعاصرين([1]) أن يُعتبر ما نشأ من النشاط النحوي في بغداد ومصر والشام والأندلس مذاهب أومدارس بالمعنى الذي تميزت به مدرستي البصرة والكوفة ، لأنه لم يحمل السمات المدرسية المستقلة عن المدرستين الشهيرتين ، فلا يعد التلفيق بين الآراء سمة أوخاصية يصح أن تسمى به مدرسة "

وقد تجلّى مذهب ابن هشام من بين تلك المذاهب، حاملاً سماته الخاصة التي نستعرضها مع الشواهد على ذلك خلال الفصول اللاحقة .

[1] - الفكر النحوي عند العرب – د. على مزهر - ص٣٢٣

المبحث الثاني

أطوار النحو

طبقاً لنواميس النشوء اجتاز علم النحو أربعة أطوار كما يمر الحي بأطوار الحياة وليداً وناشئاً وشاباً وكهلاً . فبدأ –كما أسلفنا– بصرياً ، وانتهى بغدادياً ترجيحيّا .ً وقد تداخلت هذه الأطوار على امتداد تأريخها مع تسرب شيء مما في تاليها على بادئها ، بحيث لا يمكن تحديدها إلا بالأشخاص المبرزين وإضافاتهم المميزة في كل طور.(١) وتلك نتيجة طبيعية لخاصية التطور الأفقي للنحو، كما سبقت الإشارة إليه.

و يلاحظ أنّ بداية النحو الحقيقية كانت بسيبويه منذ الطورالثاني في كتابه ، إذ " ... بهرالعلماء أمر هذا الكتاب فقصرت هممهم عن مطاولته حيناً من الدهر فلم يروا إلا الطواف حوله تعليقاً عليه في النواحي المختلفة شرحاً واختصاراً وانتقاداً واستدراكاً وردّاً وإعراباً للشواهد ، وكان لذلك أثره في استبقاء الفنّين معاً (النحو والصرف) ، بحثاً وتصنيفاً مدّة مديدة عند كثير من العلماء الذين انتضوا للتأليف في كتبهم الخاصة ، فاحتذوا حذو سيبويه ومزجوا بينهما ، واستمر ذلك طويلاً حتى تخطّى ابن مالك لمن بعده"(٢) .

و كذلك ما يمكن أن نعتبره نهاية حقيقية لاكتمال صرح النحو ظهور **ابن هشام** : في مغنيّه ، إذ به بلغ منتهى قمة طور الترجيح والتصنيف ، فشغل من جاء بعده بالطواف حوله حيناً ، دون أن تبلغ الهمم في عموم التأليف في النحو من بعده مبلغه . وفيما يلي ما تيسر من تفاصيل هذه الأطوار .

الأطوار الأربعة التي مر بها النحو على ضوء التأريخ هي :

- طور الوضع والتكوين : وهو : بصري محض
- طور النشوء والنمو : وهو : بصري وكوفي
- طور النضوج والكمال : وهو : بصري وكوفي
- طور الترجيح والبسط في التصنيف : بغدادي وأندلسي ومصري وشامي .

---

١ – نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة /الشخ محمد الطنطاوي ص٢٧)ط٢ جامعة الأزهر .

٢ ـ نشأة النحو – محمد الطنطاوي – ص ٣٤

١- الطور الأول : طور الوضع والتكوين :

وهو طور بصري خالص . إذ فيه تولى نحاة البصرة وضع النحو وتعهده ورعايته قرابه قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية الأشعار والأخبار ، والميل إلى التندّر بالطرائف والملح.

وقد تواكبت فيه طبقتان من البصريين أخذتا عن أبي الأسود الدؤلي . حتى تأصلت في النحو على أيديهم أصول كثيرة وعرفت أبوابه [١] .

الطبقة الأولى :

- من أفذاذها : عنسة بن معدان الفيل ، ونصر بن عاصم الليثي ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر العدواني _ في حدود الدولة الأموية .
- أخذت من أبي الأسود مباشرة ، فاستنبطت كثيراً من أحكام النحو وعملت على نشره وإذاعته بين الناس .
- ماتكون من هذه الطبقة من النحو كان شبه الرواية المسموعة .
- لم تنبت بينهم فكرة القياس ، ولم ينهض ما حدث في عهدهم من أخطاء إلى إحداث ثغرة خلاف بينهم لقرب عهد القوم بسلامة السليقة .
- لم تقو حركة التصنيف فيهم إلا بعض نتف في مواطن متفرقة من فن النحو لم تبلغ حد الكتب المنظمة لاعتمادهم في الأساس على الحفظ والرواية .
- رغم ذلك ، ينسب إلى أبي الأسود أستاذهم أنه وضع مختصراً في النحو .

الطبقة الثانية :

-كانت أكثر عدداً . من أعلامها : عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، وقيل عنه : " ... أعلم أهل البصرة وأعقلهم .. ففرع النحو وقاسه "[٢] . وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء (في الدولة العباسية)

-أضافت كثيراً من القواعد ، ونشأت فيها حركة التنافس بينها ، فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط .

- وضعوا طائفة كبيرة من أصول النحو .
- اختمرت عندهم فكرة التعليل ، على يد : ابن أبي اسحاق .
- نشط القياس على يدي : ابن أبي اسحاق .

---

[١] - نشأة النحو ص٢٩ – بتصرف .

[٢] - نشأة النحو ص٢٩ – وانظر مراتب النحويين – أبو الطيب عبد الواحد اللغوي –ص ٣٥١هـ مخطوط بالخزانة التيمورية رقم ١٤٣٥ .

– كان نتاجهم مزيجاً من النحو والصرف واللغة والأدب وعلوم العربية .
– استطاعوا التصنيف فدُوِّنت عدّة كتب مفيدة .

٢ – الطور الثاني : طور النشوء والنمو :

وهو طور بصري كوفي، ابتداءً من الخليل بن أحمد البصري . وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي . إلى أول عصر المازني البصري ، وابن السّكّيت الكوفي . ويعد مبدأ اشتراك البصرة مع الكوفة في النهوض بفن النحو ، والمنافسة في الظفر بشرفه .

أبرز علماء هذا الطور :

– الخليل بن أحمد الذي جاب البوادي وسمع وشحذ ذهنه ليخرج الدرّ في هذا الفن ، جامعاً أصوله ، ومفرّعاً تفاريعه ، وضامّاً كل شيء إلى لفقه ، وسائقاً الشواهد ومعللاً الأحكام ، وبلغ بذلك غاية محمودة . حمل معه الراية يونس .

– وفي الكوفة ظهر الرّؤاسي شيخ الطبقة الأولى الكوفية ، وعمه الهرّاء الذي كلف بالأبنية الصرفية والتمارين . ولهذا التفت إليها الكوفيون واستنبطوا للصرف كثيراً من القواعد التي سبقوا إليها البصريين ‘ حتى عدهم المؤرّخون الواضعين للصرف . وكان أول مؤلَّف تداولوه بينهم في الصرف كتاب (الفيصل) للرؤاسي .

من مظاهر نشاطهم :

- تكونت في هذا الطورعلى يد الخليل البصري ، والرؤاسي الكوفي بكل من البلدين – البصرة والكوفة – مدرسة خاصة تنحاز إليها كل فرقة .
- تتابعت الطبقات المتعاصرة من كلا البلدين . فعاصر سيبويه من البصرة الكسائي من الكوفة ، فكانا رأسي مدرستيهما . كما تعاصر في نهاية الطور الأخفش البصري ، الفراء الكوفي . وهكذا مضيفين ومدوّنين فيما استنبطه هذا الطور في النحو .
- قطع النحو في هذا الطور شوطاً كبيراً شارف على النهاية .
- الفريق الأول في النحو (البصريون) ظهرت لهم فيه مؤلفات لم يغادرها الصرف لم ينفصل عنها تماماً . والفريق الثاني (الكوفيون) في الصرف ألفوا في بعض أبوابه كتباً خاصة لم تصل إلى حد الانفصال التام عن النحو .

- ألف الرؤاسي كتاب (التصغير) والكسائي كتاب (المصادر) والفراء كتاب(فعّل وأفعل) – من الكوفيين .([1])

٣– الطور الثالث : طور النضوج والكمال :

هو أيضاً طور بصري كوفي . امتدّ من عهد أبي عثمان المازني (...) البصري ، ويعقوب ابن السِّكِّيت (...) الكوفي . إلى آخر عصر المبرّد (...) البصري ، وثعلب (...) الكوفي .

من مظاهر نشاطهم :

- جمعت بغداد بين الفريقين على تعصّب كلٍّ لمذهبه ، غير أنّ تعاقب الأيام أذهب الضغن من القلوب ، مما دعاهما إلى الانهماك والنشاط ، فأكملوا مافات السابقين ، وشرحوا مجمل كلامهم ، فاختصروا ما ينبغي ، وبسطوا ما يستحق ، وهذّبوا التعريفات ، وأكملوا وضع الاصطلاحات ، ولم يدعوا شيئاً إلا نظروه ، ولا أمراً من غير النحو إلا فصلوه عنه ، فخلص النحو عندهم من الصرف الذي بقي منفصلاً في أول هذا الطور .([2])
- " ... لم ينسلخ هذا الطور حتى فاضت دراساته في المدن الثلاث " الكوفة، البصرة، وبغداد" وما يصاقبها واغترف الجميع من منهله ، وبذلوا الجهود الجبارة في استكماله والإحاطة بجميع قواعده – وكان لهم ما أرادوا– فاستوى النحو قائماً على قدميه ، ومُثلت صورته بارزة للجميع ، وامتازت شخصيّته وأوفى على الغاية التي ليس وراءها نهاية لمستزيد ، ولا مُرتقىً لذي همّة فتمّت أصوله وانتهى الاجتهاد فيه بين الفريقين على يد الإمامين المبرد : خاتمة البصريين ، وثعلب : خاتمة الكوفيين.

وبهذا الخصوص : رُوى عن ياقوت الحموي (...) قوله :

" قال لي أبو عمر الزاهد : سألت أبا بكر بن السّراج ، فقلتُ : أي الرجلين أعلم ، أثعلب أم المبرّد ؟ فقال : ما أقول في رجلين ؟ العالم بينهما ."([3])

٤–الطور الرابع – طور الترجيح والبسط والتصنيف :

كان هذا الطور –كما أسلفت – " بغدادياً ، أندلسياً، مصريّاً ، شاميّاً " يتضح من عنوانه أنه طور يمثل عصراً كان التمهيد إليه على أيدي الخالطين النزعتين ، وأنّ أساسه المفاضلة بين المذهبين البصري والكوفي ، وإيثار المختار منهما .

---

[1] - نشأة النحو ص ٣٠ – ٣١ – بتصرف

[2] - نشأة النحو ص٣٦

[3] - نشأة النحو ص ٣٧ . راجع معجم الأدباء – ياقوت – (ترجمة ثعلب ج ٥) طبعة دار المأمون .

ويمكن تمييز هذا العصر بسمات منها :

- كان آخره عصر **ابن هشام** ، وهوعصر الموسوعات والمنظومات النحوية والشروح المنبسطة والخزانات العلمية ، وذلك بفعل الظروف السياسية والهجمات الخارجية التي حاقت بالدولة الإسلامية شرقاً وغرباً فألجأت علماءها للاحتماء مع معارفهم في ظل دولة المماليك بمصر والشام .
- اختفت فيه مظاهر التعصب المذهبي في النحو ، وحلّ محلها مظاهر التعصب السياسي ، فقد حمل تنافس الملوك والحكام المتعددين – من أصول فارسية وتركية وعربية – النحاة إلى تأثرهم بهذه الروح الجديدة ، فأصبحوا بعد أن كان النحوي فيما مضى ينتسب غالباً إما إلى أصله كالدؤلي والمازني والجرمي والزيادي واللحياني . أو إلى صناعته كالهرّاء والزجاج والنحاس . أو ما يتصل به كالكسائي والنحوي ، والزجاجي . فصاروا ينتسبون إلى الأقطار المقيمين بها أو المدن التي نشأوا فيها ، فقيل : السيرافي والفارسي والرماني والبغدادي والتبريزي والزمخشري والأنباري والعُكبَري والسُّهَيْلي والأشبيلي والبطْليوسي والشنتمري والمصري والحلبي والدمشقي ،وما إلى ذلك .

- أمعنوا في الاختيار ، فاصطفوا مسائل ذات بال مزيجاً من المذهبين ، وقد أسلمهم الاستقراء البالغ إلى العثور على قواعد أخرى من تلقاء أنفسهم لا تمت بصلة إلى المذهبين ، تولدت لهم من اجتهادهم قياساً وسماعاً ، لسلامة السلائق في البوادي التي شافهوها حتى أواسط القرن الرابع الهجري .

- البغاددة – شاع كمصطلح عام لهذه الفترة ، شمل تحته كل أسماء المذاهب المختلطة الأخرى . وقد ركن البغداديون إلى قواعد من كلا المذهبين ، واستدركوا أخرى من مستحسناتهم .

ومن القواعد التي عوّلوا فيها على المذهب البصري :

- عمل المصدر المنون عمل فعله ، قال تعالى: " أو **إِطْعَامٌ** فِيْ يَوْمٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍ **يَتِيْمًا** "([1])

أما مّا عوّلوا فيه على المذهب الكوفي فهو:

* إعمال المصدر عمل فعله .
* مجيء " بله " للاستثناء .([2])
* إعطاء المستثنى المتقدم حلكم المستثنى منه قياساً ، فيصير المستثنى منه المتأخر بدل كل لأنه عام أريد به خاص " ([3])
* جواز نداء المعرّف بال في الاختيار دون التوصل إليه بأيّ أو اسم إشارة .([4])
* عدم تنوين المنقوص الممنوع من الصرف مع الفتح حال الجر. ([5])
* مراعاة لفظ الجمع في العدد فيجرد من التاء في نحو ثلاث حمامات .([6])

واختار ابن هشام من مذهبهم :

- انكارهم وجود أن المفسرة، قال : " وعن الكوفيين إنكار أن التفسيرية ألبتة وهو متجه عندي " ([7])
- اختيارهم شرطية "أن) المدغمة في "ما" نحو : أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ ، قال : " وإليه ذهب الكوفيون ويرجّحه عندي أمور ..."([8])

ومن القواعد المستدركة وراء المستحسن من المذهبين :

- جواز تعريف الحال مطلقاً خلافاً للبصريين الموجبين التنكير مطلقاً ، والكوفيين إن لم يُشعر بالشرط نحو: عبد الله المحسنَ أفضلُ منه المسيءَ .

---

[1] - البلد :(١٤)
[2] - مغني اللبيب- الباب الأول (بله – ج١/ص١٣٤) ت / محمد محي الدين .ج ١-٢ – المكتبة العصرية – ١٩٩٢م .
[3] - همع الهوامع – للسيوطي – باب الاستثناء.ج٦ ص٦٨
[4] - باب المنادى – الرضي – على الكافية – وابن الناظم على الألفية ص٤٨
[5] - شرح الممصل - ابن يعيش – باب مالاينصرف ص١٨٩
[6] - شرح الأشموني - أول باب العدد ص١٣
[7] - المغني ا الباب الأول : (أن) - ج١/ص٣٩
[8] -المغني – ١ج/٤٤ص

- جواز عدم الفصل بين المخفّفة والفعل المتصرّف . قال الرّضِي : " وحكى المبرّد عن البغاددة : علمتُ أن تخرجَ بالرفع بلا عوض ..."([1])
- جواز بناء اسم لا مع ارتباط الظرف والجار والمجرور به ، قال الرّضي : " وحكى أبو على عن البغداديين ، أنهم يجيزون كون الظرف والجار في نحو : لا آمِرَ بالمعروف ، ولا عاصمَ اليوم من أمر الله ، من صلة المنفي المبني ..."،([2])
- جواز اتباع محل المعطوف عليه مع عدم أصالته ، قال ابن هشام بعد ذكره الشرط الأول لصحة العطف عليه : " والثاني : أن يكون الموضع بحقّ الأصالة فلا يجوز : هذا ضارب زيداً وأخيه ، لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله ، لا إضافته لالتحاقه بالفعل . وأجازه البغداديون ..." ([3])
- تقدير عامل النصب في : ويحه وأختيها من مادتها ، قال الشيخ خالد : " وذهب بعض البغداديين إلى أنّ ويحه وويله وويسه ، منصوبة بأفعال لفظها "([4])

إليك فيما يلي رسماً بيانياً لأطوار النحو الأربعة في مساراتها

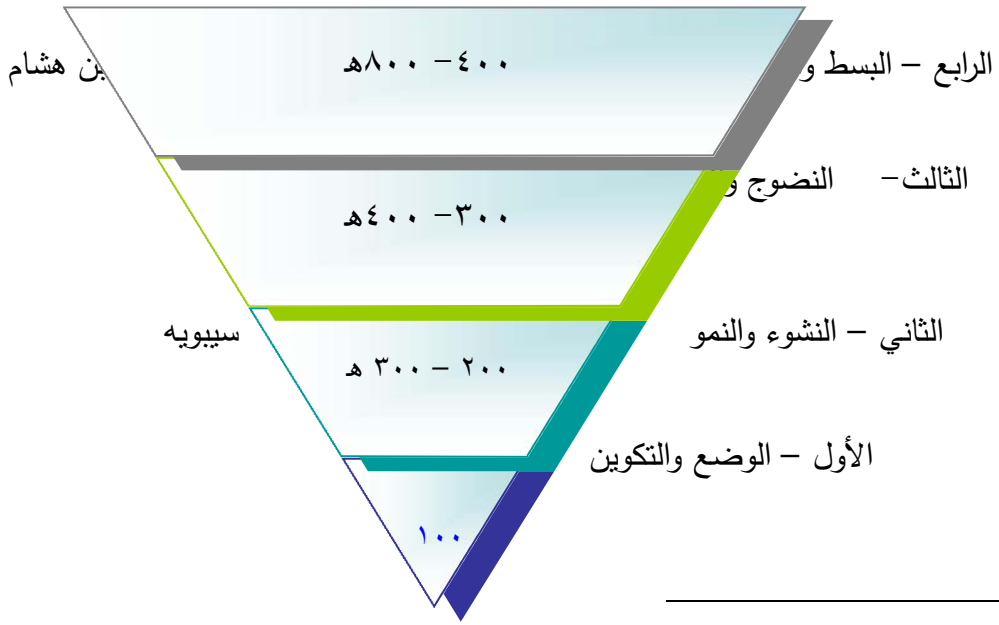

[1] – نواصب المضارع – الرضي على الكافية- ص٤٤

[2] – شرح الكافية – اسم لا النافية للجنس ج٢ ص٦٥

[3] - المغني – الباب الرابع –العطف على المحل – ..ج١ص٥٤٦

[4] التصريح والتوضيح – باب المفعول المطلق .ص٣٣

المبحث الثالث

ابن هشام وطور البسط والتصنيف .

وصف الشيخ محمد الطنطاوي في كتاب : نشأة النحو ، مظاهر حركة التصنيف منذ بداية الطور الرابع ، بين نحاة القطرين – المشارقة ببغداد وماحولها – والمغاربة بالأندلس وما حولها. فقال :

" ... فظهر في البلدين جهابذة العُلام الذين حفظوا وجود هذا العلم بعد نكبتي المشرق والمغرب ، ونقلوه كاملاً غير منقوص لمن بعدهم ممن حدثوا في عصور الظلام (المملوكي وما بعده) ونشطت حركة التأليف لتزايد الإقبال عليها . ومن مظاهر هذا النشاط أن توخى أغلب المؤلفين في مؤلفاتهم المتعددة ، التدرّج والتنويع فيها لاختلاف قدر الطالبين من مبتدئ وشاد ومنته . فجمعوا فيها بين وجيز ووسيط وبسيط ، حبّاً في تعميم النفع كما صنع ابن مالك وابن هشام والسيوطي ..."([1])

وفي مقارنته بين التأليف في هذا لطور والمؤلفات السابقة له ، يقول الطنطاوي :

" التأليف في عمومه في خلال هذا العهد قد طرأ عليه اتجاه جديد ، ذلك أنّ معظم المؤلفات السابقة كانت زعيمة بالإبانة عن نفسها بنفسها ، لا ترتقب تفسيراً ولا توضيحاً مع النزوع إلى الوجهة النحوية ، يستوي في هذا مطوّلها ومُختصرها ، إذ لم يقصد واضعو المختصرات سابقاً إلا مجرد التسهيل على المبتدئ بذكر جزئيّات من مسائل العلم تؤنسه ...فساوت عباراتها في التأدية ما فيها من المعاني .." .([2]) ثم مثّل : بالزّجّاجي في (الجُمل الكبير) و عبد القاهر في (جَمله) أيضاً

---

[1] - نشأة النحو –ص٢٢٩

[2] - نشأة النحو – نفسه ص ٢٢٩

ولاحظ الطنطاوي – الذي علل اختصارات المؤلفين بقصد التسهيل مراعاة لقدر الطالبين في هذا الطور – لاحظ عقمها، لرجوعهم على هذه المختصرات– بعد ذلك– بالشروح والتحشيات المطولة لغموضها وعدم وفائها بالهدف ، أي بما هو أضرّ من الاختصار، حسب المثل العامي (كحّلها عماها) . ومثّل لذلك بمغني ابن هشام وتوضيحه . قال :

" أما في هذا العهد فقد طفق المؤلفون ينشئون المتون مع استيعابها لما في المطولات ، ويفتنّون في سبيل إيجازها ما وسعته قدرتهم ، ومن هنا حسُنت الحاجة إلى الشروح ، وربما جُلّلت بالحواشي . وأقرب الأمثلة لهذا شروح كافية ابن الحاجب ، وألفية ابن مالك ، وكافيته . ومغني ابن هشام وتوضيحه وبعض حواشيها ... " إلى أن يقول :

" المؤلفات التي كانت غزيرة المادة العلمية من الجهة النحوية لم يعبها إلا ما شابها في الشروح والحواشي من كثرة بيان اللهجات ... ومن التعليل ... والتوجيه لتضارب الآراء النحوية مما لا طائل تحته يعود على النحو ... ومن محاولة أخذ القاعدة من مادة الكتاب ... وكثيراً ما يكون في العبارة قصور في الدلالة .." ([1]) انتهى

إذن ، فالهدف العام من لجوء النحاة في هذا الطور وفي السابق إلى المتون بقصد التسهيل والتيسير لم يحقق كل المراد ، بل بعكس ذلك، أدت تلك الاختصارات في المادة إلى زيادة الغموض ، وإذا كانت هذه المختصرات في السابق – حسب الطنطاوي– " زعيمة بالإبانة عن نفسها بنفسها ، لا ترتقب تفسيراً ولا توضيحاً " فلقرب عهد متلقيها بالسليقة والرواية ، ولتنزه النحو المعروض فيها من التعقيدات التي استجدت بعد ذلك . وإن كانت على من طرأ بعد ذلك من الدارسين سقيمة وعويصة ، لبعد عهدهم ، وللتوسع الذي شاب أفكارهم مما خالط النحو .

أما الشروح التي وُضعتْ لهذه المختصرات وفي النحو عموماً قديماً وحديثاً ، فلا يشك في أنها كانت أشد تعقيداً وأدعى إلى تصعيب النحو، وذلك :

– **إمّا** : بفعل الإكثار فيها من إقحام الاعتراضات والرُّدود عليها ثم الردود على الردود ، وكثرة التعقيد والإلتواء في العبارات ، والتهافت عليها دون الغرض الحقيقي من النحو ، مع كثرة حشوها بالمصطلحات الأخرى من فنون عربية وعقلية ، مع التعلق بالاستطراد لأوهى الأسباب ، وعدم ملاحظة من وُضع لمستوياتهم الكتاب ، ففي حواشي كتب المبتدئين كالكفراوي والأزهري ، والقطر من المسائل ما لا يهضمها إلا من تزوّد بهذا العلم . هذا فضلاً عما في طبيعة المادة النحوية من تشعّب القواعد أصلاً .

[1] ـ نشأة النحو– ص ٢٣٠

وفي فداحة هذا الواقع ذُكر : أن النحو صار بعد أبي البركات الأنباري(٥٧٧هـ) على وجه الخصوص " مادة تضيع فيها جهود النحاة على الرغم من توفر حسن النية لديهم، فابن الحاجب مثلاً يضع (الكافية) وينص على أنها مختصرة. فطُلب إليه أن يوسّع مادتها، فشرح الكافية ، ثم نظم الشرح شعراً، فقيل له : أن النظم يحتاج إلى شرح، فشرح النظم. وكل هذه الأعمال مادة واحدة لمؤلف واحد،

وكذلك فعل ابن مالك (٦٧٢هـ)، نظم النحو في أربعة آلاف بيت، ثم اختصرها في ألف بيت، ثم شرحها في كتابه التسهيل، ثم شرح التسهيل .

فإذا كان ذلك كذلك، فما بالك بالكم الهائل من مثل الكافية، من أعمال الآخرين التي في حاجة لمثل ذلك . فصفوة القول : لا ريب أن النحو انتهى وجمد عند حدود القرن الرابع الهجري.

– والتعقيد كذلك **إمّا** : نتيجة الأساليب النحوية التي لا تغادر المصطلحات الغامضة والتراكيب النحوية الغريبة المتداخلة ، تقليداً أو عن قصد ، كما في حكاية الأخفش حين سئل لم لا تكتب ما يفهم ؟ فأجاب ولم لا تفهم ما يكتب ؟. ثم علل فعله هذا بتعمّده الإبهام حتي يتوافر له من هو في حاجة إلى الفهم فيتكسب بتعليمه .([1])

وكذلك يدل على هذا التعقيد الفاحش في الأساليب النحوية : قول الفارسي عن الرُّماني الذي كان يخلط النحو بالفلسفة : " إن كان النحو ما يقول الرّماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء " ([2])

وفي المتأخرين من هذا الطور لم تخل الشروح هي الأخرى من هذا الغموض . فيقول الشوكاني عن حاشية الشُّمُنِّي على المغني :

" وقد رأيت حاشية على المغني وحضرت عند قراءة الطلبة عليّ في الأصل فما وجدتها مما يُرغب فيه ولا بكثرة فوائده ولا بتوضيح خفي ولا بمباحثه مع المصنف ، بل غايتها نقول من كلام الدماميني . وإني لأعجب من تنافس الناس في مثلها " ([3])

وخلافاً لما ذهب إليه الطنطاوي فيما يخص **ابن هشام** فأني أرى أن ابن هشام كان في مصنفاته متميّز الفكر، وقد اتضحت عدم كفاية التيسير والتسهيل من كلا السبيلين ، سواءً بالاختصار وصناعة المتون أو بالبسط والشروح . إلا أنه لم تكن لتعاب أيّ من تلك الجهود لو

---

[1] - الدراسات اللغوية– د. محمد حسين ص ٨٣ / وانظر ابن هشام والعرض النحوي بالفصل التاسع من البحث

[2] - نشأة النحو ص١٧٣ - انظر النجوم الزاهرة ص ٣٨٤ / راجع في الفصل الثامن من البحث

[3] - البدر الطالع – الشوكاني – في ترجمة الشُّمُني – - و نشأة النحو - ص ٢٤٣ / وانظر الثامن من البحث

أنها التزمت الحيطة من الوقوع بين براثن التقديرات والمصطلحات في الإيجاز، و بين براثن الجدل والمنطق والتشعبات النحوية في الشروح والتوضيحات . وهذا ما انتهجه ابن هشام في مصنفاته ، فقد التزم في مختصريه – القطر والشذُّور– تلك الحيطة ، محتفظاً فيهما بقيمة الإختصار مع التدرج والتنويع ، ولم يقع كما وقع غيره فريسة التصعيب والتشعيب ، ثم قام بوضع شروحه عليهما وفقاً لسنه التدرج دون اللجوء إلى التطويل والتهويل . فجاء شرحه بسيطاً سهلاً ، كشرح سيبويه لأقسام الكلام . مع ذلك لم يقنع المولعون بالشروح والتحشيات حتى قصدوا الكتابين فأطنبوا في شرح وتحشية شروحه ، ناسين أو متناسين أن ابن هشام قد رمى إلى الاحتفاظ لهما بقيمة الاختصار مع الإيجاز وقيمة الشرح مع مراعاة الوضوح ، في محاولة جادة منه ، تمثل مرحلة من مراحل تطور فكره النحوي .

كما التزم في كتاب توضيحه الألفية ، الحفاظ على الإيجاز الذي بُنيت عليه ، فجاء شرحه متجنباً التطويل والإحالات والتشعيبات لنفس الغاية ، غاية التسهيل مع الإفادة . " إذ توخّى الإلماع إلى ما فاتها من استكمال لبعض الأقسام ، ومن انسجام في ترتيب المعلومات ، ومن

تنسيق في ضم القواعد المتصلة بعضها ببعض كما يظهر جلياً في باب التصريف، وذلك فوق التخطئة في الأحكام لمسائل كثيرة " ([1]) كل ذلك في أيجاز لم يقنع المحشّين فتعرضوا لهذ التوضيح – رغم وضوحه – بشروحهم وتحشياتهم، لعدم كفايته في نظرهم.

أما المغني فقد نهج به **ابن هشام** تصنيفاً موسوعياً شاملاً مع الحفاظ فيه على وسائل التسهيل والتيسير من تبويب وتقسيم وعرض ومنهج، فجاء متميزاً في الجهدين : الاختصار غير المخل، والتوسع غير المضر .

لهذا تباري العلماء في التعليق على المغني ، ليس لأنه في حاجة إلى شرح وتوضيح . فمذ ظهر تصدّى لشرحه ابن الصائغ إلى اثناء الباء الموحّدة ، وسمّى شرحه " تنزيه السلف عن تمويه الخلف " ، وشرحه بتوسع، الدماميني – بعد أن علق عليه في الديار المصرية ونزح إلى الهند – وسمى شرحه " تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب " وفيه اعتراضات على المغني كثيرة تعقبها الشُّمّنِّي في حاشيته المسماة " المنصف من الكلام على مغني ابن هشام " ، وللسيوطي

[1] ـ نشأة النحو ص ٢٣٤

حاشية على المغني وصل فيها إلى "حتّى" وللأمير حاشية تامة ، وللدسوقي أيضاً ، وكذا الأبياري، وسماها " القصر المبني على حواشي المغني " ..."([1])
هذا ، فضلاً عما قدمه ابن هشام نفسه لشواهده ، وهو في شرحين : كبير وصغير .

وهكذا نؤكد – كما أسلفت – أن هذه التباريات في التكالب على شرح المغني هي– كما توحي عناوينها – من واقع الانبهار والتقدير للمغني أكثر من كونها شروحاً وتعليقات لتوضيحه . مثلما ينبهر شاعر بأبيات جميلة فيبني عليها قصيدة .
وخلاصة الأمر:
لم يخلُ هؤلاء جميعاً ، من اتخاذهم المختصرات المنجزة والشروح الوافية – منذ ابن هشام – ميادين لاستعراض مهاراتهم النحوية ، ، وقوالب لمعلوماتهم الفكرية ، عوضاً عن تقاصرهم في مجارات هذا التصنيف المتقدم، نتيجة ما شُغلوا به من أمر تشعب النحو وتفاقم مشاكله.

[1] - نشأة النحو– ص ٢٣٧

الفصل الخامس

النحو والمستويات الفصيحة
القرآن، والشعر ، والعربية

المبحث الأول : النحو والقرآن الكريم

المبحث الثاني : النحو والشعر

المبحث الثالث : النحو والعربية

المبحث الأول

-النحو والقرآن :

حسب مؤرخي اللغات من المحدثين، فإن اللغة العربية على مستويات ثلاثة، وارتباط النحو بالمستوى الأول – ويمثله القرآن والحديث وما ضارعهما من فصيح الشعر والنثر– ارتباط وثيق. بل ليس للنحو وجود ولاعمل إلا فيه.

ولما كانت **لابن هشام** في بحوثه النحوية اهتماماته الخاصة بالقرآن والشعر وبعلامات الإعراب– كما سيأتي – وأن هذين النموذجين –القرآن والشعر، مضافاً إليهما فصيح العربية– قد تصدرت عنده قمة العمل الفكري– لذلك حسن عندي إلقاء بعض الضوء فيما يلي على مواقع هذه الأنساق اللغوية وغاياتها بين المهتمين بالنحو، لما في ذلك من تفسير لمظاهر من التطور الفكري واتجاهاته الآتي ذكرها لاحقاً.

ولم يكن بدعاً أن يولّي ابن هشام عنايته في بحوثه النحوية شطرهذه النصوص كغيره من النحاة، ولكن البديع في الأمر احتفاله الجاد بها، احتفالاً فاق به أمثاله من النحاة من سابقين أو لاحقين. فهو يكثر في مقدماته من الإشارة إلى هدفه هذا، وهو يستعرض مع كل مسألة من النحو سيلاً من نصوص القرآن والقراءات حتى كأنه في معرض تفسير. وهوكذلك يبالغ في احتجاجاته من المحظور من شعر المولّدين كأبي نواس وابي فراس والمتنبي. كما لايقف عند الوصف الظاهرلعلامات الإعراب، بل–مع إيجاد تفسير للاستعمالات الخاصة للتركيب – ينفذ من خلالها إلى التغييرات الحاصلة داخله وصولاً إلى المعاني الكامنة والخلفية وراءه ، والآثار المترتبة عليها في إدارة المعاني وصياغة التراكيب.

وكمظهر يؤكد احتفاله بالفصيح أياً كان في سبيل الغاية التعليمية، بعث ابن هشام هذه النصوص بجانب علامات الإعراب لتؤدي غايتها المسهمة في تكوين السلائق وترغيب الأنفس ونشر ثقافة النحو بين الناس، بفضل عمله الذي المتسم بالتطور الفكرين والذي سنعرض له لاحقاً.

والقرآن الذي كان سببًا في وضع النحو عاد فأصبح منطلقاً لدراسته، ومجالاً لتكوين سليقته، على يد ابن هشام وأمثاله، فهو –كما أسلفت في المقدمة– قد شغل الأولين والآخرين الذين تناولوه ضبطاً وتفسيراً وبيان أحكامٍ جيلاً من بعد جيل، ثم اتخذوه نموذجاً للتبيق النحوي، ودليلاً على صحة القواعد والأساليب، فتطور النحو إلى مدارس ونظريات حديثة ، غير أنه ما لبث أن تعرض مع إطلالته خلال تلك الحقب إلى العُقم والإنحراف الذي شاع وفشا بين أبناء العربية أكثر مما شاع وفشا بين غير العرب نتيجة عوامل عديدة ، أهمها على الإطلاق : الابتعاد عن المنبع والعزوف عن المورد ، والتنكر للأصل ، وهو القرآن الكريم ، حينما أهمل كمنطلق لتعلّيم القراءة والنطق السليم

والإعراب الفصيح للناشئة ، وتم إبعاده عن مجال الحفظ في أذهان الصغار منذ فترات الحضانة الأولى. ومن هنا ندرك حرص ابن هشام في جهوده على تعليم الناشئة من خلال القرآن الكريم. ويؤيد هذا الواقع أمران :

أولاً – أن القرآن الكريم مفتاح العربية ، فلا يشك أحد في أن تعلمه واتقانه تلاوةً وحفظاً وفهماً وتذوقاً هو الطريق إلى التمكن في اللغة العربية ، وتعلم أحكامها ، والدخول إلى أسرارها .

" فكم من رجال بيننا فضلاء لم يتعلموا في مدرسة أو جامعة ، لكنهم متقنون للقرآن الكريم بعلومه المختلفة من تجويد وتفسير وإعراب وبلاغة ، قد صاروا أساتذةً لا نظير لهم في علوم العربية والنحو خاصة ، بحيث يجلس إليهم فيه خريجوا الجامعات ممن يحملون إجازات في اللغة العربية آدابها .([1])

كما أثبت الواقع– ولا يزال – في مدارسنا ، أن التلاميذ الذين يحفظون شيئاً من القرآن ، أو كانت لهم علاقة دائمة به تلاوة وفهماً . هم أسرع من غيرهم طلاقة لسان ، وأكثر تقبلاً وعملاً بقواعد النحو والصرف، ذوقاً وتوظيفاً وفهماً . هذا فضلاً عن تميّزهم بجودة وبإتقان الخط، خاصة أولئك الذين مارسوا كتابة آيات القرآن بأيديهم في الألواح كما تقضي نظام (الخلاوي) المعمول به في السودان، أو حتى من طول النظر في خطوط المصاحف التي تميزت بجمالها، ومن ثم فنّياتها في الأذهان وانعكاسها على البنان بمحاولة تقليدها .([2])

يقول ابن خلدون : " اعلم أن تعلم القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ، لما يسبق فيه من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث . وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ، وسبب ذلك ، أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً ."

وإذا كان ابن خلدون يقرر أيضاً:

" إن حصول ملكة اللسان إنما هي بكثرة الحفظ من كلام العرب " ([3]) انتهى.

فكيف بهذا الحفظ الكثير إذا كان من القرآن الكريم كتاب الله الذي وهو أفصح من كلام العرب ؟ لا شك أنّ حصول الملكة حينئذٍ به أولى وأشدّ .

ثم إن علوم العربية كلها إنما نشأت حول القرآن خدمةً له وترتيلاً لكلماته ، وفهماً لمعانيه وتذوقاً لبلاغته ، وإقراراً بإعجازه . فأنى للمرء أن يتقن شيئاً من هذه العلوم بمعزل عن أساسها القرآن الكريم ؟ حقاً ، لقد صدق من قال : لولا القرآن ماكانت عربية .

---

[1] – دليل الدراسة – الجامعةالعربية المفتوحة – ص ١٢٠ – ط ٢٠٠٤م

[2] - من المؤمل أن نؤكد هذا الواقع (دورالقرآن) بدراسة علمية تلي هذه الدراسة.

[3] – مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون –ص–٥٣٧ – مؤسسة التأريخ العربي – دار إحياء التراث العربي - - بيروت لبنان .

ثانياً – كان إقبال العرب إلى دراسة النحو قوياً لأنهم لم يفتقدوا الحافز أول أمرهم، بخلافهم اليوم، حيث يفتقدون حافز التصدي لهذا العلم من اهتمام بحفظ القرآن وترتيله والاعتماد عليه في كل ما يتعلق باللغة والنحو . كما اعتمد عليه النحاة الأولون في صون كلامهم به . ولهذا كان التمثيل والاستشهاد به على قواعدهم ومسائلهم ، كما هو كذلك في كتبهم منذ "سيبويه" . واشتهر ابن هشام الأنصاري من بعدهم، كأول نحوي تعرض لكثير من الآيات القرآنية . وجعلها محورإعراب ، وميدان تدريب ، ومجال تخريجات وتأويلات. وهذا إن دل فإنما يدل على أن ابن هشام –كمن سبقه– كان يجعل القرآن الكريم المصدر الأول لبناء القواعد ، وتصحيح الأساليب .لأنه كلام الله العربي الذي نزل ليكون معجزة عربية كبرى ؛ ولأنه على نمط ما كان يتكلم العرب . والأساليب التي كانت تدور على ألسنتهم . فهو صورة صادقة للعربية في أصولها الأولى قبل أن تفسد باللحن ، وتستبد بها الرطانة الأعجمية ."

ولهذا " يجمع النحاة على أن القرآن إنما نزل بلغة قريش ، وكانت قريش –كما يقول أبونصر الفارابي : أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق " ([1])

ونخلص من هذا إلى :

أن النحو وليد القرآن الكريم ، لا يجب إلا أن يكون القرآن منطلقاً لدراسة قواعده ، ومجالاً للتدرب على تطبيقه . فضلاً عن أن قراءة القرآن وتدبره عبادة، وحفظه شهادة . وفي التمرس بتقليب آياته على الألسن تقويم لها وتحسين لطلاقتها بالكلام الفصيح والإعراب الصحيح . وفضلاً عن تجويد الخط بالمداومة على كتابة آياته وتأمل حروف كلماته في الصاحف.

إن البعد عن تحفيظ القرآن للناشئة في فترات استعدادهم الطبيعي لحفظه ، وإبعاده عن مجال الدرس والتطبيق في قواعد النحو ، أعقم تعلم النحو لديهم وأشكل أمره عليهم .

كما إقبال القدماء على علم النحو يفسره كون القرآن –دينهم ونبراهم– هوعندهم ميدانه. وإنّ إحجام المعاصرين عن علم النحو وبالتالي استصعابهم له لكونهم خرّجوا من الناشئة مَنْ ليس للقرآن بينهم أمر ولا نهي ، ولا عدل ولا صرف .

---

[1] -– المدرسة النحوية في مصر والشام – د. عبد العال سالم - ص٢٢٣- دار الشروق – بيروت ١٩٨٠م .

المبحث الثاني

النحو والشعر

عُدَّ الشعر مرجعاً هامّاً وشاهداً قوياً على قواعد النحو، إذ مثل القالب الأفصح للغة عند العرب في الجاهلية، وذلك حين لم يدخل فيهم لحن عصور الانفتاح على الأمصار والمدن. وقد استضاء الشعراء بعد ذلك بقواعد النحو في انتاج جيد الشعر. فالعلاقة بين النحو والشعر تتمثل في أن الشعراء اعتمدوا تماماً في تركيب أشعارهم على فاعلية النحو والإعراب؛ فاستعانوا في التأثير الصوتي بحركات الإعراب. فعلى مواقع الإعراب امتطى الشعر صهوات التقديم والتأخير والحذف والتقديرالذي يتطلبه سبك النظم. ومن هنا تعددت ما سُمي بالضرورات الشعرية، فأُجيز في الشعر ما لايجوز في النثر.

ومع ذلك لم يسلم النحو من ملاحظات الشعراء، فنتيجة لتفاعل الشعراء الدائم مع النحو، ومعاناتهم المستمرة له بحكم العمل الشعري، كانوا أكثر الناس إحساساً بمزايا النحو وغاياته في الصياغة الشعرية، ومن ثمّ هم أقوى حجة فيه. ومثل سائر الباحثين في مجال النحو كانت للشعراء ملاحظاتهم المتباينة في قواعد النحو. وهم في ذلك على فريقين متقابلين (فريق من الشعراء المتشائمين، وفريق من المتفائلين) .

فمن الشعراء المتشائمين الشاعر (**ابنُ وَكِيع التُّنَيْسي**)الذي يرى أنّ النحو يحسن في مجال الشعر والخطابة وقراءة القرآن والكتب فحسب ، ويقبح في غير ذلك من الكلام. إذ يقول :

يحسُنُ النّحْوُ في الخطابة والشعـ ـر وفي لفظِ سُورةٍ أو كتابِ
فإذا ما تجاوز النحوُ هذِي فهو شيءٌ من المسامعِ نابِ ([1])

ذلك نظير ما ذهب إليه أنيس فريحة من أن : " ...العربية الفصحى لم تكن يوماً لغة الكلام كما هو الشائع في التقليد العربي ، بل كانت لغة أدبية للشعر والغناء ..." ([2])

وفي كلام الجاحظ ما يؤيد هذا المذهب، قال : " .. إذا سمعت نادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة الطغام ، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب ، أو تتخير لها لفظاً حساً ..." ([3])

غير أن هذا الافتراض أليق مايصدق على لغة الوقت الحاضر لا قبل الإسلام حيث اللغة كالكلام مروية ، وحيث القوم لا يزالون على سليقتهم .

---

[1] -- مجمع الحكم والأمثال في الشعرالعربي- أحمد قبش – صص ٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠ – الطبعة ١٩٨٥

[2] - الفكر النحوي عند العرب – د. علي مزهر الياسري ص٦٤- الدار العربية للموسوعات – طبعة أولى ٢٠٠٣م

[3] - البيان والتبيين – عمرو بن عثمان الجاحظ – ج ١/ص١١١- دار الفكر العربي ١٩٨٠م

ويرى محمد عيد أن : " ...الفصيحة كانت وما زالت ترجمان الفكر والثقافة " ([1]) ولكن يقدح في هذا الرأي، جواز قيام غير الفصيحة أيضاً بمهمة الترجمان للفكر والثقافة أيضاً .

ولعل من أكثرالشعراء تشاؤماً شاعر يُدعى (**الفُصَيْحِيّ**) في قوله :

النحوُ شُؤْمٌ كُلُّهُ فاعْلمُوا يذْهَبُ بالخُبْزِ من البيْتِ
خَيْرٌمن النحوِ وأصحابِهِ ثَرِيدةٌ تُعْملُ بالزّيْتِ

ومثله (العَبْرَتائي) الذي صرح بكُرهه لبعض الإعراب في قوله :

على أنّ للإعراب حدّاً وربما سمعت من الإعراب ما ليس يحسُنُ

وكذلك، (أبو عثمان النحوي) الذي قال :

تفكّرتُ في النحو حتى مللْتُ وأتعبتُ نفسي به والبدنْ
وأتعبتُ بكْراً وأصحابَهُ بطول المسائل في كلِّ فنْ
فمِنْ عِلْمُهُ ظاهرٌ بَيِّنٌ ومِنْ علْمُه غامضٌ قدْ بطَنْ
فكنتُ بظاهرِهِ عالماً وكُنتُ بباطنهِ ذا فِطَنْ
خلا أنّ باباً عليه العفا- ءُ للفاء، ياليتَهُ لمْ يكُنْ
إذا قلتُ: هاتوا، لماذا يُقا- لُ، لستُ بآتيك أو تأتينْ
أُجيبوا لما قيل:هذا كذا-على النصب قالوا لإضمار(أَنْ)
وما أنْ رأيتُ لها موْضعاً فأعْرِفُ ما قيل إلا بظنْ
فقدْ خِفْتُ يابكرُ من طول ما أُفكّرُ في أمْر (أنْ) أن أُجَنْ ([2])

ومن بين المتشائمين شاعرنا السوداني(التيجاني يوسف بشير)، في قصيدته- المعهد الديني، وفيها:

ولقِيْتُ من عَنَتِ الزيودِ مشاكلاً – وبَكَيْتُ من عَمرٍو، ومن إعرابِه.

خلاصة الأمر، أنّ تلك التشاؤميّات الشعرية تمثل وجهات نظر مهمة في دراسة عوامل العزوف عن النحو لدى الناضجين، والتي تولدت تحت معانات الشعراء والمهتمين من تشعب النحو وطول مسائله،

[1] - قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية – الدكتور محمد عيد – ص ٧٧- عالم الكتب –جامعة القاهرة – ١٩٨٩م
[2] - قضايا معاصرة – نفسه ص ٤٩٨ ومابعدها

بحيث لايكاد يستقر منها شيء في الأذهان . فضلاً عن غموض التعليلات في عمل بعض العوامل كـ أنْ، والنصب بإضمارها .

ويقابل هؤلاء، فريق للمتفائلين الذين صرّحوا بآرائهم شعراً، ومنهم (عليُّ الكِسَائي) قال في فوائد النحو، مفاضلاً بين مزايا من يناصره فيتقنه، وبين غيره :

إنما النحوُ قياسٌ يُتّبعْ وبه في كلِّ أمرٍ يُنتَفَعْ
فإذا ما نصر النحوَ الفتى مرّ في المنطِقِ مَرّاً فاتّسَعْ
فاتّقَاهُ جُلُّ مَنْ جالسَهُ مِنْ جَليسٍ ناطِقٍ أو مُسْتَمعْ
وإذا لم ينصُرِ النحوَ الفتى هابَ أن يَنْطِقَ جُبْناً فانْقطَعْ
فتراهُ يرفعُ النّصْبَ وما كان مِن خَفْضٍ ومِنْ نصْبٍ رَفَعْ
يَقْرَأُ القُرْآنَ لايَعرفُ ما صَرّفَ الإعْرابُ فيهِ وَصَنَعْ
والذي يَعْرِفُهُ يَقْرأُهُ فإذا ما شَكّ في حَرْفٍ رَجَعْ
ناظِرَاً فيهِ وفي إعْرابِهِ فإذا ما عَرَفَ اللَّحْنَ صَدَعْ
كمْ وضيعٍ رفعَ النحوُ وكم مِنْ شَريفٍ قدْ رأَيْناهُ وَضَعْ

ومثله قول شاعر :

اقتبسِ النحوَ فنِعْمَ المقتبَسْ والنحوُ زَيْنٌ وجمالٌ مُلْتَمَسْ
صاحبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جلسْ مَنْ فاتَهُ فقدْ تَعَمّمَى وانْتَكسْ
كأنّ مافيه مِنَ العَيِّ خَرَسْ شَتّانَ مابينَ الحِمارِ والفرَسْ

ويمدح (علىُّ الأصْفَهَانيُّ) النّحويَّ، فيقول :

أَحْبِبِ النحوَ مِنَ العلْمِ فقدْ يُدْرِكُ المَرْؤءُ به أعْلى الشرفْ
إنّما النحْوِيُّ في مجْلِسِهِ كشِهابٍ ثاقِبٍ بيْنَ الْسُدَفْ
يَخْرُجُ القرآنُ مِنْ فِيْهْ كما تَخْرُجُ الدُّرَّةُ مِنْ جَوْفِ الصَدَفْ "

ويرى (إسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ) النحوَ وسيلة لعلاج اللُّكْنةَ في اللِسان، وأنّ الذي لايلحن مُقدّر عند الآخرين، قال :

النّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لسان الأَلْكَنِ والْمَرءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يلْحَنِ

ومثله قول (الكاتب):

ولاخيرَ في اللفظَ الكريهَ اسْتماعَهُ ولا في قبيحِ اللحْنِ والقصدُ أزْيَنُ

ويُعْجبُني زِيَّ الفتى وجمالُهُ ويسقطُ مِنْ عيْنَيَ ساعةَ يَلْحَنُ " ([1])

وفي خلاصة ماسبق يمكن القول :

إنّ الشعركما يكتسب مزاياه من النحو، فهوأيضاً لسان حال علم النحو التطبيقي، والشعراء هم الممارسون له، المطبِّقون لقواعده بحكم مهنتهم الشعرية، ومن ثمّ فإنّ آراءهم – في رأيي – من أصوب وأدقّ الآراء في واقع التطبيق النحوي. ولعل ابن هشام ألمح إلى ذلك، وأكدّه باحتجاجه من الشعر المحظور للمولدين بلا تحفظ، يرفده في ذلك حسه اللغوي وتذوقه الصحيح للفصاحة والتعبير السليم .

[1] - قضايا معاصرة- – نفسه ص ٤٩٨ ومابعدها

المبحث الثالث

النحو والعربية

تميز النحو في العربية بميزتين، **بعلامات الإعراب**، ذات الأثر الكبير في المعنى واللفظ . **و باتساعه وشيوعه** في سائر فروع اللغة العربية .

أولاً : علامات الإعراب

وتعتبر الهدف الأول والأساسي في بناء قواعد النحو، فبها يرمز إلى القاعدة المستنبطة رمزاً صوتياً وحركياً . كما يعتبر الإعراب من أكثرمشاكل النحو بين المتعلمين، كامنة في عجزهم عن إدراك حقيقة علامات الإعراب ومدى جدواها فيما يتكلمون به وفي عجزهم عن تفسيرها بأكثرمن كونها لدى البعض كألألغاز التعجيزية التي لا تقدم ولاتؤخر . ولهذا وجب فيما يلي أن أوضح تلك الحقيقة ، وأزيل ذلك اللبس .

فالإعراب لغة : البيان والتوضيح . .يقال أعرب فلان عن كذا ، إذا أبان وأوضح . وهو في اصطلاح النحويين : تمييز الكلمة أوتوضيحها بوضع حركة مخصوصة على آخرها . وتعرف هذه الحركات بعلامات الإعراب .

فالإعراب بهذا المعنى هو نقيض دعوى الإلغاز والتعجيز. كما أنه بهذه العلامات جزء أساسي في علم النحو ، بل هو النحو برمته إذا ما استثنيناه من الصرف . ولعلامات النحو أثران ، معنوي ولفظي – لكلٍّ فوائده كما يلي :

- **الأثر المعنوي لعلامات الإعراب .**

لهذه العلامات فوائد معنوية تؤديها في الكلمة والكلام . أوجزها النحويون في : تحديدها لهوية الكلمات العربية من بين غيرها ، وتوضيحها لمفاهيم في التراكيب العربية . وإن بإهمالها، أو بالخطأ في وضعها يقع الإبهام في المقصود من التراكيب .

وقد تتبع النحويُّون هذا الإبهام في آيات القرآن الكريم ، وفي الآثارالأخرى ، فبينوا أنه : إما أن يؤدي إلى تغيير المقاصد مع فساد الكلام ، أو يؤدي إلي إبهام الكلام بغير فساد .

مثـال الأول : – كالفسـاد المتطـرق لآيـة التوبـة – الآنفـة الـذكر – " إِنَّ اللهَ بَـرِيءٌ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ وَرَسُولُه ..."([1]) . لما يترتب على كسر (رسوله) من وجوب العطف على المشركين ، ومن ثم فساد المقصـود ، بقلـب المعنـى المراد لضـدّه . بينمـا ضـم (رسـولُه) يوجـب الاسـتئناف بعـد لفـظ الجلالـة ، فيستقيم المعنى . ولا موجب هناك للنصب مع تكلف تقدير (أنّ).

ومثـال الثـاني : – كالإبهام بـلا إفساد في قولـه تعالى : " وكَذلِك زَيَّنَ لِكَثِيْرٍ مِنَ الْمُشْرِكينَ قتْلَ أوْلادِهُمْ شُرَكاؤُهُمْ "([2]). فإن مجرد تغيير ضمة (شركاؤهم) إلى كسرها ، (شُرَكائهم)، يحدث التباساً مربكاً بين الفاعل المفعول . بلا فساد ظاهر. إذ المعنى في حالة الرفع هو : زين الشركاء لكثير من المشركين قتل أولاد المشركين أو الشركاء. سيان .

وفي حالة الكسر، وهي قراءة ابن عامر([3]). المعنى هو: زين القتلُ لكثير من المشركين قتلَ أولاد الشركاء، أوالمشركين، سيان.

ويمكن قياس مثل هذا بنحو بقولك : (قابل المريض الطبيب) . فلا يعرف صاحب المبادرة على وجه التحديد بين الطبيب والمريض إلا بتعيين الفاعل برفعه ، والمفعول بنصبه مع عدم فساد المعنى المباشر مع عدم تعيّن أحدهما.

هذا المفهوم المعنوي لفوائد علامات الإعراب ، هو ما درج على ترديده النحاة السابقون ومن تتابع بعدهم . فهم مجمعون على أن النحو وعلامات الإعراب لحفظ القرآن الكريم من اللحن المفسد ، وللمساعدة في الفهم الدقيق لمعاني القرأن وتراكيب الكلام العربي شعراً ونثراً . ولعل لهذا الغرض كان الفراء قد وضع أشهر كتبه في النحو بعنوان (معاني القرآن) على خلاف ما ألفه النحاة ، لا لمجرد التفسير ، بل ليكون أنموذجاً للنحو التحليلي . مثال ذلك : قوله – تحت قول الله تعالى : " بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ "([4]) (هذا القرآن) منصوب بوقوع الفعل عليه ، كأنك قلت : أوحينا إليك هذا القرآن . ولو خفضت (هذا) و(القرآن) كان صواباً بجعل هذا مكرراً على ما سبق ..... ألخ "([5])

ونحو ذلك في سائر هذا الكتاب .، حيث لا تكاد تقف منه كذلك على تفسير له متصل يخلو من قواعد نحوية صرفية تعزز معاني كلمات الآيات .وتراكيبها .

وقد أسلفنا أن معظم الأقدمين ، ندر أن تخلو كتبهم من مثل هذا التحليل النحوي ، في إطار تفسيراتهم لآيات القرآن الكريم .([6])

---

[1] - التوبة : ٣
[2] - سورة الأنعام ١٣٧
[3] - انظر ص١٦٢وما بعدها من البحث
[4] - يوسف ٣
[5] – دروس في المذاهب النحويه – د/عبده الراجحي –ص١١٠
[6] - انظر ص ١٦- في معرض التمهيد من البحث

ومما دأب سائر النحاة قديماً وحديثاً على التمثيل به في مؤلفاتهم النحوية ، عبارات تواترت بينهم . مثل : قولهم : (لا تأكل السمك **وتشربَ**ُ اللبن) . ونحو : (أكلتُ السمكةَ حتى **رأسَ**ُ**ها**) .

للإشارة إلى تغيّر المفهوم في العبارتين ، بناءً على تغيّر علامات الإعراب ، مع تأويل الواو في الأول ، و حتى في الثاني .

ب – الأثر اللفظي لعلامات الإعراب .

لانلمح تركيزاً من العلماء على القيمة اللفظية لهذه العلامات ، رغم بروز فوائدها التي أرى أن تأثيرها اللفظي لايقل قيمةً عن الأثرالمعنوي في الكلمات. وذلك إذا وضعنا في الاعتبار أن ما تحدثه هذه العلامات من التغيير التأثير المعنوي، يقتصرعلى مدارك العلماء من ذوي العلم والاطلاع الذين يتعاملون فيما بينهم بالفصحى، ويدركون آثارعلاماتها الإعرابية من حيث المعاني التي ترمز إليها ، ويعرفون بها تأويلات الألفاظ والتراكيب الغامضة التى تمرسوا على قواعدها ، وإلا فإن غير المتمرسين لن يعجزهم أن يفهموا المعنى المراد في كثير من التراكيب التي هي بمقياس العلامات قد تعني فساد المعاني في نظر العالم المتمرس. فلايفهم أحدهم –مثلا– غير الصواب والمقصود في آية التوبة الآنفة الذكر . وكون البراءة واقعة من الله ورسوله معاً على المشركين لا غير ، مع الكسر أو بدونه. كما يسهل ببساطة فهم وإدراك (الكاسر من المكسور) في نحو قولك : كسر الحجر الزجاج . دونما اعتبار للحركات ، وكيفما كانت ما دامت القرينة قائمة لفهم التراكيب، تماماً كالحديث باللغة العامية التي لا يتوقف فهمها على الإعراب. فالتأويل باستخدام الإعراب حينئذٍ في عرف هؤلاء، ليس إلا لغزاً من الألغاز.يسهل عليم تجاوزه. وليس إلا الأثر الصوتي الذي يميز كلامهم عن كالم البلغاء.

مع ذلك لاتكاد تعثر بين العلماء – كما أسلفت– على مَن أولي هذا الجانب اللفظي والصوتي عناية سوى إلتفاتات ضئيلة منزوية غير مباشرة . من مثل قول بعضهم : " النحو في الكلام كالملح في الطعام " . إشارة إلى هذا الأثر اللفظي ضمن المعنوي . ومثل ما جاء خلال تفسيرقوله تعالى من سورة هود : " وقيلَ يا أرضُ ابلعِي ماءَك ويا سماءُ أقلعِي وغِيضَ الماءُ وقضي الأمرُ واستوت على الجودي ... الآية "([1]) حيث يعلق "القرطبي" على الآية بقوله : " لوفُتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها ، وبلاغة رصفها ، واشتمال المعاني فيها " ([2]) وتعليل ذلك : أنك لتلاحظ وتتذوق فيها ما تحدثه الحركات من سلاسة وانسياب بين كلمات تجاورت فيها حروف يصعب النطق بها في طلاقة ، لولا انتقالات الحركات عليها من كسر لفتح فضم .

---

[1] - هود ٤٤

[2] – الجامع لأحكام القرآن –القرطبي – ١٩٩٤ م/١٠/٩ – ص ٤٣ .

وقلّ من يلتفت إلى الأثر اللفظي والصوتي للحركات بين النحاة واللغويين . ومن أولئك القليل ابن قتيبة الذي أبدى التفاتة يسيرة إلى القيمة اللفظية لحركات الإعراب ، حينما قال يصف العربية : " ... ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها ، وحلية لألفاظها . وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين ..." ([1]) .

حيث يعود الوصف بالوشي والحلية في صدر كلامه إلى الألفاظ وهو مظهر صوتي يتجاوز الشكل المنظور كالسجع والجاس في الكلام.

ولكن حتى هذه الإلتفاتة اليسيرة لابن قيتيبة لم تدم، إذ تناولها السيوطي عبارته، وكأنه لم يرتض أن تتم اللفتة ، فنقل نص ابن قتيبة في كتابه (" صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام)" مع تغيير كلمة (الوشي) بكلمة وسيلة ، وجعل (حلية لكلامها) ، حلية لنظامها . لتختفي تلك الالتفاتة اليسيرة للقيمة اللفظية ، ويصبح النص خالصاً للإشارة إلى قيمة الإعراب المعنوية . وهو: " " ... الإعراب وسيلة لكلام العرب ، وحلية لنظامها . وفارق في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ..." ([2])

وعلامات الإعراب في أواخر الكلمات ، أشبه ما تكون بالموسيقى عند النطق بها ، منغومة متنوعة النبرات . وكأوتار العود الخمسة ، إرخاؤها جميعاً أوشدها ينفّرالنفس ويخدش الأذن ، ومعالجتها بدرجات متفاوتة من الشد والإرخاء ، يستميل السمع ،ويستهوي النفس . . فكذلك حركات الإعراب في الكلام الفصيح الذي لا يبيح إلا أن تقع الحركات في أماكنها كجزء لا يتجزأ من بنية الكلمة في مواقعها المختلفة من التراكيب ،مما يكسبها جمالاً ووقعاً تتميز به العربية على الألسن بين سائر اللغات . وفق السليقة التي وهبها الله الإنسان ، وأودعها اللسان العربي، حتى غدا لايستسيغ أن تضم كلمة هنا ، أو تنصب أو تجر ، إلا بوحي من إحساس موسيقي يضع الكلمات في مواقعها المخصصة لتلك الحركات كما يفعل الفصحاء. وذلك عين النسق والإنسجام الذي يعتاده السمع في النماذج الشامخة فيحفظ إيقاعاته الفؤاد .

فالحركات عموماً ، وحركات الإعراب خاصةً جزءٌ أصيل من بنية كل كلمة عربية وكل تركيب فصيح . خلقها الله تعالى على الألسن ، أو فطر الألسن لها ، وبدونها لا تتميز كلمة فصحى عن أعجمية في الأفواه . ففي بعض كتب الموسيقى وعلم النفس ، – إن الطفل الذي يعتاد لسانه ترديد عبارة مثل : (صحوت مع الفجرِ) ،بكسر الراء من (الفجر) ، ترسخ في لسانه وعقله الباطن الغض ، وتنسجم في ذاكرته مع كل استعمال جديد يمر به لسانه ، فتسمعه ينطق عفواً (مع الشمس – مع

---

[1] - تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة ص ١١-١٢ – تحقيق السيد أحمد صقر .

[2] - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام – للسيوطي ص٥٢ – تحقيق على سامي النشار – مكتبة الخانجي ١٩٤٦م – وانظر العلامة الإعرابية – حماسة ص- ٢١٣-٢١٤- ٢١٥

الكبير – مع محمدٍ) بكسر عفوي يسبق إلى لسانه . وفي ذلك ما فيه من وجوب تأييد الدعوة في التعليم إلى الحفظ المبكر من فصيح الكلام ، وشامخ النصوص، على نحو ما مرّ بنا من كلام ابن خلدون. فضلاً عن أن إبدال حركة بغيرها خطأً في عبارة فصيحة صحيحة الإعراب ، تربك ذا السليقة عند أول طروّها على لسانه أو سمعه، مثلما لا يستسيغ لسان عربي أن ينطق مثلاً الفعل (كتبَ) الماضي،بضمّة في آخره أوبكسره .

ومما يذكر في هذا الإطار : أن الشاعر " محمود سامي البارودي" الذي نال شهرة في عالم الأدب ، لم يمِلْ قطُّ إلى القواعد النحوية كعلم ، ومن ثم لم يكن يتقنها كقواعد . مع ذلك تجيئ تراكيبه سليمة صحيحة الإعراب ، مستساغة النسق . وما ذلك إلا وفقاً لإحساسه الذي صقله الحفظ من جيد النصوص ، وزكته سليقة مكتسبة من التجارب في عالم الكلمة .([1])

وكما لا يمكن أن نستبعد الأثر المعنوي في المقام الأول، لا يجب استبعاد الأثر اللفظي كليا من قوانين اللغة في الصوت والتنغيم ، وتحرّي المجانسة والاتباع لتحقيق السلاسة والمرونة فيها . فمن آراء محمود عباس العقاد في علل الإعراب قوله :

" أن علل الإعراب ترجع إلى طبيعة اللغة ذاتها ؛ فهي قديمة قدم اللغة ولم تكن محض تعسف أو مصادفة كما يدعي كثير من الناس.

إلى أن قال ما ملخصه :

" إن أحكام الإعراب لها علل قديمة ، وليست محض تعسف ومصادفة وشاهدي أن عمل الحركات في اختلاف الدلالة مستكن في بنية اللغة العربية أسمائها وأفعالها وأواخرها على السواء ، فالفرق بين الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول إنما هو فرق بين حركات بعض الحروف ، وكذلك الفرق بين صيغة الفاعل وصيغة المفعول وليس من الأشياء العرضية ، ومن فعل التعسف والمصادفة أن يكون هذا شأن الحركة في دلالات اللغة كلها ." ([2])

ثانياً : شيوع النحو في الفروع .

معلوم أن اللغة العربية تتوزعها مجموعة من الفنون، أو مايسمى بفروع اللغة العربية، كالنحو والصرف ، وعلم العروض ، والنقد والأدب – شعرا ونثرا ، والبلاغة ، وعلم اللغة وفن الإنشاء أو التعبير، والإملاء. وذلك رغم ما شاع بين المتعلمين من إنصراف اسم اللغة العربية إلى النحو والصرف فقط دون غيره من الفروع . ويعبر عنها ابن هشام مجتمعة في تصانيفه بعلم العربية .

[1] - العلامة الإعرابية في الجملة بين الحديث والقديم –د. محمد حماسة – ص٢٧٢ ط١ دار العلوم القاهرة -١٩٨٤م

[2] – المدرسة النحوية – ص ٢٦٧ -

وقد عرفتْ معظم هذه الفروع بين العلماء منذ زمن التأليف "(بعلوم الأدب) ، قبل أن تنفصل في فنون متخصصة . وليس في العلماء من هوسابق في ابتكار شيئ منها . فهي من جملة كلام العرب منذ الجاهلية ، وإن لم تتحدد عندهم كعلوم قائمة بذاتها إلا لاحقاً .

قال السيوطي : " رأيت الكمال ابن الأنباري قال في كتابه " نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء "علوم الأدب ثمانية : اللغة ، والنحو والتصريف ، والعروض والقوافي ، وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم . ثم قال : وألحقنا بالعلوم الثمانية : علمين وضعناهما : علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو ..."([1])

فأقدم النصوص التي نظمها الشعراء في الجاهلية حملت التزامات قائليها بقواعد وأسس هي مما اصطلح عليه العلماء فيما بعد بالنحو والصرف والبلاغة والعروض والإملاء ، التي هي علوم الضبط . وبالأدب والإنشاء ، التي هي الكلام المضبوط .

وكان القدماء قبل ظهور الكتابة يقف فصحاؤهم في الأسواق الجامعة ، بين منشد للقصيدة الفصيحة ، وملق بالخطبة البليغة . ويحكم الحاضرون عليها بملاحظات هي من قبيل علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض . فملاحظاتهم تلك هي اليوم أدب ونقد ، والقصيدة والخطبة وهما الإنشاء والتعبير .

أما العلماء الذين جاءوا من بعدهم ، فقد لاحظوا الحركات في أواخر الكلمات ، وجدوا العرب يرفعون أو ينصبون أو يجرون ويجزمون ألفاظاً في كلامهم ، فتوصلوا إلى الربط بين المواقع والحركات ، ثم اصطلحوا لكل تسمية أخذوها من وظيفة الكلمة ضمن معنى العبارة . فإذا هي فاعل أومفعول أومبتدأ أو مضاف ، في فن النحو .

ولاحظوا بنيات الكلمات وزياداتها وتصريفاتها واستطراد نماذجها في الكلام ، فكان علم الصرف . ونظروا إلى القصيدة وتساءلوا عن سر جمالها وتأثيرها في النفوس ، وأخذها بمجامع القلوب ، واستعرضوا أشعارهم ، فإذا هي أنواع ، على بحر الطويل والمديد والبسيط والوافر ونحوه . لعلم سمّوْه علم العروض . ولاحظوا جمال التعبير هنا ، وضعفه هناك ، فتساءلوا عن مصدر ذلك التباين ،متتبعين التراكيب . فإذا هنا تشبيه طريف ، أو استعارة لطيفة ونحو ذلك . فاتخذوا من ذلك قواعد للجمال تحتذى ، فكان علم البلاغة بدءاً بالبيان ، وانتهاءً بالمعاني والبديع في القرن الثالث الهجري .

ويرافق هذه الفروع أويتلوها ما عرف بالإملاء والتعبيروالخط في نظم التعليم . وهو في مجمله تجويد وتزويق لما أحسنه الإنسان من نقش على الصفحات المنبسطة .

---

[1] - الاقتراح في علم أصول النحو – جلال الدين السيوطي –ص ١١ – دار الكتب العلمية –لبنان ١٩٧١م

هذا، وقد مر – في مجالس العلم – أن طالب العلم قديماً يتنقل بين حلقات التفسير والكلام والفقه فيتلقى النحو ، كالمفتاح لما استُغلق من غوامض التراكيب في تلك المعارف كلها . وخلال ذلك تتكامل الفروع كلها بدوران مسائل النحو فوق قوالب العروض والبلاغة والإملاء بخطه وإنشائه . إن هذا الشيوع التام للنحو في فروع اللغة العربية جاء بناءً على أن تلك الفروع لا استقلال لها بدونه ،فهي لاتقوم إلا على قواعده .

فعلم العروض والقوافي في نظم الشعر –على سبيل المثال– قد تطلبت موازينه التعامل مع قواعد النحو والصرف . فاستفاد الشعراء من قواعد النحو لإقامة الأوزان . كقول العباس بن مرداس :

(فمَا كانَ حِصْنٌ ولا جالسٌ يفُوقانِ مرداسَ في مجْمعٍ)*([1])

مستفيداً من جواز منع المصروف في الشعر، في (مرداسَ) ، هكذا بدون تنوين، وليس بها إلا العلمية، ليستقيم له الوزن .

ومثله قول الآخر :

(وقائلةٍ ما بالُ دَوْسَر بَعدَنا صحَا قلبُهُ عن آلِ ليلى وعن هِنْدِ)*([2])

بمنع (دوسر) من الصرف ضرورةً ، وهو مصروف . ليستقيم الوزن .

ومثل ذلك كلمة (شبيب) في قول الأخطل :

(طلبَ الأزارقُ بالكتائبِ إذْ هوَتْ بِشبَيبَ غائلةُ النُّفوسِ غُدُورٌ)*([3])

واستفاد آخر من جواز رفع الجزاء إذا كان الشرط ماضياً ، فاستقام له وزن البيت في قوله :

(وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولاحَرِمٌ)*([4])

وذلك بترك الجزم (يقلْ) المفضي إلى كسر الوزن .

---

[1]- شرح ابن عقيل على الألفية – ص٢٤٠ – (ج٤) دارالتراث – مصر للطباعة طبعة ٢٠ – ١٩٨٠م

[2] - نفسه – ص ٢٤٠

[3] - نفسه – ص٢٤٠

[4] -نفسه – ص ٣٥

وفيما يختصّ بالصرف .

استفاد الشاعر لبيد بن ربيعة من صيغة التصغير في قوله :

(وكُلُّ أُناسٍ سوْفَ تدخلُ بينهُم دُوَيْهِيَّةٌ ، تَصْفَرُّ منها الأنامِلُ)*([1])

إذ أنكر البصريون أن يكون التصغير هنا (دويهية) للتعظيم ؛ لأنهما متناقضان ، فيبقى أنه لا ضرورة له ولا فائدة إلا في وزن البيت .

كما استفاد آخر للوزن من صيغة الجمع في قوله :

(يا بُؤسَ للحربِ التي وضَعتْ أرَاهِطَ فاسْتَرَاحوا)*([2])

وأراهط جمع رهْط . والرهط جمع في ذاته ، فهو من قبيل جمع الجمع . فما حاجته إلى جمع الجموع ،سوىا كونه على صيغة تفيد الوزن . وهي (أفاعل) .

وعند ابن هشام ، يُمنع جمع ماكان مجموعاً ....

واستفاد الآخر في وزن بيته وضبط قافيته من أساليب نداء الندبة وملحقاتها . فيقول :

(ألا ياَ عَمْرُو عَمْرَاهُ وعَمْرُو بنُ الزُّبَيْرَاهُ) *([3])

حيث اختار إضافة هاء السكت بعد ألف الندبة في (عمراهُ) وهي في موقع وصل، وفي (الزبيراهُ) وهو بموقع إشباع ، لاضطراره إلى إقامة وزن البيت وتقفيته .

وفي الخلاصة :.

مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ، غياب مفهوم الفرق الواضح في اعتقاد السواد الأعظم من منسوبي العربية ، ما بين التعامل بالعربية كأداة اتصال ، وبين جدوى ذلك من تعلمها متمثلة في النحو والصرف . فتبرز ثلاثة مستويات .

الأول : مستوى إجادة الأخذ والرد بالعربية ، أو بما ينتمي إلى العربية من الكلام العامي .

الثاني : مستوى إجادة القراءة والكتابة بالحروف العربية، بتركيب الكلمات والجمل والكلام المتصل البسيط وقراءته .

---

[1] - شرح ابن عقيل – ص١٤٠

[2] - نفسه – ص١٤٠

[3] - نفسه – ص٢٨٥

وهذا الاتجاه والاتجاه السابق يتجاوز أصحابه غالباً مقاييس النحو والصرف والعلل ، إذ لا يتطلب منهما الأمر سوى حفظ الحروف واتقان القدرة على تركيبها في كلمات وجمل عن طريق التقليد والممارسة العادية بعيداً عن أية قيود .

الثالث : مستوى تعلم العربية نحواً وصرفاً . وهو ما يختص به أهل الاختصاص في اللغة ، وفي مجال التعليم المنظم ، حيث يشغل أصحابه أنفسهم بالمقاييس والقواعد والعلل الكثيفة التي لا يطيقها غيرهم ، بل لا يرون لها مغزى وجدوى في تعلم إجادة العربية فوق ما أتقنوه من تحدث وقراءة وكتابة وفهم بسيط غير مُعقّد .

هذا ، ويجدر بعد هذا البيان لمسيرة الفكر والتطوّر والنحو، الوقوف في الفصول التالية على الجانب الأساس من اتجاهات تطور الفكر ومظاهره عند ابن هشام في إعماله خلال كتبه الأربعة.

الفصل السادس

اتجاهات تطورالفكر النحوي عند ابن هشام في الآراء و المواقف .

المبحث الأول : الآراء -الآراء المتفرة-الترجيح والموازنة، مواجه الرأي بالرأي)

المبحث الثاني : المواقف (بين البصريين والكوفيين -من مواقف المناقشة- مواقف التأييد-مع المعاصرين وأبي حيان)

المبحث الأول

الآراء

يسود الفكر النحوي لابن هشام اتجاهان. اتجاه بالآراء، وهو ما نبحثه هنا . واتجاه بالمواقف يأتي بالمبحث الثاني.وهما خطان عريضان في توجهاته النحوية، ويمثلان الآلية التي اعتمدها فأسهت في تطور الفكر النحوي، حيث أكسبت توجهه ميزة التفرد والامتداد الإصلاحي للنحو. ولكل من هذين الاتجاهين عدة صور نتناولها في مباحث .

ويلاحظ أنها تمثل سمات واضحة من سمات التطور تتكررت في مواضع من أعماله خلال مادته النحوية. كما يلاحظ فيها الاختلاف بينه وبين النحاة، من حيث المنطلق الفكري، إذ تلوح أفكار السابقين النحوية وكأنها تتجه إلى مخاطبة العلماء، وتبدي منهجهم في عرضهم النحوي بأقرب ما يكون إلى العقول ذات المستويات العلمية الرفيعة، منها إلى مستويات ومدارك العامة من المبتدئين وخاليي الأذهان وبسطاء المتعلمين، الذين يتجه إليهم ابن هشام بفكره النحوي. ومن هنا يتميز عرضه باليسر والسهولة ،في حين سادت المؤلفات الأخرى صعوبات يستثقلها غير المتخصصين، وهو ما أدى إلى تكثّف الجهود المتتالية، والعناوين المؤلفة للقلوب فيما بعد، كالتسهيل والتيسير والمختصر والتوضيح ونحوها .

أما اتجاهات الآراء فتتوزعها عند ابن هشام ثلاثة مطالب ، وهي :

- اتجاه بالآراء المتفردة

- اتجاه بالترجيح والموازنة بين الآراء

- اتجاه بمجابهة الرأي بالرأي

١ - الآراء المتفردة

الرأي في الأصل فكرة تعبّر عن وجهة نظر صاحبها بناءً على معطيات. وتأتي الآراء المتفردة لابن هشام، كواحد من الاتجاهات في تطوره الفكري، التي هي في درجة التطورالإضافي، أو التطور

بالإضافة، الذي أشرنا إليه سابقاً، وتأتي آراؤه معبرة عن وجهة نظره وفق المعطيات النحوية التي ألمّ بها وفقهها.

فمن خلال ما بذله ابن هشام من جهود جبّارة في تحليل آراء الآخرين وتصويبها أو تقويمها ، وإبداء الرأي فيها– وهي سمة تميزت بها أفكاره – تمخضت له آراء فريدة. وحيث أن تحديد تلك الآراء المتفردة يتطلب سعة من الاطّلاع الواسع في هذا النتاج النحوي الضخم – وهو أمر ليس بالميسور– فلا مناص من أن ندع هذا الفضل لابن هشام الواسع الاطلاع، نستشفها بلسان حاله، فهو لا شك الأعلم بمواضع التفرد في مصنفاته، وبالتالي هو الأولى والأجدر بتحديدها. وهو حريص على الإشارة إلى بعض شوارده هنا وهناك في كتبه، معلّقاً بنحو: (لم أر أحدا _ و لم أسبق إليه– وغير ذلك من الإشارات التي **ينوّهَ بتفرّده فيها** ، دالاً على هذا النمط من الاتجاه الذي يرسم لنا أولى معالم توجهاته نحو التطويروالتجديد والابتكار كما يلي:

– في كسر همزة إنّ أول الجملة الحالية : وبعد حيث :

عدّد تسع مسائل تكسر فيها همزة إنّ، وقال في الرابعة :

– أن تقع في أول الجملة الحالية' كقوله تعالى:" كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَافِرُون" ([1]) . واحترزت بقيد أقبل زيد وعندي إنّه ظافر.

وقال في المسألة الخامسة : " أن يقع في أول الجملة المضاف إليها مايختص بالجمل – وهو **إذْ** ، و**إذا** ، **وحَيْثُ** . نحو (جلست حيث إنّ زيداً جالسٌ) ." وأضاف . " وقد أولع الفقهاء وغيرهم بفتح (إنّ) بعد حيث، وهو لحنٌ فاحش فإنها لا تضاف إلا إلى الجملة و(أنّ) المفتوحة ومعمولاها في تأويل المفرد. واحترزتُ بقيد الأولية في نحو: (جلست حيث اعتقاد زيد أنّه مكان حسن) ."

ثم ختم ابن هشام– مشيراً إلى هاتين المسألتين الثانية والخامسة، ومنوّهاً بتفرّده فيهما فقال :

" **ولم أر أحداً من النحويين اشترط الأولية في مسألتي الحال وحيث** "([2])

ومن الجدير بالذكر،

أن الأستاذ محمد محي الدين ، الذي حقق الشرح اعترض على وصف المؤلف الفتح في هذا الموضع – بعد حيث – باللحن الفاحش، وقال في الهامش ما مفاده :

ليس الأمر كما قال، بل هو جائز، وله تخريج حسن في جوازإضافة حيث إلى المفرد، على اعتبار أن المصدر المنسبك بعدها من أن مع مابعدها في حكم المفرد .

فالمثال السابق تقديره : (جلست حيثُ جلوس زيد) فإنّ بعد حيث مثلها بعد إذا الفجائية . وأن من أوجب إضافة حيث إلى الجملة هم الجمهور فقط .

---

[1] – الأنفال : ٥

[2] - ش شذور الذهب – ابن هشام – ص ٣٠٥ – ت محمد محي الدين .

– كسرها في موضع خبر عن اسم عين .

قال في المسألة التاسعة : " " أن تقع خبراً عن اسم عين ، نحو (زيد إنَّه فاضل) . وقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا والَّذِيْنَ هَادُوا والصَّابِئِينَ والنَّصَارى والمَجُوسَ والَّذِيْنَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصلُ بيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ " ([1]).

ثم يقول تعقيباً : " وقد أتيت في شرح هذا الموضع بما لم أسبق إليه فتأملوه

- الحال المؤكدة لصاحبها :

بيّن ابن هشام أنّ من أقسام الحال : الحال المؤكدة لصاحبها، وهي التي يستفاد معناها من صريح لفظ صاحبها. ويمثل لها بقوله تعالى : (لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيْعَاً) ([2]) " وجاء الناس قاطبةً" ، أوكافةً ، أو طُراً " . وقال : " ومثّل ابن مالك بالآية للحال المؤكدة لعاملها وهو سهو " ولعله قصد بابن مالك ابنه بدر الدين .

هذا وقد بيّن ابن هشام أيضاً، أنّ " هذا القسم أغفل التنبيه عليه جميع النحويين" . ([3])

- في لام التعجب :

أوضح أنّ من معاني هذه اللام أن تكون للتعجب، فقال : " لام التعجّب غير الجارة نحو : لظرُف زيد ، ولكرُم عَمرو ، بمعنى ما أظرفَهُ وما أكرَمه ، ذكره ابن خالويه في كتابه المسمى بالجمل، ويقول : وعندي إنها إمّا لام الابتداء ، دخلت على الماضي لشبهه لجموده بالاسم ، وإمّا جواب لام قسم مُقدّر" ([4])

- في حصر مسوغات الابتداء بالنكرة :

قال ابن هشام : لم يُعوّل المتقدّمون في ضابط ذلك إلا على حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون : أنه ليس كل أحد يهتدي إلى موطن الفائدة فتتبعوها ، فمن مُقلّ ومن مكثر مورد ما لايصلح ، أو مُعدّد لأمور متداخلة . .. والذي يظهر لي أنها منحصرة في عشرة أمور " ثم أخذ يعدّد هذه الأمور العشرة .([5])

---

[1] – الحج : ١٧

[2] - يونس ٩٩

[3] - ش الشذور –ص ٢٤٧

[4] - المغني –ج١/ص١٩٤- ت – محمد محي الدين

[5] -- نفسه – ج١/ص٩٢

تلك نماذج محدودة مما صرّح به من آراء فريدة ، وإلا فابن هشام في كل أعماله فريد الرأي والحجة وإلا، فحيثما عبّر في خلاصاته بنحو قوله : في هذا الجواب نظر ... وسيأتي تفصيل ذلك كله ... وفي هذا الفصل تفاصيل كثيرة لايليق بها هذا المختصر . .. أو لا يحتمله هذا المختصر . ونحو ذلك من ضروب الإرجاء . (١)

كما تجدْ له إضافات بارعة على ماستأنفه من القضايا ، خاصة في كتابه الشامل مغني اللبيب في تحقيقات نحوية بارعة خالف في طريقة عرضها النحاة السابقين والمتأخرين ، وساعدته في هذا قريحته الوقّادة وعقليته المشرقة.

٢-الترجيح والموازنة بين الآراء

المعروف عن ابن هشام أنه لم يؤلف أيّاً من كتبه لوضع رأي جديد أو للانفراد بمذهب في النحو، وإن لم يخل فيها من ومضات فكرية هنا وهناك . فقد بذل جلّ جهده في مناقشة تلك الآراء التي سبقه بها النحاة والعلماء و في تمحيص أقوالهم ليميز الخبيث من الطيب بهدف تصفية النحو وتنقيته للدارسين من الشوائب ، ومن الطبيعي – والحالة هذه– أن يشتمل عمله على آراء من سبقه ، فهو عمل مقصود به تقريب النحو وتسهيله لدارسيه من خلال ذلك الكم الهائل من الآراء ، وقد أفلح أيما فلاح ، وأبدع أيما إبداع في هذا المذهب، مما أدى في أحيان كثيرة إلى تفرّد فيه بآراء وبوجهات نظر ينسب فضلها إليه.

وبالإطلاع الواسع في الآراء والقضايا، كوّن ابن هشام ذخيرته النحوية الواسعة،التي غذّى بها هذا الاتجاه في القدرة على تتبع كل ما أحاط بالمسألة النحوية من الآراء، ومن ثم الترجيح والموازنة بينها في مرونة، فهو لايعرض لمسألة إلا استعرض معها كل ما دار حولها من آراء النحاة منتقداً أو مؤيداً أو مرجحاً بينها، على نحو ما سلف في تحليل قطر الندى (٢)

وتعد موهبة الترجيح والموازنة بين الآراء في ابن هشام من قبيل التفكير الإبداعي الذي سبق في تعريفه بأنه : نشاط مركزي هادف توجهه رغبة في البحث عن حلول، أو التوصل إلى نتائج غير معروفة من قبل (٣) وذلك ما اتسم به ابن هشام في هذا الاتجاه.

---

١ – راجع المدرسة النحوية ص٤٣٤ وما بعدها طائفة من آرائه .

٢ - وانظر قطر الندى ص٣٥-٣٦

٣ - راجع – في الفصل الثالث –(الفكر) من هذا البحث

ومع تعدد المشاهير من النحاة وظهور أشهر المؤلفات في النحو عند طور التصنيف ، بلغ ابن هشام في مؤلفاته المشهورة قمة في سعة الاطلاع التي مكنته في المزيد من السياحة العميقة بين الآراء، وممارسة الترجيح النحوي بينها. حتى غدا كل جهد من جهوده النحوية مرجعاً للآراء والأقوال في النحو. فأظهر مظاهره في هذا الطور، وفي المغني بوجه خاص، أنه أوقف مؤلفاته على غربلة آراء النحاة والموازنة بينها ، وتقويم منحرفها وإبطال مخطئها ، فعوضاً عن أن يقدم فكرًا جديدًا في النحو ، يتوفر على ما هو موجود من الآراء، ويقف منها موقف القارئ المتلقي المستبصر والمتأمل فيما يأخذ ويدع من بينها ، يسعفه في ذلك ما تميّز به من تلك السعة في الاطلاع الناطقة بها الكثير من مواقفه الفريدة .

ويمثل موقف ابن هشام مع ابن الطراوة ، واحداً من عشرات الأمثلة الدالةعلى تلك الطبيعة والسجية في هذا الاتجاه.

وخلاصة الموقف، أن ابن الطّراوة (٥٤٠هـ) كان قد زعم أنه عثر على غلطة واحدة عند تعقبه على سيبويه في كتابه ، خلافا لجميع النحاة الذين أقروا بعجزهم عن العثور فيه على غلطة واحدة لم تسلم له .

فذكر : أن سيبويه في الجزء الأول :

(باب ماتجري عليه صفة ما كان من سببه وصفة ما التبس به ...) أجاب بكلمة نعم على استفهام تقريري داخل على النفي مرتين . إذ يقول : " ... وقيل له : ألست تعلم أن الصفة ... فإنه لا يجد بداً من أن يقول : نعم ... وأفلست تجعل هذا العمل ... فإنه قائل : نعم "([1]). والمعروف في نعم أنها جواب لما بعد الاستفهام ، وهو خلاف المراد على ما هو واضح .([2])

فدفع ابن هشام هذا التعقب في المغني([3]) قال :

" زعم ابن الطراوة إنّ ذلك لحن ... ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب به الإيجاز رعياً لمعناه ... وعلى ذلك قول الأنصار –رضي الله عنهم – للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد قال : ألستم ترون لهم ذلك : نعم ، وعلى ذلك جرى كلام سيبويه ، والمُخَطِّئ مُخْطِئ " ([4])

وقال ابن هشام في مبحث (أي) : حول بناء أي الموصولة على الضم مع الإضافة وحذف صدر الصلة : " ما تبيّن لي أنّ سيبويه غلط إلا في موضعين ، هذا أحدهما ، فإنه لم يسلم أنها تعرب إذا أفردت ، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت ؟([5])

---

[1]- الكتاب – سيبويه ج ١ص/٢٢٧ – ت /عبد السلام هارون

[2] - نشأة النحو السابق ص٨٥

[3] – المغني السابق – (مبحث نعم) - صص٢/٤٠٠-٤٠١ - محمد محي الدين

[4] – نفسه . ج – ٢/ص٤٠٠-٤٠١

[5] - المغني – (مبحث أي) - ج١ص٩١ . - و نشأة النحو - ص ٨٥-٨٦

هذا واحد من عشرات الأمثلة التي يشف كل منها عن سعة إطلاع وعن مقدرة فائقة لابن هشام على الموازنة والترجيح بين الآراء ، وكل ما ورد من أعماله في هذا البحث دليل قاطع على نحو ذلك .

ولا يكاد ابن هشام يكف عن حشد الآراء وتمحيصها في إثر كل مسألة إلا في المواضع التي يتجنب فيها التطويل مراعاة لحاجة الطلاب، فيكتفي بالإشارة إليها بنحو قوله:
(في هذا الجواب نظر ... وسيأتي تفصيل ذلك كله ... وفي هذا الفصل تفاصيل كثيرة لايليق بها هذا المختصر . .. أو لا يحتمله هذا المختصر . ونحو ذلك من ضروب الإرجاء . (١) التي إن دلت إنما تدل مع حاجتة هنا للنفور من التطويل، على واسع الإطلاع الذي لا يفتأ يلح عليه في كل خطوة من خطوات درسه.

٣- مواجهة الرأي بالرأي

من اتجاهات فكر ابن هشام أيضاً ما جاء في شكل آراء يتبناها موقفاً في مجابهة آراء العلماء، يلوح من خلالها ميله الشديد إلى المجابهة، وإبداء وجهة نظره في تجرّد وشجاعة ودون مواربة أو مجاملة.

وقد لاحظ بعض الباحثين من المعاصرين، أنّ الآراء التي يقترحها أو يتبناها ابن هشام في مؤلفاته قد سُبق إلى معظمها، فراح بعضهم يلحّ على إثبات ذلك من خلال إسناد تلك الآراء وإرجاعها إلى أصحابها الأصليين، وكأنما يُلوِّح بهكذا إجراء إلى ما قد يقدح في عمل ابن هشام.

ومن هؤلاء الباحثين عبد الحميد السيد– جامعة البحرين، في كتيب له بعنوان : اعتراضات **ابن هشام في المغني**(٢) ، معقباً فيه على كل رأي لابن هشام بأنه مسبوق إليه بفلان..

ومنهم الشيخ محسن بن سالم العميري – جامعة أم القرى– مكة . في كتيب له بعنوان : مواقف ابن هشام الأنصاري من الجوهري . وقد حرص فيه هو الآخر على مثل قوله : " وابن هشام مسبوق في هذا التنبيه "(٣)

---

١ – راجع المدرسة النحوية ص٤٣٤ وما بعدها طائفة من آرائه .

٢ - اعتراضات ابن هشاتم الأنصاري على المعربين في كتابه "مغني اللبيب" د. عبدالحميدالسيد – العدد ٨٦ – المجلة العربية للعلوم الانسانية – ط ٢٠٠٤م .

٣ - - مواقف ابن هشام الأنصاري من الجوهري – الدكتور محسن بن سالم العميري – ص ١٠ - ط الأولى ١٩٩٦م

وفي الواقع أن مثل هذا السلوك الذي ينزع إليه ابن هشام في عرضه النحوي، هو من قبيل مجابهة الرأي بالرأي ليس إلا، إذ ليس من وراء اقتفاء الأثر إلا البحث عن المجابهة والتصدي لوضع الأمور في نصابها.

والواقع كذلك، أنّ النحاة جميعهم قديماً وحديثاً لم يبتكرأيٌّ منهم شيئاً من النحو ، فقد وُجد النحو في كلام العرب – كما أسلفت– وتوالت أجيال سيبويه وتابعيه على تقعيده وتنظيمه ، وكلٌّ إضافة من بعدهم لم تتعدَّ الشرح والتعليل لتلك القواعد بهدف تقريبها وتسهيلها للدارسين . فسيبويه قد نقل ما ضمه كتابه عن شيخه الخليل ومن أفواه الرواة ، ولكنه أبدع في شرح وتنظيم ذلك المنقول ، وفي إضافة شيء من براعتة عليه ، فكان مقبولاً بذلك عند الجميع .

وابن هشام كذلك–على الأقل – في مجابهته للآراء كان كمن يجلو عنها صور الأشباح الباهتة، ليعرضها في ثوب جديد ، ويحلها في مقاماتها الطبيعية من درسه وموضوعاته إلى الدارسين ، يقدم هذا الوجه أو ذاك، ثم يعزّزه بسيل من الآيات والنصوص الفصيحة على غير العادة ليقرب القاعدة ويمكّن من استجلاء معاني النصوص. وربما عرض في ضوء فهمه السليم للقاعدة النحوية ، لتصويب أمثلة ونماذج يتداولها النحاة كثيرا ، ويقترح مكانها أمثلة أكثر ضبطاً ، كما فعل في مسألة نصب المضارع بعد الفاء المعتمدة على نفي محض ، فكشف عن عدم الدّقة في تمثيلهم بنحو : (ما تأتينا فتحدّثنا) ، واقترح أن يكون : (ما تأتيني فأُكْرِمَك) لاعتبارات ذكرها هناك. (١)

بين الجوهري وابن هشام

وفي هذا الإطار، أخذ العميري على ابن هشام موقفه من الجوهري في آرائه ، حيث وصف موقفه منه بأنه : " موقف المفنّد المُخطّئ ، فلا يبالي من أن يصم الجوهري بالوهم أو السهو أو الخطأ ..." (٢)

ويقول مدافعاً أيضاً عن الجوهري ضد ابن هشام في (هلم جرا) :

" لم يسلم الجوهري من حدّة في عبارات ابن هشام ، كقوله : هذا خطأ ، وهذا وهم ، وهذا سهو. بل، وتبنى مقولة ابن الصلاح التي مفادها : أنه لا يقبل ما تفرّد به الجوهري "(٣)

فالعميري يستنكرمن ابن هشام تعبيره عن رأيه بهذه الالفاظ السابقة أكثر من إنكاره للرأي نفسه ، إذ يقول عنه في ختام بحثه :

" وكان بودنا لو أبان (أي ابن هشام) عن وجهة نظره بعبارة لطيفة خفيفة تدع باب القول ذا سعة ."[1]

---

[1] - الشذور ص ٣٠٣ – وانظر ص ١٤٥ وما بعدها من هذا البحث .في انتقاد المذهبين.

[2] - انظر ص ٥ – من مواقف ابن هشام الأنصاري من الجوهري– الدكتور محسن بن سالم العميري –

[3] - المصدر نفسه – ص ١١٧ –

وتقييم هذا الموقف يتلخّص عندي في عدة نقاط :

أولاً : إنّ عبارات : الخطأ ، والوهم ، والسهو ، هي ألفاظ يشيع دورانها كثيراً بين النحاة في كتبهم بلا استثناء ، باعتبارها نقداً توصيفياً لانحراف الأفكار عن الصواب في موقف ما أو في مسألة محددة ، لا باعتبارها صفات لخلق ثابت ودائم فيه . فضلاً عن أنّ السهو قد جاء به تشريع السجود في الصلاة .

ثانياً : أنّ صفة (السهو) قد تكون ثبتت على الجوهري بآخر أيامه ، إذ تذكر الروايات أنه أصيب بالوسواس فسقط عن السطح وتُوفِّي ، بعد أن ترك " مبيّضه ، فبيّضه بعد موته تلميذه أبو إسحق، إبراهيم بن صالح الوراق (من مذكوري الأدباء في نيسابور) (٢).

" فغلط فيه في عدّة مواضع غلطاً فاحشاً وكان الفيروزابادي بعد ذلك أشدّ العلماء تحاملاً على الجوهري وصحاحه "(٣)

ثالثاً : إنّ معظم الكتب المشهورة التي ألفت حول الصحاح ، قد لفتت إلى ما جاء فيه من أخطاء وتعقبت أوهامه –حسب تعبيرهم –. ومن تلك الكتب :

– **التكملة والذيل والصلة:** لرضي الدين، الحسن بن محمد الصاغاني (–٦٥٠هـ) ويقع في ستة مجلدات ضخمة . ذُكر أنه : " استدرك فيه على صحاح الجوهري ما فاته من اللغات، واستتم ما أغفله من معاني الكلمات، وتعقب أوهامه وما أخطأ فيه بالتصحيح "

ومنها : كتاب عنوانه :

- " نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم: لصلاح الدين الصفدي. وقد أفاد فيه من حواشي ابن بري، وزاد عليه فوائد أدبية واستدراكات حسنة " .

غير أن كل هذا لا يضير "الصحاح" كثيراً، وقد اعتذر عنه الخطيب فقال: " ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهوٍ يقع فيها أو غلطٍ.. غير أن القليل من الغلط الذي يقع في الكتب إلى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه، وأتعبوا نفوسهم في تصحيحه وتنقيحه، معفوٌّ عنه" (٤).

---

[١] -الشذور – ص ١٧٧

[٢] -- إنباه الرواة على أنباه النحاة- للقفطي(جمال الدين بن علي)-ج ١ص١٦٩.- ت محمد أبو الفضل – القاهرة دار الكتب المصرية – ١٩٥٢م .

[٣] - معجم الأدباء - لياقوت الحموي ج٦-ص/١٥٦.- ت مرجليوت –دار المستشرق – بيروت - والمزهر – ج١/ص٩٩

[٤] - المزهر في النحو – للسيوطي - ج١ص/٩٧-٩٨ – ت محمد أحمد جاد المولى – البابي الحلبي – القاهرة

كما أحسن ياقوت في مثل ذلك وهو يقول: "ومَنْ ما ساء قطّ،؟ ومن له الحسنى فقط؟ فإنه – رحمه الله– غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء الذين تقدّموه وتأخّروا عنه فإنّي لا أعلم كتاباً سُلّم إلى مؤلّفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه." ([1])

وعلى هذا الأساس فابن هشام ليس بدعاً من غيره ، على أنّ رأيه كان واضحاً في هلم جرا ([2])، وأمثالها مما أنكره العميري عليه .

وكان رأي ابن هشام في (هلم جر) ونحوها من التراكيب يتلخص في قوله :

" كل هذه التراكيب مشكلة، ولستُ على ثقة من أنها عربية وإن كانت مشهورة في عُرْف الناس . وبعضها لم أقف لأحد على تفسير له، ووقفت لبعضها على تفسير لايشفي عليلاً ، ولا يبرد غليلاً([3])

وهو كرأيٍ له في سلفه ابن الأنباري مع تلك التراكيب، قال فيه ابن هشام :

" أنّ كتابه الزاهر(كتاب ابن الأنباري) الذي بسط هذه المشكلة ليس موضوعاً لتفسير الألفاظ المسموعة من العرب ، بل وضعه أن يتكلم على ما يجري من محاورات الناس ، ولا أعلم أحداً من النحاة تكلم عليها غيره " ([4])

فالجوهري (ت٣٩٦هـ) وهو أول من تناول النحو في معجم، قد ابدع في سبقه بهذا ، لكن جاء من بعده النحاة – أبو حيان وغيره– فنظروا تلك العبارات من جانبها الإعرابي ، ومن لم يفطنوا إلى عجمتها، كأبي حيان الذي وهم لذلك في إعرابها على وجه من وجوه القياس... انتهى .

وهنا كان مكمن الجدل .

وأما في (حسب) فقد أبرز العميري أيضاً أبا حيّان معارضاً لابن مالك وناقش ردّ ابن هشام على ابي حيان ، قائلاً :

" ما أخذه ابن هشام على عبارة أبي حيّان مفتعل وقد أقام خلافا لا أساس له " ([5])

وبالبحث في رأي الجوهري حول (حسب) نجده لم يثبت إلا ما عُرف من المشهور الصائب والمجمع عليه فيها؛ أي : نصبها حالا بعد معرفة، أو صفة بعد نكرة مع ذكرأمثلة توضيحية. فهو بهذا ليس في مجابهة مع ابن هشام، إلا أنه مع ذلك أضحى كمعبر إلى جدل (سفسطي) أوفرالناس له أبو حيان الذي جاء ذكره في المسألة.

ففي المجمل :

---

[1] - معجم الأدباء – ياقوت الحموي – ص١٥٦

[2] - انظر وجهة نظر ابن هشام في الأشباه والنظائر – للسيوطي - ج٣ص/ ١٨٧- والمدرسة النحوية - عبد العال – ص٤١٤

[3] - الأشباه والنظائر ج٣/ص٢٠٢- وانظر المدرسة النحوية ص٤١٤ .

[4] - نفسه - ج٣/ص٢٠٢

[5] - مواقف ابن هشام – د. العميري – ص ٥٥

لم يكن الجوهري قط طرفاً مباشراً ، ولا موضوعاً يستدعى إقحامه لمناقشة موقف لابن هشام مع أبي حيان ، ولكن يبدو أن لا سبيل لافتعال خلاف لا أساس له إلا بأبي حيّان الذي لارابطة له بالجوهري في (حسب) سوى أنّ ابن هشام الذي ناقش أبا حيان ، استشهد بالجوهري مرات ، كما في تفسيره لـ(حسب) بمعنى (كاف أو لاغير) ، وكانتقاده مرات ، كما في (علُ) المرتبطة في كلام ابن مالك بـ(حسب) في قوله :

" ولا تستعمل (علُ) مضافة أصلاً ، وقع ذلك في كلام الجوهري ، وهو سهو ..."([1]) . أما قوله "وهو سهو" : أي في خصوص هذا الكلام ، لا أن صاحبه ذو سهو دائم .

وليت شعري ، هل كان العميري ليجد سعة من القول أكثر ، لو أنّ ابن هشام وافق الجوهري في كل آرائه ؟!

واستغناءً بما سيأتي عرضه من تلك المعارضة في(حسب)([2]) أكتفي هنا بخلاصة لها كما يلي:

كان الانتقاد العميري فيها مفاده : أن ابن هشام لم يفهم مراد أبي حيان من قوله :

" ولا وجه لنصبها لأنها غير ظرف ، إلا أنهم نُقل عنهم نصبها حالاً إذا كانت نكرة ".

وبالتالي فابن هشام في رأي العميري قد " نسب إليه(إلى أبي حيان) ما لم يقله ليقيم خلافاً لا أساس له " ([3])

ولكن الناظر في مرافعة ابن هشام هناك، لا يجد شيئاً معيناً ينسبهابن هشام إلى أبي حيان ، وإنما استخدم معه المنطق بادئاً بذكر المعاني التي تأتي عليها حسب (كاف) أو (لاغير) التي في الصحاح . ثم ذكر ابن هشام الآراء المحتمل فهمها من اعتراض أبي حيان بأسلوب منطقي كنحو : إن كان أراد كذا ... وإن كان يقصد كذا .. ذاكراً الاحتمالات الممكن إرادتها. وبعد ذلك بيّن بطلان كل تلك الاحتمالات التي ليس لأبي حيان خروج بما قصد عن واحد منها ، وختم ببيان انتهاء أبي حيان إلى تجويزه انتصاب حسب على الحال ، مذّكراً بأن ذلك معروف ومشهور في جميع الكتب.

هذا ، ويثير نقد العميري هنا أفكاراً تتعلق بغموض الأسلوب النحوي السائد نعود إليها في موضعه بالفصل التاسع الآتي .

على أن موقف العميري برمته خلص في النهاية إلى لاشيء ، إذ ختم حملاته على وجه من الإنصاف والتبرير اللطيف قائلاً :

" إنّ هذا الذي قام به ابن هشام من نقد يدل على حرية التفكير والبحث ، وإن كل عالم يبني على ما فرق له وثبت عنده ..." ([4])

---

[1] - الشذور ص ١٠٧

[2] - انظر في ص- ١٥٨ من هذا البحث

[3] - مواقف ابن هشام – العميري – ص ٥٤

[4] - مواقف ابن هشام من الجوهري – - ص ١١٧

وذلك قبل أن يلقى عصا الترحال عند آخر كلماته في البحث قائلاً :

" لما كان الحق أكبر من أصحاب الآراء فقد وافقت ابن هشام في بعض تعقيباته على الجوهري لأنّ الحقّ أحق أن يُتّبع " ([1])

ويتأكد بما سبق اتجاه ابن هشام في مجابهتة الرأي بالرأي .

[1] المصدر نفسه – ص ١١٧

المبحث الثاني

المواقف

١- بين البصريين والكوفيين

من اتجاهات ابن هشام الفكرية، ما تمثل في المواقف التي اتخذها من النحو والنحاة . وهي تنتظم المطالب التالي :

ابن هشام بين البصريين والكوفيين.

ابن هشام مع النحاة السابقين .

ابن هشام مع النحاة المعاصرين .

خلاصة مذهب ابن هشام ، ومنهجه .

. فربما يُعدّ " ابن هشام مرحلة لابدّ منها ليكمل بناء النحو، وينضج على يديه ... ذلك لأنّ النحويين كانوا يدورون – قبل ذلك – في أغلب الأحوال حول المذهب البصري ، مقدسين لرجاله ، متعبّدين بمسائله ، أو حول المذهب الكوفي مناصرين له . فكان أول الخارجين على هذا التقليد كلٌّ من ابن الحاجب (من علماء القرن السابع) الذي كان مع ميله إلى المذهب البصري، لم يكن في كل الأمور واضعاً يده في يد البصريين . ثم الإمام ابن مالك صاحب الألفية، الذي كان أقرب إلى مدرسة الكوفة، إلا أنّه مع ذلك خالفهم في بعض الأصول والمسائل ، فكان مدرسة قائمة بذاتها، صنعت مقاييسها ووضعت أصولها في جوٍّ تسوده حرية الفكر وخدمة اللغة وتطور النحووالأخذ بما صحّ دليله واستقام أمره. (١)

ولما جاء ابن هشام كان كسلفه ابن مالك ، لم يجر في حلبة مدرسة بذاتها، ولم يقتف أثر نحوي بعينه ، بل كان – حسب صاحب المدرسة النحوية– " مستقل الشخصية حر التفكير ، ساعده على ذلك دراسات طويلة عميقة في النحو كونت فيه ذوقاً خاصاً ، وقوة خلاقة ، وملكة مبتكرة. .." (٢) فجدد ما انقطع من تراث ابن مالك ، هذا التراث القائم على حرية الرأي وطلب الدليل والتماس الحجة . لذا فإنّ ابن هشام لم يكن –كما اسلفت– " بصريَّ النزعة أو كوفي الطابع أو بغدادي الرأي، لأنه كان في مجال النحو شخصية مستقلة لاتقلد ولاتتابع ، وإنما يجري وراء الدليل فأنى وجده

---

١ - المدرسة النحوية – ص ٣٨٥

٢ - نفسه – ص ٣٨٥

أخذه . وقد يكون هذا الدليل مؤيداً لاتجاه بصري ، أومقوياً لاتجاه كوفي، أو دعامة لرأي نحوي مشهور أو غير مشهور .

وكواحد من الدارسين للنحو في القرن الثامن الهجري – لم يخرج ابن هشام عن النهج الذي سار عليه ناشئة عصره في الإلمام بكتب ابن مالك ، واستيعاب مسائلها . ولما كانت كتب ابن مالك تحوي آراء البصريين والكوفيين ، وتعليقات عليها من مؤلفها وناقدها أو مؤيّدها موافقاً ومخالفاً ، فقد تأثر ابن هشام بهذا النهج ، فكان مؤيداً للبصريين في مسائل صح فيه الدليل ، وقد يخالفهم ليضع يده في يد الكوفيين حينما يرى الحق في جانبهم ، والدليل يساندهم .

والسبيل لبيان ذلك أن أذكر نماذج محدودة من المسائل التي وافق فيها ابن هشام البصريين ، ثم مثلها مما وافق فيها الكوفيين فيما يلي :

–مع البصريين :

١ – في التنازع ، قال ابن هشام :

" اتفق البصريون والكوفيون على جواز إعمال أيَّ العاملين شئت، ثم اختلفوا في المختار ، فاختار الكوفيون إعمال الأول لتقدّمه ، والبصريون إعمال المتأخر لمجاورته المعمول ، وهو الصواب في القياس والأكثر في السّماع .(١)

٢ – في المشبه بالمفعول به :

يقول : في المشبه بالمفعول به نحو " زيد حسن وجهه ، وهو المنصوب بالصفة المشبهة باسم الفاعل المتعدي إلى واحد ، وفاعل (حسن) ضمير مستتر ، أي هو، ثم نصب وجهه ، وليس ذلك على المفعولية ، لأن الصفة إنما تتعدى تبعاً لتعدّي فعلها ، و(حسن) الذي هو الفعل لا يتعدى ، فكذلك صفته هي فرعه ، ولا على التمييز ، لأنه معرفة بالإضافة إلى الضمير ...

إلى أن يقول : "

ومذهب البصريين هو الحق ، أنّ التمييز لا يكون معرفة وإذا بطل هذان الوجهان تعين ماقلنا من أنه مشبه بالمفعول به " (٢)

---

١ - ش- الشذور- ص ٤٢٣ ت محمد محي الدين

٢ - الشذور نفسه - ٢٤٤

٣ – في (أنَّ) الناصبة :

قال في المغني : " وقد يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن محْحَص (لِمَنْ أرَادَ أنَ يُتمُّ الرَّضَاعَةَ)([1]) . وقول الشاعر :

(أن تقْرآنِ على أسْمَاءَ وَيْحَكُما منِّي السلامَ ، وأنْ لا تُشْعِرا أحَدَا) ([2])

وزعم الكوفيون : أنّ هذه هي المخفّفة من الثقيلة شذّ اتصالها بالفعل . **والصواب قول البصريين :** أنها (أنْ) الناصبة أُهْملت حملاً على أختها ما المصدرية .

٤ – في ألفاظ التوكيد :

من ألفاظ التوكيد، قال : " أجمع ، وجمعاء ، وجمعهما وهو أجمعون ، وجُمَع . وإنما يُؤكد بهما غالباً بعد (كلّ) فلهذا استغنت عن أن يتصل بها ضمير يعود على المُؤكَد . إلى أن يقول :

وقد فهم من قولي : أجمع ، وجمعاء ، وجمعهما أنهما لايثنّيان فلايقال : أجمعان ، ولا جمعاوان . **وهذا مذهب جمهور البصريين ، وهو الصحيح لأنّ ذلك لم يُسمع** " ([3])

٥ – في المسألة الزَّنْبُورِيّة :

قال ابن هشام : " قالت العرب : إنْ كنتُ أظنُّ أنَّ العَقْربَ أشدُّ لسْعةً من الزَّنبور فإذا هو هي . وقالوا أيضاً : فإذا هو إيّاها . وهذا الوجه أنكره سيبويه لما سأله الكسائي (في قصة مشهورة) . وقال ابن هشام – مدافعاً عن سيبويه وأصحابه " وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قال سيبويه ، وهو فإذا هو هي . هذا هو وجه الكلام ، مثل (فإذا هيَ بيْضَاءُ")([4]) (فإذا هيَ حيَّة)([5])

وأما إذا هو إياها إذا ثبت فخارج عن القياس واستهمال الفصحاء كالجزم بـ(لن) والنصب بـ (لم) والجر بـ (لعل) ، **وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك ، وإن تكلم بعض العرب به**" ([6])

٦ – في حتَّى :

قال : " ولحتى التى ينتصب الفعل بعدها معنيان ، فتارةً تكون بمعنى (كي) ، وذلك إذا كان ما قبلها علة لما بعدها . نحو : اسلم حتى تدخل الجنة ، وتارةً تكون بمعنى (إلى) ، وذلك إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها ، كقوله تعالى (لَنْ نَبْرَحَ علَيْهِ عَا كِفِيْنَ حَتَّى يَرْجِعَ إلِيْنَا مُوسَى) ([7])... والنصب في

---

[1]- البقرة : ٢٣٣

[2] – شرح شواهد المغني – ص٣٧ – قال السيوطي : من شواهد المغني ولم يسم قائله .

[3] - قطر الندى – السابق – ص٤١٥-٤١٦

[4] - الشعراء : ٣٣

[5] – طه : ٢٠

[6] - المغني السابق نفسه – ص ٨٣/١ – ت / محمد عبد الحميد

[7]- طه : ٩١

هذه المواضع وما أشبهه بـ (أنْ) مضمرة بعد حتى (رأي البصريين ، لا بحتى نفسها خلافاً للكوفيين لأنها قد عملت في الأسماء الجر ، كقوله تعالى : (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ([1]) فلو عملت في الأفعال النصب لزم أن يكون لنا عامل واحد يعمل تارةً في الأسماء ، وتارةً في الأفعال ، **وهذا لا نظير له في العربية** " ([2])

٧ – في صِيَغ المبالغة :

قال في إعمال فعّال ، ومفعال ، وفعول من صيغ المبالغة : " وإعمال هذه الثلاثة كثير ؛ فلهذا اتفق عليه جميع البصريين ".. ثم بين أنّ إعمال الصيغتين الأخريين فعيل ، وفَعِل عندهم قليل ،([3]) واستشهد للجميع .

ثم قال في المقابل :

" وأما الكوفيون فلا يجيزون إعمال شيء من الخمسة ، ومتى وجدوا شيئاً منها قد وقع بعده منصوب أضمروا له فعلاً ، وهو تعسف " ([4])

ووضح من قوله (وهو تعسف) أنه يرى رأي البصريين .

٨– في رُبَّ :

ذكر أنّ البصريين يتفقون على إعمال (رُبَّ) حرف جر ، لأنها تدخل عليها علامات الأسماء بخلاف (كم) فيدخل عليها حرف الجر ، ويضاف إليها نحو بكم درهمٍ ، وغلام كم رجل .

ورُدّ على الكوفيين فيقال : " (رُبَّ حرف جر خلافاً للكوفيين في دعوى اسميته ، وقولهم إنه أخبر عنه في قوله :

إنْ يقتلوك فإنَّ قتلك لم يكنْ عارٌ عليك ، ورُبَّ قتلٍ عارٌ

(أي عارٌ) ممنوع ، بل (عار) خبر لمحذوف والجملة صفة للمجرور، أو خبر للمجرور إذ هو في موضع مبتدأ " ([5])

---

[1] - القدر : ٥

[2] - قطر الندى – ص ٩٣-٩٤

[3] - ش – الشذور – ص ٣٩٢-٣٩٣-

[4] - نفسه – ص ٣٩٦

[5] - المغني السابق –ج ١ص/١١٨ / وبيت الشعر لثابت من **قطنة** بن كعب العتكي أبو العلاء. شاعر فارس من الدولة الأموية / ش الشواهد المغني ج١ص/٣٣

٩ – وينتصر لسيبويه إمام البصريين في (لمّا)

بقوله : " فقال سيبويه أنها حرف وجود لوجود (وجود الشرط لوجود الجواب) وقال الفارسي وجماعة : أنها ظرف بمعنى : حين . **ورُدَّ بقوله تعالى** : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ...) الآية وذلك أنها لو كانت ظرفاً لاحتاجت إلى عامل يعمل في محلها النصب ، وذلك العامل إما (قضيْنا) أو (دَلَّهمْ) إذ ليس معنا سواهما . وكون العامل (قضينا) مردود بأنّ القائلين بأنها اسم يزعمون أنّها مضافة إلى ما يليها ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . وكون العامل (دَلَّهُم) مردود بأنّ (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها .

وإذا بطل أن يكون لها عامل ، **تعيّن أن لا موضع لها من الإعراب** ، وذلك يقتضي الحرفية"([1])

– مع الكوفيين :

كما وافق ابن هشام البصريين في بعض المسائل وافق الكوفيين أيضاً في بعضها الآخر. فهو كشأنه مدرسة قائمة بذاتها تعتمد الدليل وتنشد الحق أينما كان .

تابع البصريين ما رأى الدليل والحق في جانبهم ، وخالفهم واضعاً يده في يد الكوفيين ما أبصر الحق والصواب في جانبهم .

فمن المسائل التي وافق فيها الكوفيين :

١ – في أنْ المفسرة :

ذكر من معاني أنْ : أن تكون مفسرة بمنزلة (أي) نحو: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ... الآية)([2]) . (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ...الآية) ([3]).

قال :

" وعن الكوفيين إنكار (أنْ) التفسيرية ألبتة ، **وهو عندي متّجه** ، لأنه إذا قيل : كتبتُ إليك أنْ قم . لم يكن قم نفس كتبتُ ، كما كان الذهب نفس العسجد في قولك " هذا عسجد ذهب . ولهذا لوجئت بأي مكان أنْ في المثال لم تجده مقبولاً في الطبع " ([4])

---

[1] - قطر الندى – ص ٥٥

[2] - المؤمنون : ٢٧

[3] - الأعراف : ٤٣

[4] - المغني – ج١ص/٣٠

٢- في إنابة أحرف الجر بعضها عن بعض :

قال ابن هشام في المغني : " مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أنّ أحرف الجزم ، وأحرف النصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندي أمّا مؤوّل تأيسلاً يقبله اللفظ كما قيل في (لأُصَلَّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ...) ([1]) أنّ في ليست بمعنى على ، ولكن شبّه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحالّ في الشيء .

وإمّا على تضمين الفعل معنى فِعْل يتعّدى بذلك الحرف كما ضمّن بعضهم شربْن في قوله :

(شَرِبْنَ بِماءِ الْبَحْرِ) ([2])

معنى : رويْنَ . وأحسن في (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) معنى لطف . وإمّا على شذوذ إنابة كلمة أخرى . وهذا الأخير محمل الباب كله عند أكثر الكوفيين ، وبعض المتأخِّرين ، ولا يجعلون ذلك شاذّاً ، **ومذهبهم أقل تعسُّفاً** "([3]) ، **أي من مذهب البصريين** .

٣- في الاسم واللّقب :

قال : " إذا اجتمع الاسم مع اللّقب وجب في الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب ، ثم إنْ كانا مضافين :كعبد الله زين العابدين ، أو كان الأول مفرداً ، والثاني مضافاً : كزيد زين العابدين ، أو كان الأمر بالعكس : كعبد الله قُفَّة ، وجب كون الثاني تابعاً للأول في إعرابه ، إمّا على أنه بدل عنه ، أو عطف بيان عليه . وإن كانا مفردين : كزيد قُفة ، و سعيد كُرْز ، فالكوفيون والزّجاج يجيزون فيه وجهين :

أحدهما : اتباع اللقب للاسم كما تقدم في بقية الأقسام .

الثاني : إضافة الاسم إلى اللقب .([4])

وجمهور البصريين يوجبون الإضافة ، **والصحيح الأول ، والإتباع أقيس من الإضافة ، والإضافة أكثر**" ([5]).

---

[1] - طه : ٧١

[2] - لأبي ذؤيب الهذلي . يصف سحابا ، وتمامه **(شربن بماء البحر ثم ترفعت – متى لجج خضر لهنّ نئيج)**

[3] - المغني السابق نفسه – ج ١/ص١٠٣- ت/ محمد محي الدين

[4] - قطر الندى – ص ١٣٥

[5] - قطر الندى – ص١٣٥

٤ – في خبر ليس :

يمتنع تقديم خبر (ليس) عليها . قال ابن هشام : " أمّا امتناع ذلك في خبر (ليس) فهو اختيار الكوفيين والمبرّد ، وابن السّراج ، **وهو الصحيح ، لأنه لم يُسمع مثل : ذاهباً لست** ، ولأنها فعل جامد ، فأشبهت عسى ، وخبرها لا يتقدم باتفاق " ([1])

٥ – في بل :

قال : " (بل) حرف إضراب ، فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب : إمّا الإبطال نحو: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) ([2])أي بل هم عباد ...

وإمّا الانتقال من غرض إلى آخر . ومثاله : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى وَذكَرَاسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُنَ الْحَياةَ الدُّنْيَا...) ([3])

وإن تلاها مفرد فهي عاطفة ، ثم إن تقدمها أمر أو إيجاب ، كاضرب زيداً ، بل عمرواً ، ولا يقم زيد بل عمرو . وأجاز المبرد وابن الوارث : أن تكون ناقلة معنى النفي والنهي إلى ما بعدها . وعلى قولهم : فيصبح مازيد قائماً ، بل قاعداً وبل قاعدٌ ، ويختلف في المعنى .

ومنع الكوفيون أن يُعطف عليها بعد غير النفي وشبهه . قال ابن هشام : **ومنعهم ذلك على سعة روايته دليل على قلته** " ([4])

وهكذا إذا تتبعنا ابن هشام نجده لا يكتفي بالتأييد لأحد المذهبين على حساب الآخر ، بل يرسل عبارات الانتقاد على كل ما لا يراه قائماً على دليل أو حجة منهما . فمن كلماته النقدية للمذهبين

– قوله في موقف البصريين من (لسوف) مؤكداً أنها : " تنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو : (ولسوف يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فتَرْضَى) ([5]) قال " وذهب البصريون : إلى أنّ مدة الاستقبال معها أوسع من السين " . .. وكأنهم نظروا إلى أنّ كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى، وليس ذلك بمطّرد "([6]) .

– وقوله في موقف الكوفيين من صيغ المبالغة : " .. **ومتى وجدوا شيئاً منها قد وقع بعده منصوب أضمروا له فعلاً ، وهو تعسُّف** " .([7])

– وقوله في زعمهم أنّ (كي) ناصبة دائماً : " **وهو غريب جدّاً لا يحتمل القياس عليه** " ([8])

---

[1] - نفسه –ص ١٨٥

[2] – الأنبياء : ٢٦

[3] – الأعلى : ١٤–١٥–١٦

[4] - المغني –ج ١ص/١٠٣

[5] - الضحى : ٥

[6] - الأشباه والنظائر – السيوطي ج٢/ص٢١٩ – راجع في التمهيد ص١٢ وما بعدها من هذا البحث .

[7] - ش- الشذور – ص ٣٩٦

[8] - المغني – ج١/ص١٥٧

كما ينتقد المذهبين معاً : في تمثيلهما للنصب بأن مضمرة بعد النفي المحض بنحو (**ما تأتينا فتحدّثَنا**) . بنصب (تحدّث) ، على السببية ، لأنه يقتضي معنى انتفاء الإتيان مع وجود الحديث، وهو مستحيل . وممكن على معنى ماتاتينا محدثاً بل تأتينا غيرمحدث ، أو على معنى ما تأتينا فكيف تحدّثنا ؟ وهو غير مرادهم من التركيب . بينما الأمثل أن يمثلوا بنحو (**ما تاتيني فأكرمُكَ**) رفعاً أونصباً،على أحد الوجوه الأربعة التي ذكرها، فهو لايستحيل فيه أن ينتفي الإتيان مع وجود الإكرام، المعنى الأساسي . قال " **ويذكر النحويون هذين الوجهين في قولك (ما تأتينا فتحدّثنا) وهذا سهو...**"([1])

وفي المحصلة يمكن القول :

إنّ مناقشة النحويين والوقوف معهم في ميادينهم ، موافقةً أو مخالفةً هي الظاهرة التى سادت جميع كتب ابن هشام ، فقلما تخلو فيها مسألة من مسائل النحو . فتراه ينقب عن آراء نحاة مغمورين قلما اطلع عليها غيره ، يناقش على ضوئها آراء المشهورين . أويعرض المسألة الواضحة ثم يسرد آراء النحاة السابقين فيها ، كل رأي مصحوب بدليله ، فإذا تم له ذلك عرض لهذه الآراء رأياً رأياً ، يبيّن عُوارَها ، ويظهر ضعفها ، دون استثناء لمذهب أورأي ، حتى إذا ما أجهز عليها طالعنا برأيه بعد شوق إليه ، فيجيئ قوياً بدليله، منطقياً بحجته ، معزَّزاً ببرهانه .في أساليب أستعرض نماذج لها فيما يلي من الفصل الرابع .

٢- مع النحاة السابقين

ومن الاتجاهات الفكرية، ما اتخذه ابن هشام من الأساليب الحجاجية الجدلية في مواقفه مع النحاة، وقد تنوعت المواقف وفقاً لتنوع الأفكارفي المطالب التالية :

- مواقف مناقشة وترجيح .
- ومواقف موافقة وتأييد .
- ومواقف معارضة وانتقاد.

وهو في جميع مواقفه لا يجنح إلى دفاع أومعارضة أو إشادة، تضامناً مع نحوي ضد آخر. خلافاً لما شاع لدى بعض المؤرخين والدارسين، إذ من أهداف ابن هشام –كما أسلفت – الوقوف على الحياد مع النحاة بلا استثناء في أمانة هادفة إلى تحري الصواب فحسب.

وفيما يلي أكتفي ببعض الأمثلة التي تبين ذلك من خلال مواقفه مع النحاة السابقين.

---

[1] - ش الشذور – ص ٣٠٣

أ – من مواقف المناقشة والترجيح بين السابقين

١ – مع سيبويه في (أمس)

مع أنّ سيبويه هو إمام النحو وزعيم المدرسة البصرية إلا أنه لم يسلم من نقد ابن هشام ، ومخالفته له ، واعتماد رأي غيره .

قال في شرح الشذور : " إذا أريد بـ(أمس) يوم ما من الأيام الماضية ، أو كسر أو دخلته (ال) أو أضيف ، أُعرب بإجماع ، تقول : فعلتُ ذلك أمساً ، أي في يوم ما من الأيام الماضية ... وذكر المبرد والفارسي ، وابن مالك والحريري : أنّ أمس يُصغّر فيُعرب عند الجميع ، كما يُعرب إذا كُسر ... ونصّ سيبويه على أنّه لا يُصغّر ، وقوفاً منه على السماع . والأوّلون اعتمدوا على القياس ." إلى أن يقول : " **ويشهد لهم وقوع التكسير ؛ فإنّ التكسير والتصغير أخوَان** " ([1])

٢ـ مع أبي حاتم ـ (ت٢٥٠) في (كلا)

قال ابن هشام : " رأى الكسائي وأبوحاتم ومن وافقهما : أنّ معنى الردع والزجر في (كلا) ليس مستمراً فيها ، فزادوا فيها معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ، ويُبتأ بها ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال :

أحدها : للكسائي ومتابعيه ، قالوا : تكون بمعنى حقّاً .

والثاني: لأبي حاتم ومتابعيه، قالوا : تكون بمعنى ألا الاستفتاحية

والثالث: للنضر بن شميل والفراء، ومن وافقهما قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة : أي ، ونَعَمْ، وحملوا عليه (كَلا وَالْقَمَرِ)([2]) ، فقالوا معناه : أي والقمر . **وقول أبي حاتم عندي أولى من قولهما لأنه أكثر أكثر إطّراداً** " (٣)

وأبوحاتم هذا لم تكن شهرته النحوية تضارع شهرة الكسائي والفراء ، مع ذلك فقد أخذ ابن هشام برأيه ، ورفض رأيهما مع شهرتهما الواسعة في النحو (٤).

٣ – مع الجَرْمِيّ ، والمازِنِيّ ، والرَّبْعيّ في (خلا)

قال ابن هشام : " خلا على وجهين : أحدهما : أن تكون حرفاً جاراً للمستثنى ... والثاني : أن تكون فعلاً متعدياً ناصباً ، وفاعلها على الحد المذكور في فاعل (حاشا) والجملة مستأنفة ، أوحالية

---

[1] ـ ش الشذور السابق – ص ١٠٠-١٠١

[2] ـ المدثر : ٣٢

[3] ـ المغني السابق ج١ص/١٦١

[4] ـ انظر البغية – ترجمة ١٢٨٧ – ج ١ص/ ٦٠٦ – ٦٠٧ . هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني . من ساكني البصرة اختلف في ستة وفاته ما بين ٢٥٠ و ٢٥٨ – أخذ عنه المبرد – كان إماماً في علوم القرآن واللغة والشعر ، نفر من النحو حين ابتلي بسببه .وله في ذلك قصة طريفة . له من التصانيف إعراب القرآن ـ ولحن العامة – القصور والممدود ، والقراءات ، وروى له النسائي والبزاز .

على خلاف في ذلك ، وتقول : قاموا خلا زيداً . وإن شئت خفضتَ ، وإلا في نحو قول لبيد : **(ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ)** ([1])

وذلك لأنّ (ما) في هذه مصدرية ، فدخولها يعين الفعلية ، وموضع ما خلا نصب ، فقال السيرافي على الحال كما يقع المصدر الصريح في نحو : أرسلها العراك . وقيل على الظرفية لنيابتها وصلتها عن الوقت ، فمعنى : قاموا ماخلا زيداً ، على الأول : قاموا خالين عن زيد . وعلى الثاني : قاموا وقت خلُوِّهم عن زيد . وهذه الخلاف المذكور في محلّها خافضة وناصبة ثابت في حاشا وعدا . وقال ابن خروف : على الاستثناء كانتصاب (غير) في : قاموا غيرَ زيد . **وزعم** الجرمي ، والرّبعي والكسائي والفارسي وابن جني : أنه قد يجوز الجر على تقدير (ما) الزائدة . **فإن قالوا ذلك بالقياس ففاسد** ، لأنّ (ما) لا تزاد قبل الجار والمجرور ، بل بعده نحو : (عَمَّا قَلِيْلٍ)([2]) (فَبِمَا رَحْمَةٍ)([3]). **وإن قالوا بالسماع ، فهو من الشُّذوذ** بحيثُ لا يُقاس عليه "([4])

٤ – مع الفَرَّاء ، والكِسائيّ ، وثعلب . في رافع المضارع :

قال ابن هشام : " أجمع النحويون على أنّ الفعل المضارع إذا تجرّد من الناصب والجازم كان مرفوعاً كقولك : يقومُ زيدٌ . وإنما اختلفوا في تحقيق الرافع له ماهو ؟

فقال الفراء وأصحابه : رافعه نفس تجرّده من الناصب والجازم . وقال الكسائي : حروف المضارعة . وقال ثعلب : مضارعته للاسم ، وقال البصريون : حلوله محل الاسم . قالوا : امتنع رفعه لأنّ الاسم لا يقع بعدها فليس حينئذٍ حلاً محل الاسم . وأصح الأقوال الأول ، وهو الذي يجري على ألسن المعربين ، يقولون : مرفوع لتجرّده من الناصب والجازم " .

ولا يكتفي ابن هشام بهذا العرض ، بل نراه يتصدّى للآراء التي لم تصادف قبولاً في نفسه ، محاولاً إبطالها .

قال : " **ويفسد قول الكسائي** : إنّ جزء الشيء لا يعمل فيه . **وقول ثعلب** : إنّ المضارعة إنما اقتضت إعرابه من حيث الجملة ، ثمّ يحتاج كل نوع من أنواع الإعراب إلى عامل يقتضيه ، ثم يلزم على المذهبين أن يكون المضارع مرفوعاً دائماً ، ولا قائل به . **ويرُدُّ قول البصريين** ارتفاعه في نحو : هلا يقومُ ، لأنّ الاسم لا يقع بعد حروف التحضيض "([5])

---

[1] - لبيد ابن أبي ربيعة شاعر مخضرم وصحابي ، من أحاب المعلقات .وتمام البيت (وكل نعيم لا محالة زائل) .

[2] - المؤمنون٤٠

[3] - آل عمران١٥٩

[4] - المغني ج١/ص١١٨ – ت -محمد محي الدين

[5] - قطر الندى – ص ٧٨-٧٩

٥ – مع الزَّجَّاجِيّ صاحب الجُمَل، في جزم المضارع بعد الأمر .

ذكر ابن هشام : جزم الفعل المضارع بالطلب ،قال : " ... وذلك أنه إذا تقدم لنا لفظ دال على أمر أونهي ، أواستفهام ، أو غير ذلك ...، وجاء بعده فعل مضارع مجرّد من الفاء وقُصد به الجزاء، فإنه يكون مجزوماً بذلك الطلب لما فيه من معنى الشرط ... تقول : ائتني أُكرمْك ، وهل تأتيني أُحدّثْك ، ولا تكفرْ تدخلِ الجنة . ولو كان المتقدم نفياً أ خبراً مثبتاً لم يُجزم الفعل بعده فالأول نحو : ما تأتينا تحدّثُنا . برفع تُحدِّثُنا وجوباً ولا يجوز لك جزمه . **وقد غلط في ذلك صاحب الجمل**".([1])

٦ – مع ابن كَيْسان، في المفعول معه .

قال ابن هشام : يترجح المفعول معه على العطف ، وذلك في نحو : كنْ أنت ويداً كاأخ . وذلك لأنك لو عطفت زيداً على الضمير في (كن) لزم أن يكون زيد ً مأموراً ، وأنت لا تريد أن تأمره ، وإنما تريد أن تأمر مخاطبك بأن يكون معه كالأخ . قال الشاعر :

فكونوا أنتمُ وبني أبيكم مكان الكُلْيتينِ من الطّحال

وقد أستفيد من تمثيلي : فكن أنت وزيداً كالأخ . أنّ ما بعد المفعول معه يكون على حسب ما قبله فقط ، لا عل حسبهما ، وإلا لقلت كالأخوَيْن . **وهذا هو الصحيح ، وممن نصّ عليه ابن كيسان، والسماع والقياس يقتضيانه** "([2])

ب – من مواقف الموافقة والتأييد

لابن جنّي وأستاذه أبي علي الفارسي مدرستهما النحوية التي تؤمن بالقياس وتقدس المنطق ". وقد عرفنا أنّ ابن هشام كان نسيج وحده ، مستقلاً في معالجة مسائله، يضع الحق نصب عينيه في نقده ، بصرف النظر عن الشخصيات . غير أن ابن خلدون ينوّه في مقدّمته بكونه " ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني ، واتبعوا مصطلح تعليمه " ([3])

فما واقع ذلك ؟

يزعم صاحب المدرسة النحوية : عدم صواب هذا القول ، ويرى : " أن ابن هشام لم يكن (قط) تلميذاً في مدرسة ابن جني ..." (٤)

---

[1] - قطر الندى – ص ١٠٩- ١١١

[2] - نفسه – ص٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧

[3] - مقدمة ابن خلدون – ص ٥٤٧ - مطبعة مصطفى محمد .

[4] - المرسة النحوية ص ٤٠٠

وعندي أنّ قوله وقول ابن خلدون لم يجانبهما صواب . فما كان استخدام ابن هشام للقياس في مسائله بالطريقة التي سبقه بها ابن جني ، ولا في مخاطبته عقول الدارسين بالغوص في مصطلحات تشكل عليهم، وتبسيطها ونفي الزلل عنها – ما كان ذلك لينفي أبداً عن ابن هشام تفرّده بطريقة تضارع طريقة ابن جني في نفس الإطار: القياس والمنطق ومصطلح التعليم ، وهو ما نلاحظه من أسلوب الحوار والجدل الذي يسخدمه نحو إكثاره من : إذا قلت كذا قلتُ كذا ، وتقسيمه الإجابات على وجوه ونقاط مفصّلة . وتلك طريقة ابن جني .

فابن جني وابن هشام قد هدفا في المقام الأول إلى إقناع العقول بالمسائل والقواعد النحوية التي يعرضانها ، واستخدما لهذه الغاية أسلوب المنطق والتعليل نفسه . والتعليل يعتبر من أقوى أدوات المنطق في الإقناع ، لإنّ النفس تميل إلى معرفة علل الأشياء ، وإذا عُرف السبب بطل العجب . فلأن يقال للمرء –مثلاً– : هذا الاسم مرفوع لأنه بدأ به الكلام وحاجة أول الكلام إلى الوضوح يقتضي الضم ، فهو أقوى الأصوات لتحقيق هذه الغاية ، ذلك أفضل وأجدى من أن يقال له : هذا الاسم مرفوع فحسب ، لأن العرب هكذا به نطقت . فالنحاة الأوائل ألْفوا حركات الإعراب في كلام العرب بلا تعليل ، فلجأوا إلي صناعة العلل لها بما يتفق وعقول البشر ، فإذا شابه ابنُ هشام ابنَ جني في هذا المضمار فليس يعني ذلك أنه مقلده وسائر على مدرسته ، بقدر ما يعني أنه سار على درب عام سبق إليه ابن جني ، ولكل شخصيته وأسلوبه فيه . وهو –بالتالي– وإن لم يكن تلميذاً مباشراً لابن جني فهو تلميذه غير المباشر بسلوكه مسلكاً متميّزاً على نفس الوتيرة الثابتة في النحو. المواقف هي :

١ – مع ابن جني

في نصب المضارع في جواب الأمر اسماً بلفظ الفعل.

ذكر ابن هشام : أنّ الفعل المضارع ينتصب بأن مضمرة بعد الفاء وجوباً إذا كانت للسببية ومسبوقة بنفي أوطلب ...

الأمر : " ... وشرطه أمران : أحدهما : أن يكون بصيغة الطلب ، فلو قلت : حسبك حديث فينام الناس بالنصب لم يجُز خلافاً للكسائي . والثاني : ألا يكون بلفظ اسم الفعل ، فلا يجوز أن يقول : صه فنكرمك . بالنصب ،، هذا قول الجمهور ، وخالفهم الكسائي فأجاز النصب مطلقاً .

وفصّل ابن جني وابن عصفور فأجازاه إذا كان اسم الفعل من لفظ الفعل ، نحو : نَزالِ فنُحدّثَك . ومنعاه : إذا لم يكن من لفظه نحو : صهْ فنكرمك . **وما أحرى هذا القول أن يكون صواباً** " ([1]).

[1] - ش الشّذور – ص٣٠٥ – ت/ محمد محي الدين

٢- مع الزمخشري في أنّ المفتوحة والمشدّدة

قال ابن هشام : " أنّ المفتوحة المشدّدة النون على وجهين . أحدهما : أن تكون حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر . والأصح أنها فرع عن إنّ المكسورة ، ومن هنا صحّ للزمخشري أن يدّعي أنّ (أنّما) بالفتح تفيد الحصر كإنّما ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : (قُلْ إنَّما يُوحَى إليَ أنَّما إلَهُكمْ إلهٌ واحِدٌ)([1]) . فالأولى لقصر الصفة على الموصوف ، والثانية بالعكس . وقول أبي حيّان : هذا سيء انفرد به ، ولا يُعرف القول بذلك إلا في إنما المكسورة . مردود بما ذكرت . وقوله : أنّ دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يُوحَ إليه غيرُ التوحيد مردود أيضاً بأنه حصر مقيد إذا الخطاب مع المشركين . فالمعنى : ما أوحي إليّ في أمر الربوبية إلا التوحيد لا إلا الشرك . ويسمى ذلك قصر قلب ، لقلب اعتقاد المخاطب ، وإلا فما الذي يقول هو في نحو (وما مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ)([2]) فإنّ (ما) للنفي ، و(إلا) للحصر قطعاً ، وليست صفته – عليه الصلاة والسلام – منحصرة في الرسالة ، لكن لما استعظموا موته جُعلوا كأنهم أثبتوا له البقاء الدائم ، فجاء الحصر باعتبار ذلك ، ويسمى قصر إفراد " ([3])

٣- معه أيضاً في أنْ الزائدة .

قال ابن هشام في المغني : لا معنى ل(أنْ) الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد . قال أبو حيان : وزعم الزمخشري أنه ينجر مع التوكيد معنىً آخر . فقال في قوله تعالى :(ولَمّا أنْ جَاءَتْ رُسُلُنا لُوْطاً سِيءَ بِهِمْ)([4]). دخلت (أنْ) في هذه القصة ولم تدخل في قصة إبراهيم في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إبْرَاهِيْمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً)([5]). تنبيهاً وتأكيداً على أنّ الإساءة كانت تعقب المجيء ، فهي مؤكدة في قصة لوط للاتصال واللزوم ، ولا كذلك في قصة إبراهيم ، إذ ليس الجواب فيها كالأول ، وهذا الذي ذكره لا يعرفه كبراء النحويين .

وقال ابن هشام : " والذي رأيته في كلام الزمخشري في تفسير سورة العنكبوت ما نصّه : أنْ صلة أكدت وجود الفعلين مرتّباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل : لما أحسّ بمجيئهم فاجأته المساءة من غير رَيْث ، وليس في كلامه تعرّض للفرق بين القصّتين كما نقل عنه ، ولا كلامه مخالف لكلام النحويين لاجماعهم على

---

[1] ـ الكهف : ١١٠

[2] – آل عمران : ١٠٨

[3] ـ المغني – ج ١/ص٣٨ – ت /محمد محي الدين

[4] – العنكبوت : ٣٣

[5] العنكبوت :٣١

أنْ الزائدة يُؤكد بها ما جيء به لتوكيده . ثم أنّ قصة الخليل التي فيها (قالوا سلاماً) ليست في السورة التي فيها (سيء بهم) بل في سورة هود ، وليس فيها (لمّا) . ثم كيف يُتخيّل أنّ التحية تقع ببطء ، وإنما يحسن اعتقادنا تأخر الجواب في سورة العنكبوت ، إذ الجواب فيها : (قالوا إنّا مُهْلِكُو أَهْلَ هَذهِ الْقَرْيةِ) ثمّ أنّ التعبير بالإساءة لحن لأن الفعل ثلاثي كما نطق به التنزيل ، والصواب (المساءة) وهي عبارة الزمخشري "([1])

وفي هذا الدفاع الحار عن الزمخشري تأييد قوي وموافقة تجلى فيها عمق استيعابه وقوة منطقه وحُسن بيانه .

٣- مع ابن مالك

في معاني قد الحرفية .

قال ابن هشام : " من معاني (قدْ) الحرفية : التوقّع ، وذلك مع المضارع واضح كقولك : قد يقدم الغائب اليوم . إذا كنت تتوقع قدومه ، وأما الماضي فأثبته الكثيرون ، قال الخليل : يقال : قد فعل القوم ينتظرون الخبر ، ومنه قول المؤذن : قدْ قامتِ الصلاةُ . لأنّ الجماعة منتظرون لذلك ...

وقال بعضهم : تقول : قد ركب الأمير . لمن ينتظر ركوبه ، وفي التنزيل (قَدْسَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتي تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا) ([2]) ، لأنه كانت تتوقّع إجابة اللهُ سبحانه تعالى لدعائها ...

وأنكر بعضهم كونها للتوقّع مع الماضي ، وقال التوقّع انتظار الوقوع ، والماضي قد وقع ، وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك أنها تدل على أن الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقَّعاً ، لا أنه الآن متوقع ... ثم قال : **وعبارة ابن مالك في ذلك حسنة ، فإنه قال : إنها تدخل على ماض متوقّع ، ولم يقل : أنها تفيد التوقّع ، ولم يتعرض للتوقّع في الداخلة على المضارع ألبتة .وهذا هو الحقّ .** ([3])

ومعه في أم :

قال ابن هشام : " أم ةالمتصلة تقع بين المفردين وبين الجملتين ، والمنقطعة لا تقع إلا بين الجملتين . فأما قولهم : إنها لأبل لا شاء ، فمحمول على عند النحويين على إضمار مبتدأ ... وقد خرق ابن مالك إجماعهم في ذلك فادّعى أنّ المنقطعة قد تعطف المفرد محتجّاً بما رواه من قول بعضهم : إنّ

---

[1] - المغني ج١ص٣٣ – ت/ محمد محي الدين

[2] - المجادلة – (١)

[3] - نفسه ١٨٤/١-١٤٩

هناك لأبلاً أم شاء بالنصب . ومحمل هذا الباب عند الجماعة أن ثبت على إضمار فعل أي : أم أرى شاء ، لا على العطف على اسم إنّ ... ولقوله – رحمه الله– وجهٌ من النظر ، وهو أنّ المنقطعة بمعنى : بل ، وهي تعطف المفردات ، بل لا تعطف إلا المفردات . فإذا لم يجب ل(أم) هذه أن تعطف المفردات ، فلا أقلّ من أن يجوز"([1]) .

ج– من مواقف النقد والمعارضة والمناقشة

١ – مع ابن جنّي في (لام الجواب)

قال ابن هشام : " لام الجواب ، وهي ثلاثة أقسام : لام جواب لو – نحو : (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا)([2])

(لَوْ كانَ فيْهِمَا آلِهَةٌ لَفَسَدَتَا)([3]) ولام جواب لولا– نحو : (ولَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ)([4]) . ولام جواب القسم _ نحو : (تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا)([5]) (وَتاللهِ لَأَكِيْدَنَ! أصنَامَكُمْ)([6]) . وزعم أبو الفتح(ابن جني) : أنّ اللام بعد لو ، ولولا ، جواب قسم مقدّر . وفيه تعَسُّف ، نَعَمْ الأَوْلى في (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاْتَّقُوا لَمَثُوْبَةٌمنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ)([7]): أنّ اللام لام جواب قسم مقدّر ، بدليل كون الجملة اسمية . أمّا القول بأنها لام جواب لو ، أنّ الاسمية استعيرت مكان الفعلية كما في قوله :

وقدْ جُعِلَتْ قَلُوصُ بني سُهَيْلٍ من الأكوار مرتعُها قريبُ .([8])

ففيه تَعَسُف . وهذا الموضع مما يدلّ عندي على ضعف قول أبي الفتح ، إذ لو كانت اللام بعد لو أبداً في جواب قسم مُقدّر لكثُر مجيء الجواب بعد لو جملة اسمية . نحو : لوجاءني لأنا أكرمُه "([9]).

---

[1] - الأشباه والنظائر – السيوطي ج ٤ص/٨

[2] - الفتح : ٢٥

[3] الأنبياء : ٢٢.

[4] البقرة : ٢٥١

[5] يوسف : ٩١

[6] الأنبياء : ٥٧

[7] البقرة : ١٠٣

[8] - من أبيات الحماسة – شرح شواهد المغني –ص٢٠٦

[9] - المغني – ج١ص/١٩٣ ت/ محمد محي الدين .

٢ – مع الزمخشري، يصفه بالوهم في (أن)

عند ذكر الآية الكريمة (ماقُلتُ لهُمْ إلا ما أَمَرْتَني بهِ أنِ عْبُدُوا)([1]) قال ابن هشام : " ولا يجوز في الآية أن تكون أنْ مفسِّرة لـ (أمرْتَني) لأنه لايصح أن يكون " اعبدوا الله ربي وربكم " مقولاً لله تعالى ، فلا يصح أن يكون تفسيره لأمره ، لأنّ المفسّر عين تفسيره ، ولا أن تكون مصدرية ، وهي وصلتها عطف بيان على الهاء في به ، لأنّ عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات ، فكما أنّ الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عليه عطف بيان ... ثم قال : ووهم الزمخشري وأجاز ذلك ذهولاً عن هذه النكتة . وممن نصّ عليها من المتأخرين مُحمّد بن السِّيْد وابن مالك ، والقياس معهما في ذلك "([2])

٣–ومعه في ذكرمخالفته في المفعول به.

قال ابن هشام :" ... بدأت من المفاعيل بالمفعول به كما فعل الفارسي وجماعة منهم صاحبا (المقرِّب(و(التسهيل) ، لا بالمفعول المطلق كما فعل الزمخشري وابن الحاجب ... ووجه ما اخترناه أنّ المفعول به أحوج إلى الإعراب ؛ لأنه الذي يقع بينه وبين الفاعل الالتباس "([3])

٤ – مع ابن الحاجب يصفه بالتّعَسُّف في (أنْ) الشرطية .

قال ابن هشام : " وقد ذكر لـ (أنْ) معان أربعة . أحدها : الشرطيّة كإنْ المكسورة ، وإليه ذهب الكوفيّون ويرجحه عندي أمور .

أحدها : توارد المفتوحة والمكسورة على المحل الواحد ، والأصل التوافق ، فقُرِئ بالوجهين قوله تعالى : (أنْ تَضِل إحْدَاهما)([4]) ،(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنْآنُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُم)([5])

(أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَصَفْحاً أنْ كُنْتُمْقَوْماً مُسْرِفِينَ)([6]) ،

الثاني : مجيء الفاء بعدها كثير ، كقوله :

أبا خراشنة أمّا أنت ذا نفرٍ فإنّ قومي لم تأكلْهمُ الضَّبُعُ .

الثالث : عطفها على إنْ المكسورة .في قوله :

---

[1] المائدة : ١١٧

[2] - المغني – ج ١/ص٣٢

[3] - ش الشذور السابق –ص٢١٣

[4] - البقرة : ٢٨٢

[5] - المائدة : ٢

[6] - الزخرف : ٥

إمّا أقمتَ وأمّا أنت مُرتحلاً فالله يكلأ ما تأتي وما تذرُ

والرواية بكسر إنّ الأوْلَى ، وفتح الثانية . فلو كانت المفتوحة المصدرية لزم عطف المفرد على الجملة ... وتَعَسَّف ابن الحاجب في توجيه ذلك فقال : لما كان معنى قولك : إنْ جئتني أكرمْك ، وقولك : أكرمُك لإتيانك إياي واحداً ، صحّ عطف التعليل على الشرط في البيت . ولذلك تقول : إن جئتني وأحسنت إليّ أكرمْك . ثم تقول : إن جئتني ولإحسانك إليّ أكرمْتُك ، فتجعل الجواب لهما" أ . وما أظنُّ العرب فاهت بذلك يوماً "([1])

٥- ويتهم بعض أقواله النحوية بالخروج عن كلام العرب

قال : " إنّ الحق قول الأعلم وابن مالك : إنّ الرحمن ليست بصفة بل علم ، وأما قول الزمخشري : إذا قلت : الله رحمن أتصرفه أم لا ؟ وقول ابن الحاجب : إنه اختلف في صرفه فخارج عن كلام العرب من وجهين : لأنه لم يستعمل صفة ولا مجرداً من ال" ... ثم يقول ابن هشام : " ومما يوضح لك أنه غير صفة مجيئه كثيراً غير تابع نحو: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ)([2]) (قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِادْعُوا الرَّحْمَنَ)([3]) (وإذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَحْمَنِ قالوا وَماالرَّحْمَنُ)([4]) " [5]

٦- مع ابن مالك. في إلا:

قال ابن هشام : " ليس من أقسام إلا التي في نحو: (إلا تَنْصُروهُ فقَدْ نَصَرَهُ اللهُ)([6]) وإنما هذه كلمتان إنْ الشرطية ، ولا النافية . ومن العجيب أنّ ابن مالك على إمامته ذكرها في (التسهيل) من أقام إلا..."([7])

٧- ومعه في بل :

قال ابن هشام : " بل حرف إضراب ، فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال نحو : (وقالُوا اتّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بلْ عِبَادٌ مُكْرَمُون)([8]) ،أي بل عباد . وإما الانتقال من غرض إلى آخر ... ووهم ابن مالك إذ زعم في شرح كافيته أنها لا تقع في التنزيل إلا على هذا الوجه ، ومثاله : (قَدْ أفْلَحَ منْ تَزَكّى وذكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى بَلْ تُؤْثُرُونَ الحَياةَ الدُّنْيا)([9]).ونحو: (وَلَدَيْنا كِتَابٌ يَنْطِقُ

---

[1] - المغني ج١/ض٣٤ – ت/ محمد محي الدين

[2] - الرحمن :-١-٢

[3] – الاسراء :١١٠

[4] - الفرقان :٦٠

[5] -المغني – ج- ١ص/١٤٨-١٤٩ – ت / محمد محي الدين

[6] - التوبة : ٤٠

[7] -المغني - نفسه – ج١ص/٦٩

[8] - الأنبياء : ٢٦

[9] – الأعلى :١٤،١٥،١٦

بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ)([1]). .. وهي في ذلك كله حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح "([2]) .

٧ ـ ومعه في لام التبيين :

بعد أن قسم لام التبيين إلى ثلاثة أقسام ، قال ابن هشام : " ... وقال ابن مالك في شرح باب النعت من كتاب التسهيل : اللام في – سُقْياً لك – متعلقة بالمصدر وهي للتبيين ، وفي هذا تهافت،لأنهم إذا أطلقوا القول بأن اللام للتبيين فإنما يريدون بها أنها متعلقة بمحذوف استؤنف للتبيين " ([3]).

٨– وناقشه في مدلول الضرورة في(التُّرْضِي)

فقال في دخول (ال) على الفعل في قول الفرزدق ما نصّه : " ... فإن قلت فكيف دخلت على الفعل في قول الفرزدق :

ما أنتَ بالحَكَمِ التِرْضَى حُكُومتُهُ ولا الأصِيلُ ولا ذي الرَّأي والجَّدَلِ ([4])

" قلت : ذلك ضرورة قبيحة حتى قال الجرجاني ما معناه : إنّ استعمال مثل هذا في النثر خطأ بإجماع أي أنه لا يقاس عليه "([5])

ويعلق الشيخ عبادة في قوله بما نصه : " خالف في ذلك ابن مالك قال في شرح التسهيل : وعندي أن هذا غير مخصوص بالشعر لتمكن القائل أن يقول : ما أنت بالحكم المُرضي حكومته"([6])

٣–مع المعاصرين– أبوحيان، والجدل العلمي:

لعل اتجاه ابن هشام في مواقفه مع أبي حيان من بين المعاصرين له، هو الاتجاه الوحيد الذي بالغ في وصفه بعض الدارسين بأنه اتسم بموقف التجني، مع أنه لم يختلف عن مواقفه التي ذكرناها مع النحاة السابقين.وأنه تحلى بالأسلوب العلمي الباهر الذي يخاطب العقل العالم والمنطق. وقد

---

[1] – المؤمنون : ٦٢

[2] ـ المغني نفسه- ج ١ص١٠٣

[3] ـ نفسه – ج١ص١٨٥

[4] **ـ وفي اللهجة السودانية تلحق هذه اللام بالاسم متقدماً على الفعل ، نحو : (الحكومته ترضى)**

[5] ـ ش الشذور- ص-١٦ ـ ١٧ .

[6] ـ حاشية عبادة على شرح الشُّذور ج١ص/٢٨ – المطبعة الميمنية

عاصر ابن هشام عدداً من النحاة العلماء الذين أسهموا في الحركة النحوية طوال القرن الثامن الهجري، ولم يقع له موقف مع أي منهم إلا مع ابي حيان. ومن هؤلاء المعاصرين :

١- **مُحمَّدُ** بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ عليّ بنِ أبي الحسَنِ الزُّمُرُّديُّ ، الشيخ شمسُ الدِّين **ابنُ الصَّائغِ** ، الحنفيُّ النّحوي : الذي أخذ – مثل ابن هشام – عن الشِّهاب بن المُرَحّل ، وجلس إلى أبي حيان . وله في النحو: شرح لألفية ابن مالك وُصف بأنه في غاية الحُسن والجمع والاختصار ، وله كتاب (التذكرة) عدّة مجلدات في النحو([1]) .

٢- **مُحمّدُ** بْنُ أحْمَدَ بنِ عبْدِ الهَادي بنِ عَبدِ الْحَميدِ بن عبدِ الهادي بنِ يُوسُفَ **ابن قُدَامةَ** المقدَسِيُّ الحَنْبَلِيُّ، شمسَ الدِّين . مهر في العربية وغيرها . وقال الصَّفْدي : لو عاش لكان إماماً . صنّف شرحاً على التسهيل في مجلدين ، وله مناقشات مع أبي حيّان في اعتراضاته على ابن مالك ([2]).

٣- **مُحمّدُ** بْنُ عبْدِ الْبَرِّ بنِ يحْيى بن عليّ بن تمّامٍ بهاءُ الدّين **أبو البَقَاءِ** السَّبْكِيُّ، الفقيه الشافعيُّ النَّحويّ المُتفنّن . مولده سنة مولد ابن هشام ٧٠٨هـ وكانت له قدرة في اللغة والنحو ، ولازم أبا حيان وكان الشيخ جمال الدّين الإسنويُّ يقدّمه ويفضله على أهل عصره ([3]).

٤- **عبد الله** بن عبد الرحمن بهاء الدّين **بن عقيل** : صاحب الشرح المشهور لألفية ابن مالك ، المعروف بشرح ابن عقيل . " نحوي الديار المصرية ، اتقن القراءات والعربية ، ولازم أبا حيان وله في النحو انتاج ، فقد ألف كتابه المساعد في شرح التسهيل ، وله شرح الألفية . قال عنه أبو حيان : ماتحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"([4]) .

٥- **أبوحيّان**.([5]) – أثير الدين – وهو شيخ هؤلاء جميعاً . ولعلّ معاصرة ابن هشام له معاصرة بين جيلين ، إذ لم يكن ابن هشام قد وُلد عندما سطع نجم أبي حيان في مطلع القرن الثامن سنة ٧٠٠هـ ، بل كان أبو حيان في الوقت الذي درج فيه ابن هشام في التتلمذ قد أكمل تطوافه بالآفاق واستقر يضع المصنفات ويؤمُّه الطلاب منذ ٧١٥ هـ وهو في الستينات من عمره .

---

[1] - البغية – ج١ص١٥٥ـــترجمة ٢٦٠
[2] - البغية – ج ١/ص٢٩ ترجمة ٤٨
[3] - البغية نفسه – ج١/ص١٥٢ – ترجمة ٢٥٤
[4] - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – السخاوي .-ج١/ص٤٠٢ – و انظر البغية - ترجمة ١٣٩٧ - ج٢/ص٤٧-٤٨
[5] – البغية ج-١ص/٢٨٠-٢٨٥ـــترجمة ٥١٦-

وغير هؤلاء من المعاصرين لابن هشام لم تهتم بذكرهم المصادر، و –كما أسلفت– لم يرد لأيٍّ منهم ذكر في ملاحقات ابن هشام ومجادلاته النحوية للنحاة بأيٍّ من كتبه وبحوثه النحويه سوى أبي حيان من بينهم ، وقد وُصف موقفه منه بالإنحراف عنه [1]، كما سبق أن وُصف موقف أبي حيان من ابن مالك بالإنحراف أيضاً .

ويرى البعض([2]) أنّ عدم ذكر مواقف لابن هشام مع هؤلاء المعاصرين له، راجع إلى اشتغال ابن هشام عنهم بالمشاهير الكبار، علّه ينال بهم الشهرة والسمو . ومن هنا كان أبو حيان هو كبش فدائه من بين أشهر معاصريه الكبار ، حيث تركزت مناقشاته عليه خاصة فيما اعترض به أبو حيان على ابن مالك .

ويهمّنا هنا أبيّن أنّ ما صوّره بعض الدارسين من دفاع شرس لابن هشام عن ابن مالك ومناصرته ضد أبي حيان يناقض تماماً ما عرفناه من نزاهة ابن هشام وحدَبه للحق والتزامه بالدليل أينما كان . وإذا كانت ثمة شبهة قد تركزت في تخصيصه المدافعة والنقد بأبي حيان من بين المعاصرين وبابن مالك في السابقين ، فما ذلك إلا لأنّ هذين الرجلين –ابن مالك وأبوحيان– هما فارسا الحلبة العلمية ، وليس أمام ابن هشام وحوله حينئذٍ ما يستحق المناقشة والمناظرة سوى مصنفاتهما وآرائها الطريفة التى ملأت الساحة. لما في ذلك من مناقب الشهرة باشتهارها ، ولما حوت من أصالة وطرافة.

هذا فضلاً عن أننا لا نكاد نشتمُّ في ردود ابن هشام ومدافعاته لأبي حيان في ابن مالك أنى تحامل أو تجاوز عن الحق والعدالة والصواب . إن كان الأمر برمته في النهاية لا يخلو من نحو قول الجاحظ : " ومن نشد العيب وجده "([3])

وللتدليل على هذا اكتفي فيما يلي بالنموذجين التاليين من تلك المناقشات: حيث يلاحظ المتتبع ما أسلفت في عنوان هذا الفصل اتجاه ابن هشام صوب المنطق العلمي في مجادلة حجة العالم بحجة عالم مثله، وتلك وسيلة من وسائل فكره النحوي واتجاه من اتجاهات تطوره.

---

[1] -- راجع – في الفصل الأول من هذا البحث -تحت آراء حول أخلاق ابن هشام

[2] - المدرسة النحوية – ص ٤١٢

[3] - البخلاء – الجاحظ – ص ٧١ – مكتبة النهضة بغداد

١ – في (حسْب)

ذكر صاحب التصريح والتوضيح :

أنّ كلام ابن مالك في قوله في النظم :

قبل كغير بعد حسب أوَلّ ودون والجهات أيضاً وعلُ

وأعربوا نصباً إذا ما نُكّرا قبلاً وما من بعده قد ذُكرا .

اقتضى أنّ (حسب) تعرب نصباً إذا نُكّرت كقبل وبعد .

وقال أبو حيان مبطلاً هذا الرأي : " ولا وجه لنصبها لأنها غير ظرف إلا أنه نُقل عنهم نصبها حالاً إذا كانت نكرة " .

فجاء ردّ ابن هشام مصحّحاً : بأنّ أبا حيان إن أراد بكونها نكرة قطعها عن الإضافة لفظاً اقتضى أن استعمالها منصوبة شائع في كلامهم ، واقتضى أنها كانت مع الإضافة معرفة بالإضافة . وهذان الاقتضاءان كلاهما ممنوع :

أما الأول : فلأنها إذا قُطعت عن الإضافة وجب بناؤها على الضم .

وأما الثاني : فلأنها نكرة دائماً أضيفت أم لم تضف .

وإن أراد أبو حيان تنكيرها مع الإضافة فلاوجه لاشتراط التنكيرحينئذٍ لأنها لم ترد في كلامهم إلا نكرة ، لأنّ إضافتها لا تفيد التعريف إنما هي في تقدير الانفصال .

وأيضاً لا وجه لتوقّف أبي حيان في تجويز انتصابها على الحال حينئذٍ فإنّ نصبها على الحال مشهور في غالب الكتب ، حتى أنه مذكور في كتاب الصحاح للجوهري مع كثرة تداول الأيدي قديماً وحديثاً " .([1])

٢ – في الضمير (نا)

جاء في التصريح :

قال ابو حيان ردّاً على ابن مالك في قوله نظماً :

(للرفع والنصب وجرّنا صلُح)

" لا يختصّ ذلك بكلمة – نا– بل الياء وكلمة (هم) كذلك لأنك تقول في الياء في الرفع : قومي ، وفي النصب :أكرمني ، وفي الجر : غلامي . وقول في هم في الرفع : هم فعلوا ، وفي النصب : إنهم ، وفي الجر : لهم مال " .

قال ابن هشام : " وهذا غير سديد لأنّ ياء المخاطبة غير ياء المتكلم ، لأنّ الضمير المنفصل غير المتصلّ ضرورة .

[1] - التصريح والتوضيح – الشخ خالد – ج ٢ص٥٣ – مطبعة الحلبي

ويشرح التصريح قوله : بأنّ ياء المخاطبة مختلف في اسميتها ، وياء المتكلم لم يُختلف فيها ، والمختَلف فيه غير المتفق عليه ، وهذا دليل .

والدليل الثاني : أنّ ياء المخاطبة موضوعة للمؤنث ، وياء المتكلم موضوعة للمذكر، وما للمؤنث غير ما للمذكر . .. ثم قال : فانتفى الإيراد ، وثبت المراد "([1]) .

هذا ، وكما هو واضح من هذه المناقشات منطقية ابن هشام التي نوّه بها ابن خلدون في الجدل والإقناع واستخدام الحجج والأدلة القوية بلا تحامل ، حتى يبين العوار ويظهر الضعف ، وينبلج الحق والصواب في براعة لغوية وقوة نحوية وذكاء حاد .

أخلص مما تقدم إلى أنه وفقاً لما استعرضتُ من الأدلة والأصول التي ارتكز عليها ابن هشام في قواعده النحوية ، ووفقاً لاتجاهاته ومواقفه من النحاة ومذاهبهم فإنّ **مذهب ابن هشام** النحوي يتلخّص في كونه مدرسة قائمة بذاتها ، لا بصرية خالصة ، لا كوفية محضة . وهو بين مذاهب الاختلاط (البغدادية والشامية والمصرية والأندلسية) ذو مذهب فريدٍ حرٍّ ، حدوده تحرّى الصواب واعتماد الدليل أينما وجده ، مواكباً ما تطوّر وابتُكر من فكر ابن مالك والزمخشري ، وما صحَّ وتأصَّل من المذاهب التقليدية المتعارف عليها

[1] - المصدر نفسه – ج ١ص/٩٩

الفصل السابع

مظاهر التطور في الفكر النحوي عند ابن هشام

المبحث الأول : مع القرآن ونماذج من مظاهر التعدي

المبحث الثاني : مع الحديث ونماذج من مظاهر التعدي

المبحث الثالث : الشعر ونماذج من مظاهر التعدي

المبحث الرابع : ابن هشام ومظاهر التدرج والانتقال

المبحث الأول

مع القرآن والقراءات ومظاهر في التعدي

التجاوز والتعدّي

ظاهرة تجاوز حدود الحظر النحوي إلى الأفضل في النصوص الفصيحة، أو مظاهر التعدي– كما أصطلح لهذا الفصل– هي الظاهرة الواضحة في الفكر النحوي لابن هشام، وذلك لتركيزه الشديد في تحليله النحوي على المستويات الفصيحة الثلاث الأكثر وضوحاً: القرآن والحديث والشعر . ويترجمها ابن هشام في ثلاثة مواقف : تتوزعها المطالب التالية :

- **موقفه مع القرآن الكريم وقراءاته .**
- **وموقفه مع الحديث الشريف .**
- **وفي موقفه مع الشعر العربي .**

وقبل الوقوف معه في المظهر الأول القرآن الكريم، ينبغي أن أشير إلى أن ما سبق أكد لنا أنّ تطوّر الفكر النحوي عند ابن هشام، هو تطوّرٌ إصلاحي أفقي – وفق المفهوم الذي تطرقنا إليه– شأنه في ذلك شأن النحاة السابقين والمعاصرين له .

أضف إلى ذلك : أنّ كل متصفح لمؤلفات ابن هشام وبحوثه النحوية يلاحظ في جلاء ، أنّ ما أشارت إليه كلمة التطور في المعاجم من معاني التعدي والتجاوز والتحوّل والارتقاء ، هي في الحقيقة صفات يمكن تلمّسها من خلال أعماله وجهوده النحوية في تلك المؤلفات والبحوث، وهي ثوابت يمكن أن تمثل دور هذا العالم في هذا المشروع النحوي الإصلاحي الأفقي .

فرغم ما يبدو في هذا من تعميم يجعل من الممكن ربط تلك المفاهيم بكل عمل نحوي آخرسوى ما لابن هشام . وكذلك رغم جواز أن يُحكم على هذا الربط بأنه إجراء تعسفي مفتعل، إلاأنني أجده بين ذلك المفهوم في التطور، وبين العمل النحوي لابن هشام أكثر واقعية وأقوى ارتباطاً، وذلك لاتّسام عمله في مجمله بسمات مفهوم التطور ، من التعدي وتجاوز الحد نحو الأفضل ، ومن التحول من مذهب أو موقف لآخر أفضل وأرجح، ومن الارتقاء أو الترقي في السمو والتفرد ، ونحو من ذلك من صفات التطور، في صوروأشكال ارتبطت بجهود ابن هشام وأعماله النحوية، بحيث لم تتأكد له عبقرية ما إلا من خلالها .

وفيما يخص موقف ابن هشام بفكره النحوي مع القرآن الكريم وقراءاته، فنستطيع أن نقف على ما يمكن أن نصفة بالتعدي ومجاوزة الحظر والتحفظات التي أبداها النحاة على شواهد النحو ، وذلك من خلال ملاحظة ميل ابن هشام القوي إلى التوسع في استشهاداته النحوية من القرآن الكريم بصفة عامة ، مع إقدامه على تخريجات في القراءات الثابتة المروية ، يستشهد بها ويقرّها قواعد نحوية ،

مع ما في ذلك من تعدٍّ لحدود وضعها النحاة ، تمثّلت في عدم إجازتهم الاستشهاد بالقراءات التي عدّها بعضٌ منهم شاذة أوضعيفة ، أوتلك التي سكتوا عنها لأنها لم توافق أقيستهم التي وضعوها . تجاوز ابن هشام بالاعتداد بهذه القراءات مع البحث لها عن تأويل وتخريج يحفظ لها قدسيتها ، ويقيم قاعدتها . وهو بهذا يأخذ بمذهب ابن مالك والكوفيين من قبله وعادتهم في إقامة القاعدة النحوية عن طريق الأخذ بالمروي القليل لإقامة القاعدة النحوية . بينما لا يعتدّ البصريون بهذا القليل المروي من تلك القراءات في إقامة القاعدة النحوية .

وينطلق ابن هشام في احتراسه بالامتناع عن الأخذ والردّ في القراءات المروية بدافع من شعوره الديني القوي بقدسية القرآن الكريم الذي هو عند المسلمين أفصح ما نطقت به العرب ، لأنه كلام الله ، وأعلاه قدراً وأبعده عن الضعف . فالقراءات بعض القرآن الكريم . فما دامت ثابتة برواية الثقاة ، ومرفوعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو إلى أحد الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– . فلا يجوز الطعن عليها . ولهذا يرى أنّ القرآن لا يخرّج على الشاذّ ، فلابدّ أن نلتمس له توجيهاته السديدة التي يخضع لها القياس النحوي لا العكس .

وعلى هذا الأساس لم يكن ابن هشام يفرّق في عمله بين القراءات وغيرها من آيات القرآن الكريم . وبالتالي فإنّ ما سنعرض له من نماذج جهوده في هذا الإطارلا تفريق فيه بين آية وآية ، إلا بقدر ما نعوّل على أنه (كله) قرآن ثابت بالرواية والنقل والسماع .

أولاً – منهجه في تناول الأحكام النحوية في القرآن

في منهج ابن هشام خاصية هامة فيما يختص بتعامله مع آيات القرآن الكريم . فهو يتناول الأحكام والقواعد النحوية فيها تناول المستقرئ ، الواصف والمقررلهذه الأحكام والقواعد بما يزيل عنها إبهامها ، ويقرّب مفهومها ، وهي خاصية كثيراً ما تكررت عنده في كتبه بعض . وقد ألمع إلى ذلك في مقدماته ، كقوله. يصف أعماله فيها ، في قطر الندى :

: "... رافعة لحجابها ، كاشفة لنقابها، مكمّلة لشواهدها " (١) .

وفي شرح شذورالذهب .قال : " ... قصدت فيه إلى إيضاح العبارة، لا إلى إخفاء الإشارة.."(٢).

وقال في أوضح المسالك :."...وأعقل شوارد أخلى منه – (كتاب الخلاصة)– مسألة من شاهد أو تمثيل."(٣)

كما جاء في مغني اللبيب قوله : "... تتبعت من مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها ، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها ."(١).

---

[١] - قطر الندى – ابن هشام ص١٢

[٢] -شرح شذور الذهب – ابن هشام ص١٠

[٣] - أوضح المسالك – ابن هشام ص ٥ – ت - الفاخوري

فهو إذن لا يقدّم جديداً ، ولايضع شيئاً من الأحكام لم يُسبق إليه . وإنما يصف ويوضح مع كل الحرص على إسناد الآراء لأصحابها، ونسبتها إليهم في أمانة . بمثل قوله :

(ولهذا لحّنوا فلان في كذا ... و كذلك زعم فلان ... و هذا مذهب فلان ... و قاله فلان ... و قرأ بعضهم كذا ... و أُجيبَ بأنه كذا . ونحو ذلك .) ثمّ يقرر موقفه بترجيح أو تفصيل ، من موقف الحكَم الفيصل . وقلما يتدخل باستنباط ، وحينما يفعل، فعلى سند قوي تبرز فيه موهبته وتتجلى خلاله عبقريته النحوية . وفيما يخص آيات القراءات يلجأ – بعد الموازنة بين آراء العلماء– إلى انتخاب الرأي الراجح لديه ، وفق رؤيته وتقديره، أو مع تخريجاته الحسنة، على أن لايكون مفضياً إلى فساد، أو جرح في الآية ، منزّهاً لها من ألفاظ الشاذ والنادر، بإضافة هذه الألفاظ ونحوها إلى قائليها . وذلك قبل الفحص والرّد .

ثانياً – نماذج من تحليلاته النحوية للآيات.

عرض ابن هشام في مؤلفاته لنوعين من القراءات :

– قراءات وصفت بالشاذّة ونحوه، أو أُهملت نحوياً وصرفياً لمجافاتها القياس . وهي الكم الأكبر، الذي ينتظم معظم مؤلفاته .

– قراءات يتأثر بها مفهوم الآية وتتعدد فيها وجهات النظر، وتستدعي التأويل والتوجيه والتخريج .

من النوع الأول :

- ماجاء في مسألة نيابة المصدروالظرف والجاروالمجرور بشرط عدم المفعول، من قراءة أبي جعفر (لِيُجْزَى قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُون) ([2]) . (قال– ناسباً الرأي لمجهول– : " أُجيبَ عن البيت بأنه ضرورة، وعن القراءة بأنها شاذة" . ثم معللا ".. ويحتمل أن يكون القائم مقام الفاعل ضميراً(مستتر) عائداً على الغفران المفهوم من قوله تعالى : (قُلْ لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا يَغْفِرُوا)([3]) ..." ([4])

– ما اكتفي فيه بتوضيح إلتباس كما في قراءة قوله تعالى : (خَسِرَ الُّدنْيَا والآخِرَةِ) ([5]) ، بخفض الآخرة، وفي توجيهها قال : " أنّ خَسِرَ ليس فعلاً مبنيّاً على الفتح، بل هو وصف معرب بمنزلة– فَهِم

---

[1] - مغني اللبيب – ابن هشام- ص٦ – ت محمد محي الدين

[2] - الجاثية : ١٤

[3] - الجاثية : ١٤

[4] - قطر الندى السابق ص٢٦٤

[5] الحج :١١

وفَطِن، وهو منصوب على الحال . ونظيره قراءة الأعرج (خَاسِرالدُّنيا والآخِرةِ)، إلا أنّ هذا اسم فاعل فلا يلتبس بالفعل، وذاك صفة مشبهة على وزن الفعل، فيلتبس به "(١).

– ما تفرّد بروايته من أحكام نحوية علق عليها حول قوله تعالى : (هَلْ نُنَبِئُكُمْ بِالأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالاً)(٢) وهي قول بعضهم : إنّ (أعمالاً) مفعول به ، وردّ ابن خروف بأنّ "خسر" لايتعدى، ووافقه الصّفّار. وعلق ابن هشام قائلاً : " وثلاثتهم ساهون، لأنّ اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، لأنَ خسر متعد"(٣)

– ماقام فيه بتحديد حركاتٍ القراءة بها مقبولة ، لأنها لا ضرر منها . كما في " قراءة الخفض بغير تنوين (مِنْ قَبْلِ)، من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلِ ومِنْ بَعْدِ)(٤) . بتقدير: من قبل ذلك، وبالخفض بغير تنوين أيضاً للحموي والعقيلي (مِنْ قبْلِ ومِنْ بعَدِ)، بتقدير، من قبل الغلب. وقراءة السبعة بالبناء على الضم (مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ)... وقراءة بعضهم (مِنْ قبلٍ) بالخفض مع التنوين ."(٥)

– وكقوله : " وقُرِئ قوله تعالى: (وَلا تَمشِ فِيْ الأَرْضِ مَرَحَاً)(٦) ، بفتح الراء وبكسرها "(٧) .

– ومن اجتهاداته في توجيه القراءة، قوله في قراءة (دونَ) بالبناء على الفتح لإبهامها وعند إضافتها إلى مبني ، قال: " ولو جاءت القراءة برفع دون لكان ذلك جائزاً . كما قال الآخر :

ألا ترَيا أنّي حميتُ حقيقتي وباشرتُ حدَّ الموتِ والموتُ دُونُها . " (٨) .

هذا، ومثله من النوع الأول ، في مواضع كثيرة من كتب ابن هشام . كما أنّ القراءة هنا لاضررمنها على المعنى، ولا أثر لها فيه – كما رأيت .

---

١ الشذور – ص١٥
٢- الكهف :١٠٣
٣ - مغني اللبيب- ص ٧٠٦
٤ - الروم :٤
٥ - قطر الندى – السابق ص ٢٧
٦ - لقمان :١٨
٧ - الشذور- ص٦٧
٨ الشذور– ص٥٤ .

من النوع الثاني :

– في تفسير الجلالين – جاء ضبط الآية (١٣٧) من الأنعام، كما يلي :

(وكَذَلِكَ زَيَّن لِكَثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهُمْ شُرَكَاؤهُمْ) (١)

بإضافة المصدر (قتْل) إلى مفعوله (أولادِهُمْ) ، ورفع (شُرَكاؤهُمْ) فاعلاً .

قال ابن هشام :

"... وفي قراءة ببنائه للمفعول، ورفع (قَتْلُ) ونصب الأولاد به، وجر شركائهم بإضافته. وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول – ولا يضر – وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ."(٢)

يعني أن ضبط هذه القراءة التي ذكرت في الجلالين هو : (وكَذَلِكَ زَيَّن لِكَثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) ، وهي قراءة ابن عامر، وفيها قال ابن هشام : –(أي ، في إضافة قتل إلى شركائهم المفصول بأولادهم)–

"... زَعَمَ كثيرٌ من النحويين أنه لا يُفْصَل بين المتضايفين إلا في ا لشعر والحقُّ أن مسائل الفصل سَبْعٌ منها ثلاث جائزة في السَّعَةِ:

– إحداها أن يكون المضاف مَصْدَراً والمضاف إليه فاعلَهُ والفاصل، إما مفعوله كقراءة ابن عامر (قَتْلُ أَوْلاَدَهُم شُرَكَائِهِم... الآية). وقول الشاعر- :

(فَسُقْنَاهُمُ سَوْقَ الْبُغَاثَ الأَجَادِلِ...)(٣)

فابن هشام بهذا يتجاوز حدود البصريين – متقدميهم ومتأخريهم، الذين لا يجيزون الفصل بغير الظرف إلا في ضرورة الشعر. كما أنه قد حدد اختياره ولم يتدخل فيما أوغل فيه أبوحيَّان وغيره حول هذه الآية بالهجوم على الزمخشري، زاعماً أنّ هذا الأخير قد اعتدى على قراءة ابن عامر السبيعة، اعتداء أعجمي ضعيف اللغة على عربي قُح ...

– ومنه، قوله تعالى (وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الْصَّلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وأَرْجُلِكُم إلى الْكَعْبَينِ)(٤)

---

١ ـ الأنعام : ١٣٧

٢ -تفسير الجلالين – ط٩ -١٩٩٨م ص٤٣ الجزء ٨ سورة الأنعام

٣ ـ أوضح المسالك – ج ٣-ص/١٣٦ –/ ت – الفاخوري .
البيت غير منسوب ، وتمامه ((عجلا إذ أجبناهم إلى السِّلمِ رأفةً – فسقناهُم سوقالبغاث الأجادل))

٤ ـ المائدة : ٦

في قراءة من جرَّ الأرجل لمجاورة المخفوض وهو الرءوس . قال ابن هشام : "... إنما حقّه النّصب كما هو في قراءة جماعة آخرين، وهو منصوب بالعطف على الوجوه والأيدي، وهذا قول جماعة من المفسرين والفقهاء. إلى أن يقول : " ...ويرجح ذلك القول (النصب) ثلاثة أمور :

– **أحدها** : أن الحمل على المجاورة حمل شاذ، فينبغي صون القرآن عنه .

– **الثاني** : أنه إذا حمل على ذلك كان العطف في الحقيقة على الوجوه والأيدي ، فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية وهو (وامْسحُوا بِرُءوسِكُمْ)[1] وإذا حمل على العطف على الرُءوس لم يلزم الفصل بالأجنبي، والأصل أن لا يفصل بين المتعاطفين بمفرد فضلاً عن الجملة .

– **الثالث** : أن العطف على هذا التقدير حمل على المجاور، وعلى التقدير الأول حمل على غير المجاور، والحمل على المجاور أولى .

وقد نقل تعليل تسمية المسح بالغسل ، بشيئين، الأول :

– قال : (منسوباً إلى أبي علي) – أنّ المسح ،هو خفيف الغسل، كما يقال : مسحت للصلاة .

– والثاني :– له – أنّ المراد هنا المسح على الخفين ، وجعل ذلك مسحاً للرِّجْل مجازاً . وإنما حقيقته أنه مسحٌ للخف الذي على الرِّجْل والسنة بيّنت ذلك ."(١)

– ومنه قوله تعالى : (كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) ([2]) . قال :

" ... ومن أحكام اسم الفعل : أنه لا يتأخر عن معموله؛ فلا يجوز في(عليك زيداً) بمعنى الزم زيداً، أن يقال: زيداً عليك. خلافاً للكسائي، فإنه أجازه محتجاً عليه بقوله تعالى : (كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) . زاعماً أنّ معناه : عليكم كتاب الله، أي الزموه. وعند البصريين أنّ (كِتابَ اللهِ) مصدر محذوف العامل، و(عليكم) جار ومجرور متعلق به، أو بالعامل المقدر، والتقدير: كتب الله ذلك عليكم كتاباً، ودلّ على ذلك المقدّر قوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ)([3]) ، لأنّ التحريم يستلزم الكتابة. "(٤)

– ومنه بالباب الخامس(الشذور) : (فيما خرج عن الأصل – (جمع المذكر السالم) . قال : فإذا قلت ما تصنع في (المقيمين) من قوله تعالى في سورة النساء–(لكِنِ الرّاسِخُون في العِلم مِنْهُمْ والمُؤمِنونَ

---

[1] - الشذور ص/٣٣١-٣٣٢

[2] -النساء :٢٤

[3] -النساء :٢٣

[4] - قطر الندى – ص ٣٦٣

يُؤمِنُونَ بما أُنْزِل إليكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ والمُقِيمِيْنَ الْصّلاةَ)([1]) ، فإنه جاء بالياء وقد كان مقتضى قياس ما ذكرت أن يكون بالواو؛ لأنه معطوف على المرفوع ...

وما تصنع بـ(الصّابئون) من قوله تعالى في السورة التي تليها (إنّ الّذيْنَ آمَنُوا والّذِيْنَ هادوا والصّابِئون) ([2]) ، ... فإنه جاء بالواو وقد كان مقتضى ما ذكرت أن يكون (والصّابئيْنَ) بالياء ، لأنه معطوف على المنصوب ...قلت ...: أما الآية الأولى ففيها أوجه، أرجحُها وجهان :

– **أحدهما** : أنّ المقيمين نصب على المدح ، وتقديره : وأمدح المقيمين. وهو قول سيبويه والمحققين والقطع لبيان فضل الصلاة .

–**الثاني** : أنه مخفوض؛ لأنه معطوف على ما في قوله تعالى: (بِمَا أُنْزِلَ إلِيْكَ) ، أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء . وفي مصحف عبدالله . (المقيمون) ، وهي وقراء مالك ابن دينار والجُحْدري وعيسى الثّقَفي، ولا إشكال."

أما الآية الثانية: ففيها أوجه، أرجحُها أيضاً وجهان:

– **أحدهما:** أن يكون (الذّيْنَ هَادُوا) مرتفعاً بالابتداء . و(الصّابِئون والنّصارَى) عطفاً عليه – مبتدأ مع حذف خبره ، التقدير(والصابئون والنصارى كذلك...)

– **والثاني** – نفس الأول مع اختلاف في الحذف والتقدير، وبترجيح الأول .(٣)

– ومنه، القراءات الثلاث في قوله تعالى (إنَّ هَذَ يْنِ لَسَاحِرَانِ)([4]). قال ابن هشام : " ....وهي قراءة أبي عمرو. وهي جارية على سنن العربية ، (بنصب الاسم بالياء ورفع الخبر بالألف)

ثمّ ذكر القراءتين الأُخْرِيَيْن معللاً لهما : وهما :

– **الأولى** : (إنْ هّذَانِ لسَاحِرانِ) بتخفيف (إنّ) ، واثبات الألف في (هذان) وعلل ذلك بإهمال (إنّ) بعد تخفيفها ، وارتفاع ما بعدها على الابتداء والخبر رفعاً بالألف .

– **والثانيـة** :(إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) . قال : " وهي مشكلة لأنّ (أنّ) المشددة يجب إعمالها، وراح يعلل ذلك الإشكال بالأوجه ا لخمسة التالية :

– **الأول** : أنها جاءت على لغة بلحارث بن كعب، وخثعم وزبيد وكنانة، وآخرين استعمال المثنى بالألف دائماً .... قال الآخر :

---

[1] ـ النساء :١٦٢

[2] ـ المائدة :٦٩

[3] ـ الشذور ص/ ٥٤-٥٥ – ت محمد محي الدين .

[4] ـ طه : ٦٣

إنَّ أَباهَا وأبا أباها * قدْ بلغا منَ المَجْد غايتاهَا** .(١)

-**الثاني** : أنها بمعنى (نعم) ، ومابعدها بالتالي رفعا بالألف على الابتداء والخبرية ، واللام في الخبر على تقدير : (نعم هذان لهما ساحران) زُحلقتْ من مبتدأ محذوف(لهما) إلى الخبر الثاني(ساحران) بعد حذف المبتدأ .

- **الثالث** : أنّ الأصل، (إنّهُ هَذَانِ لَهُما سَاحِرَانِ) – ووقع الحذف كما في السابقة.

- **الرابع** : أنه لما ثني (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية، فوجب حذف واحد منهما لالتقاء الساكنين، ؛ فمن قدرالمحذوف ألف (هذا) والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياءً . ومن قدّر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

- **الخامس** : أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في التثنية، ليكون المثنى كالمفرد؛ لأنه فرع عليه.

هذ ، ويلاحظ أن ابن هشام يلحّ في طلب التعليل المناسب تفادياً لتجريح القراءة أولإهمالها ؛ إذ هي من القرآن كلام الله ، ولهذا تراه في هذا الموضع يختم تعليلاته تلك بما يثبت حرصه الشديد على تأكيد مصداقيتها ، فيقول :

" ... واختار هذا القول – (إشارةً إلى الوجه الخامس والأخير) – الإمام العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله، وزعم أنّ بناء المثنى إذا كان مفرداً مبنيّاً أفصح من إعرابه ، قال : وقد تفطّن لذلك غير واحد من حُذاق النحاة " (٢)

ولعل مما يؤكد حرص ابن هشام الشديد على حماية آيات القرآن من ضرر التجريح، هذا الخبر الذي أسنده (أيضا) إلى ابن تيميةً في هذا الموضع حول الآية المذكورة، قال:

" ...قال رحمه الله تعالى : – وقد زعم قوم أنّ قراءة من قرأ (إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) لحنٌ، وأنّ عثمان– رضي الله عنه– قال: إنّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها. وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه .

– أحدها: أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرون اللحْن في القرآن، مع أنهم لا كُلفة عليهم في إزالته؟

– الثاني : ... فكيف لا يستعجبون بقاءه في المصحف .

---

[١] - من شواهد سيبويه في الكتاب

[٢] - الشذور – ص/٤٦ــــ٤٩-

– الثالث : (العرب ستقيمه بألسنتها) ، كلام غير مستقيم ؛ لأن المصحف للعربي وغيره.

– الرابع : إنّ زيداً بن حارثة منع أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار ، وترك(بالتاء) بلغة قريش .

– الخامس : كذلك رجع ابن مسعود بأمر عمربن الخطاب عن كتابة (عتّى حين) بلغة هذيل .(١)

وقال – تعليقاً على كل ذلك :

" لم يصح ولم يوجد في القرآن العظيم حرفٌ واحدٌ إلا وله وجهٌ صحيح في العربية، وقد قال الله تعالى : (لا يَأْتِيْهِ البَاطِلُ مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ) (٢). والقرآن محفوظٌ من اللّحن والزيادة والنقصان." (٣) "

---

١ -الشذور نفسه – ص ٥٠ - / **(حتى حين)** : الصافات..من الآية : ١٧٧
٢ -- فصلت : ٤٢
٣ - الشذور نفسه - ص٥١

المبحث الثاني

مع الحديث الشريف ومظاهر في التعدي .

١- ابن هشام وحجج المانعين

كان موقف النحويين من الاستشهاد بالحديث شبيهاً بموقفهم من الإستشهاد بالقرآن وقراءاته، من حيث أنهم رفضوا –لاسيما البصريون– الاحتجاج به في النحو . ومن أعلام المانعين : ابن الصائغ من القرن السابع (٦٨٠هـ) . وأبوحيّان : من الثامن(٧٤٥هـ) . قال أبو حيان : ".. . إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرءين للأحكام من لسان العرب ... من أئمة البصريين ... و...من أئمة الكوفيين ... لم يفعلوا ذلك – أي الاحتجاج بالحديث – وتبعهم في ذلك المتأخرون من الفريقين "(١)

وأهم احتجاجاتهم : أنّ الحديث قد رُوي قسم كبير منه بالمعنى، وبالتالي فهم غير واثقين من أنه من لفظ الرسول (ص) . وأنّ بعض رواته كانوا من الأعاجم فوقع اللّحن فيما روَوْه . وقد رُدّ على هذين الافتراضين في كلام يطول شرحه ليس هنا موضعه .

أما الذي يهمنا هو موقف الفريق المقابل المجيز للاستشهاد بالحديث . منهم : أبو الحسن ابن خروف(٦١٠هـ) ، وابن مالك(٦٧٢هـ) اللذين عُنيا بالحديث وتكثرا من الاستشهاد به . وتبعهما في ذلك الرّضي الإستراباذي (٦٨٨هـ) ، وزاد عليهما الاحتجاج بكلام أهل البيت .

ونخصّ **ابن هشام** الذي تميّز من بين هؤلاء – بالاهتمام بالحديث كما هو في لغته التي رُوي بها، دون اللجوء إلى ربطه بآيات من القرآن الكريم ، مثال ذلك : استحسانه عدم الاستدلال بالآية الكريمة (وأَسَرّوا الْنّجْوَى الذَّينَ ظَلَمُوا) (٢) . على حديث : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..." بحمله عليها . وفضّل إعراب (الذَّينَ ظَلَمُوا) مبتدأ مؤخر. خبره (وأسَرُّوا الْنّجْوَى) لينتفي ربطها بالحديث ، حتى يبقى صالحاً كما هو للاحتجاج به على لغة مروية. (٣) . هذا، فضلاً عما في الرواية الأخرى المطوّلة في الصحيحين : (إنّ لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار" من مخرج .

فابن هشام قد تابع مالكاً وغيره في استمساكه بالاستشهاد بالحديث مطلقاً مستخدماً طريقته الخاصة في تجاوزحدود النحاة ، وهي الاستشهاد بالحديث كما هو، لما للحديث النبوي من قدسية كالقرآن، وعلى أساس أنّ الاجماع منعقد على أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أفصح العرب لساناً، وحديثه أصحّ سنداً من كثير من أشعار العرب التي يُحتج بها . ولا عبرة عنده بأنّ أغلب رواته أعاجم لأنّ الشعر وغيره

---

[١] - الإقتراح – السيوطي- ص١٧- والهمع ص١٠٥/١

[٢] - الأنبياء :٣

[٣] - الشذور – ص٢٥٣

من النثر المحتج به لدى النحاة هو أيضاً كذلك ، وأنّ الأصل أن يُروى الحديث كما سمع ، فالأصل عدم التبديل لأنّ أهل الضبط قد عُنوا بذلك .

٢- شروط النحاة للاستشهاد بالحديث .

من الملاحظ أنّ النحاة الذين ضيّقوا على أنفسهم في القراءات، قد عمدوا إلى روافد الحديث يسدون مجاريه عن مصادر الدرس النحوي . مع أنّ المظنون أن يكون حديث رسول الله مصدراً لهم يلي القرآن الكريم في حجيّته . كما كان كذلك في أصول الفقه ، ولا نعلم فيه خلافاً عند الفقهاء ، بل هم يُرجعون السنة إلى الكتاب : من جهة أنّ معظم آيات القرآن توجه إلى العمل بالسنة والاستنباط منها ، قال تعالى : (ما آتاكُمُ الرّسُولُ فخُذوهُ ومانَهاكم عنْهُ فانْتهُوا)([1]) . ومن جهة ورود السنة مبينة للكتاب لقوله تعالى : (وأنْزَلْنا إليْكَ الذِّكْرَ لِتبيّنَ للنّاسِ مَانُزِّلَ إليْهِمِ) ([2]).

أما لدى أئمة النحو – متقدّميهم ومتأخريهم– فقد ظل الحديث مستبعداً كمصدر استشهاد، ولم تحفل كتب أكثرهم إلا بالقليل النادر، وجُلّه فيها مُدرج كتقوية لشواهدهم من قرآن ومن كلام العرب .

هذا وقد جاء تقسيم النحاة لدى بعض الباحثين تجاه الحديث إلى ثلاثة طوائف :

- طائفة منعت الاستشهاد به مطلقاً .
- طائفة توسطت بين الإجازة والمنع .
- طائفة أجازت الاستشهاد مطلقاً .

وبالنظر إلى مبررات كل طائفة، نجد أنّ الذين توسّطوا لا يختلفون كثيراً عن المانعين مطلقاً ، فهم كالمانعين إذ أنهم وضعوا شروطاً جاءت في خلاصة للشيخ محمد الخضر حسين إلى مجمع اللغة العربية الذي أقرها بدوره في ستة أنواع من الحديث يجوز الاستشهاد بها وهي :

- ما رُوي بقصد الاستدلال على فصاحته عليه الصلاة والسلام، من أقوله نحو: (حَمِيَ الوَطِيسُ). و (مات حتْفَ أنفِه) . وغيره من قصار الأحاديث.

- ما رُوي من الأقوال التي كان يتعبد بها وأمر بالتعبد بها، مثل ألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأدعية والأذكار المأثورة .

---

[1] - الحشر :٧

[2] - النحل :٤٤

– ما رُوي على أنه كان يخاطب به كل قوم من العرب بلغتهم، كخطابه وفد حمير بقوله : (ليس من ام بر امصيام في امسفر) .

– الأحاديث التي اتّحدتْ ألفاظها من طرق متعددة . فالتعدد مع اتحاد النّص ضابط .

– الأحاديث التي ثبت أن الذي دوّنها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد الألسن كالإمامين، مالك، والشافعي.

– ما عُرف من حال رُواته أنهم لا يجيزون الرواية بالمعنى، كابن سيرين وابن حيْوة.

هذا ، وبما أنّ ثلثي هذا التقسيم مانعون، أو شبه مانعين للاحتجاج بالحديث ، فما تبقى منهم مستمسكاً به قليل ، يمثلهم : عندي ابن هشام ، فهو قد تعدى الحدود وجاوز الحظر وأدلل على ذلك بأمرين :

– بإحصائية تفيد كثرة ما استشهد به في أعماله النحوية مقارنة بغيره .

– ببيان أن أكثرما استشهد به من الحديث ليس من قبيل التقوية لشواهد قرآنية أو شعرية أو قولية سابقة.

٣ – نماذج أحاديث الاحتجاج لابن هشام :

قال (محمود نَحلة) في كتابه أصول النحو العربي :

" المتتبع لكتاب سيبويه لا يكاد يظفر إلا ببضعة أحاديث أو أجزاء منها تعد على أصابع اليد الواحدة ... وعلى ذلك لا يجعلها مصدراً للاستشهاد ، بل يذكرها تقوية لشواهد سبقت من القرآن الكريم، أو ليبين نوعاً من التعبير يجوز فيه الحمل على أوجه متعددة من الإعراب."(١)

وفي مقابل ذلك كان لابن هشام (٣٠ شاهداً) من الحديث في كتابين فقط من مصنفاته : قطر الندى ، وشذور الذهب . أعرضها فيما يلي مع التعليق (بشاهد مباشر) أو غير ذلك .. وهو أقل مايشير إلى تجاوزابن هشام حدود الحظر في الحديث على سبيل التمثيل ،:

[1] - أصول النحو العربي- د. محمود أحمد نحلة – ص٧١- دارالعلوم العربية—لبنان طبعة(١) – ١٩٨٧م

في قطر الندى

–عشرة أحاديث ، وهي حسب ترتيب الكتاب :

١– **(من توضأ يوم الجمعة فبالرخصة أخذ ، ونعمتِ الرُّخصة الوضوء)**

وقد أورده شاهداً مباشراً على حرفية (نِعْمَ) من أسلوب المدح [١].

٢– **(كل الصيد في جوف الفرا) .**

وهو شاهد مباشر على صحة حلول (كل) محل الأفراد على جهة الحقيقة أو المجاز [٢].

٣– **(ليس من ام بر ام صيام في ام سفر)**

وهو شاهد مباشرعلى الإبدال في لغة حمير[٣]

٤– **(خمس صلوات كتبهنّ الله في اليوم والليلة)**

وهو شاهد (مباشر) على تنكير المبتدأ [٤]

٥– **(أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي ، لا إله إلا الله)**

وهو شاهد مباشر على عدم الرابط بين المبتدأ وخبره .[٥]

٦– **(التمس ولو خاتماً من حديد)**

وهو شاهد مباشرعلى زيادة (كان) بعد (لو) [٦]

٧– **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)**

وهو مثال (معزّز) على شذوذ الإضمارفي الفعل مع وجود ظاهر[٧]

٨– **(أو مخرجيّ هم ..." قال ذلك حينما قال له ورقة بن نوفل : وددت أن أكون معك ، إذ يخرجك قومك)** – . وهو مثال (معزّز) – [٨]

٩– **(تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين)**

وهو شاهد (مباشر) على التنازع [٩] .

١٠– **(وحجّ البيت منْ استطاع إليه سبيلاً)**

وهو مثال(معزّز)– في المصدر المضاف [١٠]

---

[١] ـ **قطر الندى – ص ٣٦**
[٢] ـ نفسه ص ١٥٧
[٣] ـ نفسه ص ١٥٨
[٤] ـ نفسه ص ١٦٣
[٥] ـ نفسه ص ١٦٥
[٦] ـ نفسه ص ١٩٦
[٧] ـ نفسه ص ٢٥٣
[٨] – نفسه –ص ٢٥٣
[٩] ـ قطر الندى ص ٢٧٦
[١٠] – ـ نفسه ص٣٧٦

١١-**(سبحان الله إنّ المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتاً)**

وهو شاهد مباشر على التعجب السماعي ([1])

وفي شرح شذور الذهب :

- سبعة عشر حديثاً، تكرر منها في القطر ستة أحاديث، وما تبقى، اثنا عشر حديثاً : وهي بترتيب الكتاب كما يلي :

١- **(يارُبّ كاسية في الدّنيا عارية يوم القيامة)**

وهو شاهد (مباشر)-على دخول حرف النداء على ما ليس باسم ([2])

٢- **(إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون)**

وهو شاهد (مباشر)- على حذف ضمير الشأن ([3])

٣- **(من غصب قيد شبر من أرض طُوِّقَهُ من سبع أرَضين)**

وهو شاهد (مباشر)- على لغة تحريك الراء من أرَضين([4])

٤- **في الحديث (كان يتخوّلنا بالموعظة)**

وهو مثال تفسير توضيحي على الحال ([5]).

٥- **(... مالم يكن نقع أو لقلقة)**

وهو مثال (معزز) لشاهد سبق في كان ([6])

٦- **(لاحول ولاقوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)**

وهو مثال (معزّز لشاهد سبق- ([7])

٧- **(التمس ولو خاتماً من حديد)**

وهو شاهد سبق ذكره في القطر ([8]).

٨- **(الناس مجزيُّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر)**

وهو شاهد (مباشر) على حذف كان واسمها -([9])

---

[1] - - نفسه ص٤٥٤

[2] - **شذور الذهب - ص ١٨**

[3] - نفسه ص ٤٩

[4] - نفسه ص٥٧

[5] - نفسه ص٧٥

[6] - نفسه - ص١٤٨

[7] - - نفسه - ص ١٦٨

[8] - شذور الذهب ص١٨٧

[9] - نفسه ص١٨٧

٩- (إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله)

وهو شاهد (مباشر)- على عدم جواز حذف نون يكون المجزوم ، متصلاً بضمير [١]

١٠- (أفضل ماقلته أنا والنبيّون من قبلي : لا إله إلا الله)

وهو مثال (معزّز) لشاهد سبق، على المختص المضاف [٢]

١١- (إنّا آل محمدلاتحلّ لنا الصدقة)

وهو شاهد (مباشر) – على المصدر المضاف [٣]

١٢-(نحن معاشر الأنبياءلا نورث ، ما تركناه صدقة)

وهو شاهد (مباشر)-على الاختصاص بالإضافة[٤]

١٣-(صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالساً ، وصلى وراءه رجال قياماً)

وهو مثال (معزز) لشاهد سبق- في الحال من نكرة [٥].

١٤- (ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكلوا ليس السنّ والظفر)

وهو شاهد على ليس بمنزلة الاستثناء [٦].

١٥- (ما من أيام أحب إلى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة)

وهو شاهد في مسألة (الكحل) على عمل فعل التفضيل في ظاهر[٧].

١٦- قول عائشة : (ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم – شهراً كله إلا رمضان)

وهو شاهد على شذوذ كون المؤكد غير معرفة [٨].

١٧-(إنّ الرجل ليصلي الصلاة ما كُتب له نصفها ثلثها ربعها ... إلى العشر)

وهو مثال (معزّز) عل بدل الإضراب [٩]

---

[١] – نفسه ص١٨٨

[٢] – نفسه ص٢٠٨

[٣] - نفسه ص ٢٢٠

[٤] – نفسه ص ٢٢٠

[٥] – نفسه ص٢٥٣

[٦] – نفسه ص٢٦٠

[٧] - نفسه ص٤١٥

[٨] –نفسه ص٤٢٩

[٩] - نفسه ص٤٤٠

المبحث الثالث

الشعر ومظاهر في التعدي

لم تكن الحال بين النحاة السابقين، وبين ابن هشام في الاستشهاد بالشعر مختلفةً عن حالهما مع القرآن والحديث، فقد ضيق النحاة السابقون على أنفسهم أيضاً في الاستشهاد بالشعر، إذ اشترطوا فيمن يُستشهد بشعره : التقدم في العصر، والبداوة، والعلم بالعربية، وصحة نسبة الشاهد إليه. وبناءً على هذه الحدود والحواجز منعوا الاستشهاد بشعر من هم دون الطبقات الثلاث الأُول من الشعراء ، وكذا منعوا الشعر الذي لم يُعرف قائله، خشية أن يكون لشاعر من الطبقات المحظورة . وبالتالي جاء تقسيم الشعراء كالتالي :

– **الطبقة الأولى**– الجاهليون، أمثال امرئ القيس، وزهير، والأعشى، والنابغة. وهم يستشهد بشعرهم

– **الطبقة الثانية**– المخضرمون، أمثال حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، والحُطَيْئة. وهم يستشهد بشعرهم .

–**الطبقة الثالثة**– الإسلاميون، أمثال الفرزدق، وجرير، والأخطل، وذي الرُّمة. الصحيح صحة الاستشهاد بشعرهم، وقد منعه البعض وأخضعه للتدقيق .

أما الشعر الذي لم يُعرف قائله، فاختلف النحاة في الاستشهاد به وفقاً لترجيح ضمّه إلى الطبقات الثلاث الأولى، أو لترجيح ضمّه إلى ما دونها من المحظورات.

" وأما الطبقة الرابعة، وما تلاها وهم : ٤ – **المولدون.** ٥– **المُحْدَثون.** ٦– **المتأخرون،** ومن جاء بعدهم ... فالنحاة على أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر شاعر منها . يقول السيوطي :

" أجمعوا على أنه لا يُحتج بكلام المُولّدين والمحدثين في اللغة العربية " (١)

وقد تجاوز هذا الحظر وتعداه عدد من النحاة ، مع نمو مذهب يجوّز الاستشهاد بشعر الطبقة الرابعة ممن يوثق بعربيهم، كبشار وأبي تمام والموصلي والشريف الرضي . (٢)

وكان ابن هشام من هؤلاء المتجاوزين لحدود الحظر، فتعدّى باستشهاداته من شعر الطبقات مطلقاً حتى عصره ، ما دام صاحبه موثوق الفصاحة، كالمتنبي وأبي تمام وأبي نواس وابي العتاهية وابي فراس من المُولّدين . ومن الشعر مجهول القائل مادام فصيحاً ينطق بالبيان ويجري على المألوف المعتاد في قياس الذوق.

---

[١] - أصول النحو العربي- د. محمود أحمد نحلة – ص٦٩- السابق .

[٢] -أصول النحو – نفسه ص٦٩. – وانظر الدراسات اللغوية عند العرب – د. محمد حسين آل ياسين – ص ٣٥٦- وما بعدها

أ – موقف ابن هشام من شعر المولدين

حاول الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، في تعليقاته على هوامش كتب ابن هشام (سبيل الهدى) أن يدفع عن ابن هشام هذا التجاوز (الآنف الذكر) أكثر من مرة يرد فيها له شاهد من شعر المولدين ،

- كتعليقه على بيت لأبي نواس، وهو :

(ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد) .

قال :

" ... لم يذكر البيت للاستشهاد به على شيء من ذلك، وإنما ساقه للاستئناس بمعناه..."(١)

وقد أورده ابن هشام في معرض حديثه عن (ال) الاستغراقية، وضابطها أن يصح حلول (كل) محلها . كما في (يجمع العالم في واحد) أي كل العالم .

- وكتعليفه على شاهده (على لغة البراغيث) ببيت أبي فراس الحمداني وهو :
-

(نتج الربيع محاسناً ألقحنها غرّ السحاب) .

بقوله :

"... وأبو فراس صاحب هذا الشاهد ممن لا يُحتج بشعره على قواعد اللغة ومفرداتها؛ لأنه مُوَلّد، ولعلّ المؤلف إنما أراد التمثيل بهذا البيت ..."(٢)

وعندي أنّ مثل هذا الدفع لا يبرّره ورود هذا البيت وغيره لأبي نواس والآخرين من شعر المولدين عند أبن هشام ، ولا يمكن حمله إلا على أنه شاهده حتى ولو أفاد استئناساً بمعناه لقاعدة نحوية . ويؤيد ذلك عدة اعتبارات :

- **الأول** : تخطئة ابن هشام لأبي فراس (من المولدين) في كسر لام (تعالِيْ) من قوله:

(تعالِي أقاسمْك الهُمُومَ تعالِي...) (٣)

---

[١] - قطر الندى – ابن هشام ص١٥٧
[٢] - الشذور- ص١٧٨
[٣] - قطر الندى - ص٤١

وزعم أنها لا ترد إلا مبنية على الفتح ، واستشهد على ذلك بسيل من الآيات الكريمة. بينما ذهب غيره إلى أنها على لغتين – الفتح والكسر – كعبد العال،–(١) الذي لم يوثّق نقله لغة الكسرعن علماء أو مصدر ، ولا جاء بشواهد على وجود لغتين . ولغة الفتح التي اختارها ابن هشام لم يذكر بجانبها ما يؤكد وجود لغة كسرلأنه على الأرجح لم يقع على ذلك، فجاءت التخطئة دليلاً شاهداً عليها. وذلك لأنه قد يصلح في مثل هذا الاستشهاد بكل ما لم يكن مأثوراً من الشواهد باعتباره خارجاً عن المألوف وهو خطأ في كل الأحوال .

فذكر ابن هشام لهذا البيت لأبي فراس تحديداً، وإشارته إليه بأنهم لحنوه دليل على الاعتداد به كشاهد لأحد فحول الشعر .

– **الثاني** : إنّ الاستئناس بالكلام المنقول من شعروغيره يجب أن يسبقه شاهد أصلي من قرآن أو شعر أو كلام مأثور، وليس الأمر كذلك في بعض هذه الشواهد عند ابن هشام ، كما في شاهده من إبي فراس السابق– وغيره ، كما يأتي .

– **الثالث** : من المتعارف في كتب النحو ترقيم الشواهد بأرقام مسلسلة، وما ليس بشاهد ، لا يصحبه ترقيم . وكذلك في كتب ابن هشام ، فقد جاءت الشواهد فيها مرقمة بأرقام مسلسلة ، فرقاً بينها وبين غيرها من نصوص الاستئناس . .

–**الرابع**– أعمل علماء النحو كابن جني والفارسي والواحدي مقاييس النحو في شعر المتنبي تحليلا وتقويما ، وما ذلك إلا اعترافا بفصاحته وعربيته، وبالتالي صلاحيته شاهداً يقاس عليه وعلى نظيره من شعر فصيح للمولدين ومن بعدهم

– **الخامس** : تأكيداً لموقف ابن هشام من شعر الحظر نعرض فيما يلي نماذج متنوّعة من الأبيات أوردها في بعض كتبه منسوبة إلى المولدين وغيرهم من شعراء الحظر .

و فيما يلي أقل مايمكن الاستدلال به من نماذج على تجاوزه حدّ الحظر من الشعرعلى سبيل التمثيل لا الحصر.

---

[١] - المدارس النحوية – د. عبد العال ص٤٢٦

ب – نماذج من استشهاداته الشعرية :

– في قطر الندى –

١ – (أيـــا جارتـــا مـــا أنصـــف الـــدهر بيننـــا * تعـــالي أقاســـمك الهمـــوم تعـــالِي)

* لأبي فراس – وهو شاهدً أورده لتأييد وقوع اللّحن في كسرلام تعالي .([1])

٢ –(لـــــيس علـــــى الله بمســـــتنكر * أن يجمـــــع العـــــالم فـــــي واحـــــد)

* لأبي نُواس– وهو شاهد على (ال) الاستغراقية. ([2])

٣ –(إذا الجـــود لـــم يُـــرزق خلاصـــاً مـــن الأذى * فـــلا الحمـــدُ مكســـوباً ولاالمـــال باقيـــا)

* للمتنبي – جاء شاهداً على تأييد خطأ إعمال (لا) ([3]).

٤ –(ألا ليـــــت الشـــــباب يعـــــود يومـــــاً * فـــــأخبره بمـــــا فعـــــل المشـــــيب)

*لأبي العتاهية – وهو شاهد على ليت من نواسخ المبتدأ. ([4])–

٥ –(كـــأني مـــن أخبـــار إنّ ولـــم يُجِـــزْ * لـــه فـــي اختيـــار النحـــو أن يتقـــدّما)

* لابن عنين (شرف الدين أبي العباس الأنصاري) . ذُكر أنه ليس ممن يُحتج بشعره في النحو والصرف ، وأنّ المؤلف ذكره استطرافاً لمعناه – فهو مثال ، للاستئناس بمنعاه –على توسط الخبر([5])

٦ –(واحرّقلبـــاه ممـــن قلبـــه شَـــبِمٌ * ومـــن بجســـمي وحـــالي عنـــده ســـقم)

* للمتنبي – كشاهد على المندوب المتوجع منه ([6]). –

– وفي شرح شذور الذهب :

١ –(الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفنـــي * والســـيف والـــرمح والقرطـــاس والقلـــم)

*– للمتنبي – شاهد ، على علامات الاسم ([7])

٢ –(ثـــم انقضـــت تلـــك الســـنون وأهلُهـــا * فـــكأنها وكأننـــا أحـــلام)

*– لأبي تمام – شاهد ' في(سنون) بالواو، وليس في القرآن ([8])

---

[1] ـ قطر الندى – ص ٤١ ـ شاهد رقم (٩)

[2] – نفسه ص ١٥٧ – اشاهد رقم (٣٦)

[3] – نفسه ص ٢٠١ ـ اشاهد رقم (٥٢)

[4] – نفسه ص ٢٠٥ ـ اشاهد رقم (٥٣)

[5] – نفسه ص ٢٢٤ـ اشاهد رقم (٦٣)

[6] – نفسه ص ٣٠٩ اشاهد رقم (٩٩)

[7] – شذور الذهب – ص ١٥ شاهد رقم (١)

[8] – نفسه ص ٥٨ ـ اشاهد رقم (١٧)

٣-(سـلّم علـى المـولى البهـاء وصـف لـه * شـوقي إليـه وإننـي مملوكـه)

* لمحمد بن رضوان بن الرّعاد – وهو ليس للاستشهاد ، وجاء استطراداً في التشوق ([1]).

٤-(هـي الـدنيا تقـول بمـلء فيهـا * حـذار حـذارِ مـن بطشـي وفتكـي)

(فـلا يغْررْك منـي ابتسـام * فقولي مُضحكٌ والفعل مبكـي) *

لأبي الفرج السلوي – في رثاء فخر الدولة بن بويه . على اسم الفعل المقيس ذكره استحساناً لا استشهاداً ([2]).

٥-(إيـهٍ أحاديـث نعمـان وسـاكنه * إنّ الحـديث عـن الأحبـاب أسـمار)

* ينسب إلى ابن الأثير (دون تحديد) ، وقال عنه المؤلف : أنه غير عربي ([3]).

٦-(نـتج الربيـع محاسـناً * ألقحْنهـا غُـرَّ السـحائب)

– شاهد تكرر، كما في قطرالندى .([4])

٧- (إذا الجـود لـم يُـرزق خلاصـاً مـن الأذى * فـلا الحمـدُ مكسـوباً ولا المـال باقيـا)

* شاهد كما سبق في قطر الندى.([5])

٨- (كـأنيَ مـن أخبـار إنّ ولـم يُجـزِْ * لـه أحـدٌ فـي النحـو أن يتقـدّما)

– (عسـى حـرف جـرٍّ مـن نـداك يجرّنـي * إليـك فـإني مـن وصـالك مُعـدما)

*– سبق ذكر البيت الأول في قطر الندى ، وأنه جاء به للاستئناس بمعناه . لكن ابن هشام قال هنا معلقاً عليه : " ولا تتقدم أخبارهنّ عليهنّ مطلقاً ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ شرف الدين بن عنين ، حيث قال ... " ([6]) ثم أنشدهما .

– وفي مغني اللبيب :

١-أحيـا وأيسـر مـا قاسـيت مـا قـتلا * والبـين جـار علـى ضـعفي ومـا عـدلا)

* للمتنبي. وهو شاهد مباشر على حذف همزة الاستفهام مع همزة المضارعة–([7])

٢-(أحـاد أم سـداس فـي أحـاد* لليلتنـا المنوطـة بالتنـادي)

*للمتنبي – شاهد على أم المنقطعة .([8])

٣-(أي يـوم سـررتني بوصـال * لـم ترعنـي ثلاثـة بصـدود)

* شاهد مباشر على أنّ أي الموصولة لا تضاف إلا إلى معرفة–([1])

---

[1] - الشذور ص ٦٥ – شاهد رقم (١٩)
[2] - نفسه ص ٩١ - شاهد رقم (٣٦)
[3] – نفسه ص ١١٨– شاهد رقم (٥٧)
[4] – نفسه ص ١٧٨ - شاهد رقم (٨٢)
[5] – نفسه ص ١٩٨ - شاهد رقم (٩٤)
[6] - نفسه ص ٢٠٣ - شاهد رقم (٩٧)
[7] - مغني اللبيب – شاهد رقم (٨)
[8] - نفسه – شاهد رقم (٦٣)

٤-(أمـــن ازديـــارك فـــي الـــدجى الرقبـــاء * إذ حيـــث كنـــت مـــن الظـــلام ضـــياء)

*المتنبي، شاهد مباشر ([٢]).

٥-(كـــــل عنـــــدي لـــــك عنـــــدي * لا يســـــاوي نصـــــف عنـــــدي)

* لبعض المولدين- في حكم (عند)- مثال معزز لشاهد أصلي ([٣]).

٦-(كفـــى بجســـمي نحـــولاً أننـــي رجـــل * لـــولا مخـــاطبتي إيـــاك لـــم ترنـــي)

* المتنبي،مثال استئناس ([٤])

٧-(دع عنـــك لـــومي فـــإن اللـــوم إغـــراء * وداونـــي بـــالتي كانـــت هـــي الـــداء)

* لأبونواس- مثال استئناس.([٥])

٨-(مـــا كـــل مـــايتمنى المـــرء يدركـــه * تـــأتي الريـــاح بمـــا لا تشـــتهي السُّـــفُنُ)

* للمتنبي، شاهد مباشر ([٦]).

٩-فياشوق ماأبقى ويالي من النوى * ويادمع ما أجرى وياقلب ما أصبى)

*المتنبي،شاهد -على كسرلام المستغاث لأجله.([٧])

١٠-(لـــولا مفارقـــة الأحبـــاب مـــا وجـــدت * لهـــا المنايـــا إلـــى أرواحنـــا ســـبلا)

* للمتنبي، شاهد على تعلق الجار والمجرور بالمتعدي.([٨])

ومن الجدير بالذكر إنّ هذا النوع من التجاوز – الاستشهاد بشعر المولدين ومن بعدهم ، قبل ابن هشام فعله عددٌ من العلماء : كالزَّمَخْشَرِي، وكالعلامة الرَّضِي- اللذين استشهدا قبله بشعر المولدين من أمثال أبي تمّام وأبي نُواس وبأقوالهم، وقاسوا عليها . وفي رأيهم أنهم ممن يوثق بعربيتهم (٩). وذلك ما ذهب إليه واحتج به ابن هشام .

ج – مع أشعار المجهولين .

مما يعد من قبيل التعدّي وتجاوز حدود الحظر عند ابن هشام، إكثاره الاستشهاد بأبيات مجهولة الأصل والقائل . ففي كتبه طائفة كبيرة من أبيات مفردة أو مشبوهة لا يعرف لها قائل، بل أنه في مغني اللبيب، اكتفى في كثير منها بذكر أشطارها التي تحتوي على الشاهد فقط.

---

[١] – مغني اللبيب – شاهد رقم (١٢٥)
[٢] - نفسه - شاهد رقم (١٦٣)
[٣] - نفسه - شاهد رقم (١٨٢)
[٤] - نفسه - شاهد رقم (١٩٦)
[٥] - نفسه - شاهد رقم (٢٢٦)
[٦] - نفسه - شاهد رقم (٣٦٣)
[٧] - نفسه - شاهد رقم (٤٠١)
[٨] - نفسه - شاهد رقم (٤٠٥)
[٩] - المدرسة النحوية – السابق - د.عبد العال- ص٤٢٦-

استشهد بهذا النوع من الشعر مع أنّ الضوابط والحدود التي وضعها السابقون لصحة الاستشهاد بمثلها تمنع ذلك. فقد اشترطوا –كما سبق– أن يكون قائله مشهورا معروفاً، " ... فإن كان الشعر مجهول القائل لم يجز الاحتجاج به (إلا أن يكون ناقله ثقة مأموناً)... خوف أن يكون لمولد، أو لمن لا يوثق بفصاحته..."(١)

ومع أن احتجاج ابن هشام بهذا النوع من الشعر هو في أغلبه تبع لاحتجاجات كثير من النحاة به، كأمثال : سيبويه والكسائي والمبرد وغيرهم، إلا أنه يضيف إلى ما نقل عنهم مثله، استئناساً وتمثيلاً للقواعد، معتمداً على تحكيم ذوقه النحوي والأدبي ، وخبرته بأساليبه كلام العرب، حيث يستهدف مراراً الجانب التعليمي ما وجد إلى ذلك سبيلاً – كما سيأتي . لذا تضاعفت في كتبه هذه الشواهد المجهولة بإفراط ، وبإحصائها على وجه التمثيل نجدها كما يلي :

– في قطر الندى (٤٤ شاهداً).
– وفي شذور الذهب(٥٧ شاهداً) .
– وفي أوضح المسالك (بضع وسبعون شاهداً) .

– وقد تكررت معظم هذه الشواهد في مغني اللبيب لذا استغنيت عن احصائها فيه اكتفاء بما أجملت أرقامه منها وبما سيرد منها في مسرد الفهارس . وبالرجوع إلى هوامش مؤلفات ابن هشام يمكن الوقوف على ما صاحب منها كل بيت من تعليقات الأستاذ / محمد محي الدين عبد الحميد – الذي تولى تخريجها– بنحو قوله :

...لم أقف لهذا البيت على نسبة لقائل معين..
و ...لم نجد من العلماء من نسبه لقائل معين..
و ... لم يُعزَ إلى قائل معين..
و... هو من الأبيات التي لا يُعلم قائلها .. ونحو ذلك .

وخلاصة القول :

إنّ تعدد الشواهد المجهولة الأصل والقائلين في كتب ابن هشام، يبرر وجودها إلحاحه في طلب الشواهد التي تدعم القاعدة وتقوي الشاهد الأصل، لأنّ من خصائصه اعتماد الأسلوب التعليمي بإثراء قوعده بأمثلة توضّيحية، يستسيغها ذوقه النحوي والأدبي، وترفدها خبرته بصحة ما يصلح وما ينبغي للمتعلمين .

---

[١] - أصول النحو - د. محمد أحمد نحلة –ص٧٠ .

المبحث الرابع

ابن هشام ومظاهر التدرّج و التحول والانتقال

١- بين التدّرج والتحوّل

التدرج والتحول : مظهران يجسّدان حقيقة تطور الفكر النحوي عند ابن هشام في آرائه ومواقفه. وهما يلتقيان ولا ينفك أحدهما عن الآخر في خلال مصنفاته، فظاهرة التدرج في عرض الأفكار ظلت سمة بارزة على تلك المصنفات في تتابعها صعوداً بالفكرة في المسألة الواحدة على مدى العقود ، ووفق المراحل العمرية للمستفيدين. ومن الطبيعي أن ترافق ذلك في جميع المراحل ظاهرة التحول والانتقال بالفكرة من رأي لآخر، بالعدول أو الرجوع عنها كما لاحظ بعض الدارسين. وفي اعتقادي أن من أبرز سمات التطور في فكر ابن هشام، هو هذا الانتقال تدرجاً وتحولاً من طور أو مرحلة إلى أخرى، طبقاً للدلالة اللغوية للتطوربهذا المعنى، مما كان له أكبر الأثر في انتشار فكره النحوي بين الناس، بما أضفاه على النحو من منهج أسهم بشكل واسع في التخفيف من الغموض النحوي وفي استقطاب العقول والأذهان من بين براثن التشتت في شعاب الآراء والمذاهب المتضاربة في قضايا النحو المتشعبة .

ولعل الذي اقتضى من ابن هشام هذا النهج المتطور من التدرج والتحول، في ظني هو محاولته التخلص من سيطرة الخلاف على الآراء النحوية، فإذا كانت الخلافات في مجالات الفقه والمعارف الدينية عموماً مبنية في الغالب على بيان كل فريق لأدلة الإجازة أوالمنع في مسألة ما ، وعلى القارئ والسامع أن ينظر فيأخذ بأيهما شاء وفقاً لقوة الاقتناع عنده – .فإنّ الأمرليس كذلك في إطار الخلاف النحوي ، إذ لا يكتفي فيه كل فريق من المتخالفيْن بعرض أدلته فحسب، بل يسعى لتركيز كل جهوده على إبطال أدلة الفريق الآخر، فيفتنّ في نفيها وإبطالها بشتى الوسائل المنطقية التي يمكنها إقناع القارئ والسامع والخصم – أكثر من سعيه لاقناعه بأدلته الخاصة كما هو الشأن في المعارف الدينية . ومن هنا ينشأ الغموض وتتشعّب المسألة الواحدة لعدة مسائل فرعية، مما يشتت فكر القارئ ويضل عقله عن أصل القضية ويبعد به عن ثمرتها العلمية.

وكتاب الإنصاف لابن الأنباري خير شاهد على هذه الخلافات ، وأفضل عارض لها في أشكالها وإشكالياتها – كما سبق وصفه .

وبعرض ما في الإنصاف بحذاء طريقة ابن هشام يتبين لنا أن نهج ابن هشام بالتدرج والتحول هو أفضل سبيل يضمن للقارئ في المقام الأول خروجاً مريحاً من الخلاف. فهو يتعامل مع تلك المسائل الخلافية من موقف قارئ ممتاز متبصر، يعرض المسألة بوجوهها المحتملة، ويقرّ تلك الوجوه على تعارضها لاعتبارات لغوية قد تفيدها ، فيتسع بذلك حكمه فيشمل كل قضية أو رأي عارض دون أن يغلق بابًا. وبهذا المذهب يعين القارئ التائه فيستقر به على رأي يفيده علما . فالتدرج في عرض الأفكار

النحوية على المستفيدين إذن هو فن برع فيه ابن هشام، وفق مراحل الحياة ومعطيات الأوضاع العقلية، وقد جاء متكاملاً ومرتبطاً بظاهرة التحول والانتقال من رأي لآخر عنده .

٢- الوهم في حقيقة التحوّل من موقف أو رأي لآخر

كثيراً ما يتراءى في مثل هذا الإجراء من أعماله ما يشبه التناقض ، ولكن بالتأمل يتبين عكس ذلك ، كأن يذكر – مثلاً– أن (إذ) تأتي على أربعة للماضي وللمستقبل وللتعليل وللحال في مواقع مختلفة، وذلك استناداً على الوضعية التي عرض فيها (إذ) من الشاهد . وأمثال ذلك في بحوثه كثير

مثال ذلك : تحوله في قطر الندى عن رأيه في (لن) قال :

" ... ولا تقع لن للدعاء خلافاً لابن السراج ..." (١)

ثم جاء في مغني اللبيب ليقول فيها :

"... إنّ لن تأتي للدعاء..."(٢) واستدل عليها بقول الشاعر :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلتـــ لكم خالداً خلود الجبال .

والناظر في ظاهر مثل هذا التحول وهو كثير، يرى التناقض واضحاً في مواقف ابن هشام ، مع أن الأمر ليس كذلك لاعتبارات نذكرها فيما يلي :

أولاً : في (لن) . شرح ابن هشام كيف أنّ (لن) تكون للدعاء خلافاً لما أعلنه سابقاً ، وذلك باستدلاله بالبيت، حيث يقتضي الشاهد فيه ارتباط (لن) هنا بالعطف مع فعلها (لن تزالوا) على فعل دال على الدعاء(ثم لا زلت) ، مما اكسبها معنى الدعاء .

جاء في هامش هذه المسألة من تعليق محمد محي الدين، قوله : "... وجه الاستدلال أنّ الفعل المعطوف بثمّ للدعاء، فوجب أن يكون المعطوف عليه –وهو قوله : (لن تزالوا) – للدعاء، وهذا ظاهر من قول من قال: إنّ توافق المعطوف عليه والمعطوف في الإنشاء والخبر واجب . وأما من أجاز تخالفهما في ذلك فالأحسن عنده التوافق، فيكون حمل (لن) على الدعاء في البيت عند هذا الفريق من العلماء أحسن من حملها على الخبر لكنه ليس بلازم . "(٣)

---

١ - قطر الندى – ص ٧٠

٢ - مغني اللبيب – ص١٧٥ (باب لن) ت- الفخوري .

٣ - قطر الندى- - ص٨٠

وعلى هذا الأساس لا تناقض في (لن) مع الموضعين ، فهي لا تقع للدعاء –كما زعم ابن هشام– وذلك في أصل وضعها، وتأتي للدعاء باعتبار وضعها الطارئ – كما زعم أيضاً . أي أنّ التناقض هنا لا يتعدى تناقض امتلاء كوب إلى نصفه، مع فراغ نفس الكوب إلى النصف .

ونحو ذلك عند ابن هشام ما ذكره حول (إذ) . فبعد إيراده جملة من الآيات الكريمة اشتملت على أفعال مضارعة سبقتها (إذ) ، نصّ على أن هذه الأفعال بعد (إذ) زمنها ماضٍ في اللفظ والمعنى. مع ذلك تجده يتمسك في قوله تعالى : (إذ الأغلال في أعناقهم...)([1]) – بكون إذ : للمستقبل، بمنزلة : إذا ، وحجته فيها دخول حرف التنفيس (فسوف) . قال :

" ... وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم) فإن يعلمون مستقبل لفظا ومعنى، لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في إذ فيلزم أن تكون بمنزلة إذا " (٢).

وكما دلل على ذلك بقوله : " ... إن إذ تكون اسما للزمن المستقبل ، نحو (يومئذ تحدث أخبارها)([3]) والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب (ونفخ في الصور)، أعني تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع " (٤)

وهكذا فكل ما أوهم تناقضاً من آرائه ، هو في حقيقته غير ذلك إذا ما تأملنا تصوراته المنطقية البارعة في مثل هذا .

٣– حقيقة الرّجوع عند ابن هشام

لاحظ بعض الدارسين،(٥) هذه الظاهرة عند ابن هشام ، فعبر عنها بالاضطراب في مواقف ابن هشام، إذ قال :

" وقد اضطرب ابن هشام في تقسيم الفعل، فتارة يأخذ برأي البصريين القائل بتقسيم الفعل بحسب أمثلته إلى ثلاثة: ماض ومضارع وأمر، ويصفه بأنه هو الصحيح، وتارة يأخذ برأي الكوفيين القائل بتقسيم الفعل إلى قسمين : ماض ومضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته ،ثم حذفت حذفا مستمرا وتبعتها حروف المضارعة . ويرجح قول الكوفيين قائلاً : (وبقولهم أقول)(٦)

---

[1] - غافر :٧١

[2] مغني اللبيب- ج ١ص/٩٦

[3] - الزلزلة : ٤

[4] - نفسه –ج١ص٩٦

[5] - الفعل والزمن – د. عصام نور الدين – ص ٤٧ – المؤسسة الجامعية للنشر – ١٩٨٤م .

[6] - الرأي الأول- للبصريين في قطر الندى ص ٣١٣- الرأي الثاني للكوفيين في مغني اللبيب ج١ص/٢٥ – وانظر الجهود النحوية لابن أبي الربيع –رسالة ماجستير – مصطفى آدم ص ٨٦

لا والواقع أيضاً : أنه لا تناقض بين قوله مع البصريين، بتقسيم الفعل بحسب أمثلته إلى ثلاثة ، وبين قوله تبعاً للكوفيين : بتقسيمه إلى اثنين، لأنّ الثاني في حكم الاثنين كما علل هو ذلك بذكره لام الأمر، فبالإمكان الأخذ بأي القولين ولا ضرر.

وعلى هذا الأساس يسهل القول في هذين الرجوعين وأمثالهما عند ابن هشام : إنّ التناقض في مثل هذا لا يعدو كونه تناقضاً (كما أسلفت) بين امتلاء كوب إلى نصفه، وبين فراغه إلى النصف . إذ لوكان الثابت رجوعه فيها عن رأي لنقيض للزم أن يُزال الرأي الذي رجع عنه من الكتاب السابق ، بعد تصحيحه في كتابه اللاحق ، لأنه يتدرج في معالجة الموضوع نفسه في كتبه . لكن بقاؤه ذلك في الكتابين اعتراف بصواب الرأيين هنا وهناك .

هذا فضلاً عما في الرجوع إلى الحق – لوثبت ذلك – من فضيلة لا نستغربها في ابن هشام ؛ فهو الأولى بها، لما له في أخلاقه التي عرفناها من فسحة توجب الاعتقاد في حكمة تصرفاته . لأنه جند نفسه لخدمة القرآن والعلم وطلبته بإيمان راسخ ويقين ثابت ، فمثله لا يخلو من تفقه بنحو ما جاء في رسالة ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء، من قوله : إنّ القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة " وقوله " الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب ولاسنّة ، فاعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ... إلى أن يقول : ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ، راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، فإنّ مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل " [1]

وقد صرح ابن هشام نفسه برجوعه عن بعض آرائه النحوية عندما ترجح لديه الدليل . ومن ذلك : في مسألة مجيئ اسم الفاعل من كاد الناقصة، نقلها ابن هشام في أوضح المسالك عن ابن مالك في شرح الكافية، الذي استدل لها بقول الشاعر :

أموتُ أسىً يوم الرّجامِ وإنني يقيناً لرهنٌ بالذي أنا كائدٌ

فقال : " الصواب أن الذي في البيت : كابد، بالباء الموحدة، من المكابدة والعمل، وهو اسم غير جارٍ على الفعل، وبهذا جزم يعقوب في شرح ديوان كثير..."[2] – ثم رجع ليقول : "فالظاهر ما أنشده الناظم، وكنت أقمت مدة على مخالفته، وذكرت ذلك في توضيح الخلاصة، ثم اتضح لي أن الحق معه " [3]

---

[1] -سنن الدارقطني –تحقيق السيد عبدالله هاشم – ص٦٦-دار المعرفة بيروت ج٤ م١ حديث رقم ٥١

[2] - أوضح المسالك – ج ١ص٣٢٢

[3] - تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد – ابن هشام الأنصاري -ص ٣٣١ – تحقيق د. عباس الصالحي – دار الكتاب العربي ط١ – ١٩٨٦م

٤- من خصائص التدرج والرجوع عنده

يلاحظ أن أكثر الآراء التي رجع فيها ابن هشام في قطر الندى وهو من مصنفاته الأولى . وأن أكثر الرجوع تم له في مغني اللبيب، وهو من مصنفاته الأخيرة. وذلك يدل على تطور الفكر النحوي عنده عبر الزمن مستقراً به إلى آخر مداه في المغني، استبصاراً بالمسائل وتحقيقاً للقضايا وتفصيلاً لها في ضوء تزايد المناقشة وتكشّف الأدلة. كما يلاحظ أن آراؤه في التوضيح يداخلها كثير من التمحور حول آراء ابن مالك، مما يضيف عليها عمقاً أوسع لايسع ابن مالك تجاوزها دون تعليق أو توجيه تتأثر به آراؤه في مؤلفاته الأخرى.

ونماذج التدرج عنده تسيرفي المسألة الواحدة بصورمن التعمق و التوسع والتفصيل من غير أن يخالف رأيه فيها . ومن ذلك :

- **في علامات الاسم** ، نجدها في شرح قطر الندى، كما في شرح الشذور ثلاثاً .ونجدها في أوضح المسالك خمساً .

- **وفي رأيه في (ما) الموصولة** من قوله تعالى (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ ...) [١] جعلها في شرح القطر اسمية موصولة . وفي شرح الشذور ، موصولة ومصدرية، وأجاز في المغني أن تكون موصولة ومصدرية وكافة .

و من نماذج الرجوع والعدول عن الرأي السابق أيضاً:

- **في موقفه من فعل الأمر**، أمعرب هو أم مبني؟ تابع ابن هشام البصريين بجعله مبنياً في القطر والشذور واللمحة وأوضح المسالك . وعاد مع الكوفيين وجعله معرباً في المغني .

- **وفي الفعل المضارع :**

اختار ابن هشام في شرح قطر الندى وفي الشذور مذهب الفراء في أن المضارع مرفوع لتجرده من ناصب وجازم . ثم عاد في المغني ليقول مع مذهب البصريين برفعه لحلوله محل الاسم .

ومن الرجوع ما يكون على شاكلة التوسع في المسألة دون أن يترتب على الكلام ضرر من الحكم . نحو : قوله **في قطر الندى :**

" أن الماضي يعرف بتاء التأنيث الساكنة ، وبناؤه على الفتح كضَرَبَ ، إلا مع واو الجماعة فيضم كضربوا. أو الضمير المتحرك فيسكن كضربْت "[٢]

. . ولكنه في أوضح المسالك جعل : " الماضي مبنياً على الفتح كضرب وأما ضربْت ونحوه فالسكون عارض ... "[٣]

---

[١] - طه - ٦٩

[٢] - قطر الندى ص٣٣

[٣] - أوضح المسالك ابن هشام ج ١ص/٣٦

الفصل الثامن
ابن هشام ومحاولات التيسير قديماً وحديثا

المبحث الأول : محاولات التيسير قديماً – مواقف ودعوات

المبحث الثاني : محاولات التيسير الحديث

المبحث الثالث : المحاولات العملية الحديثة

المبحث الرابع : حول نموذج – كتاب تجديد النحو لشوقي ضيف

المبحث الخامس : محاولات الدراسات العلمية الحديثة

المبحث السادس: ابن هشام في ضوء المحاولات الحديثة

المبحث الأول

محاولات التيسير قديماً، مواقف ودعوات

- ابن هشام والتيسير

علاقة ابن هشام بموضوع التيسير والحاجة إليه في النحو، لا تحتاج إلى تنبيه، فيمكن القول إنه في فكره النحوي هو التيسير عينه. و كان النحاة قد توالوا قديماً على وضع المتون ، ونظم المنظومات والتكثيف من الشروح لكتب النحو، كمحاولات منهم لتيسيرالنحو وتسهيله على متلقيه . فأخذ بعض الدارسين يعلل هذا النوع من المحاولات بوسيلة من الوسائل التي لجأ إليها النحاة والعلماء لحفظ التراث من الضياع في المقام الأول، وذلك عندما كثرت الفتن واستشرت ، فتعرض التراث النحوي وسائر المعارف للضياع والإهمال. وقدأضحى ذلك منذ القرن الثامن وما قبله شغلهم الشاغل . كما لم يستبعد البعض أن تكون هذه الأعمال وسائل اتخذها النحاة لتمكين العقول من الحفظ الميسّر في الصدور ، خاصة فيما يختص بالمنظومات ، لأن المنظوم أطوع في الحفظ من المنثور .

وأياً كان الهدف فإن الواقع أثبت أنّ هذه التصنيفات لم تؤد إلى التيسير إلا بقدر ما كانت سبباً في زيادة التعقيد والإبهام من حيث الاستطرادات والتشعيب في العرض الفلسفي في كثير من مسائل النحو لدى القارئين، وأن كثافة البحوث وتعددها في مثل هذا النوع من التصانيف بين المصنّفين والمهتمين بالنحو ، جاء كتعويض لهم عن انصراف هممهم إلى التطوير الإصلاحي والتراكمي الذي ضاقت مجالاته أمامهم في النحو . وقد ظهر أثر ذلك في توقف الاجتهاد في النحو عموماً بين العلماء عند الغاية التي وصل إليها ، منذ ابن هشام وعصره، كنتيجة لاكتمال بلوغ الاجتهاد في النحو قمّته ، أو لتعذر الابتكار على من جاء بعد ابن هشام من علماء النحو ، فشُغلوا بالتالي بما تيسر لهم ، ألا وهو الاستمرار في ممارسة التآليف للتيسير والتسهيل في قضايا النحو بمثل تلك المحاولات وغيرها. وخاصة في العصر الحديث ، حيث عانى النحو أكثر مشاكل النفور من تعلمه والعمل به على الأقل في الأوساط التي تتطلب العمل به ، وذلك لضعف وسائله مع ثقل قيوده ، أو لبعد العهد لمتلقيه عن أجواء الفصاحة والبيان وخاصة مدارسة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى استفحال الاختلاط والامتزاج بالألسنة الغريبة وبالأهواء .

لهذا ينبغي أن نعرف أولاً: طبيعة الشكوى التي بدرت منذ فجر التأسيس ، ولم يكن لها صدى واسع كما هو في العصر الحديث ، مع تحليل مواقف الذين بدأوا في التذمر من صعوبة في النحو

ومسائله بين القدماء . وأسباب ميل علم النحو إلي التعقيد والعسر من وجهة نظرهم . وذلك لتأكيد اختلافهم عن المعاصرين في المواقف .

لم يكن بدعاً من القول دوران حديث المعاصرين حول دخول العسر والتعقيد في مسائل النحو جراء ازدحامه بعلل المنطق والفلسفة ، فقد سبق أن التفت إلي ذلك عدد من العلماء والدارسين القدامى منذ القرن الثاني الهجري فظهر موقفان متوازيان :

– **الموقف الأول :** موقف **صيحات الشكوى** والتذمر ، وأصحابه –غالباً– من المشتهرين بغير النحو من معارف يرفدها النحو، وأغلب هؤلاء اكتفوا بوصف المشكلة وبث شكواهم والإشارة إلى موا ضع اعتراضاتهم مما لحق بالنحو. ومحاولات هؤلاء هي المحاولات النظرية البحتة .

– **والموقف الثاني : موقف محاولات التيسير** والتبسيط لتخفيف العبء . وأصحابه من المتخصصين المشاهير بتآليفهم في علم النحو، وهؤلاء مالوا إلي التعويض عن الصعوبة بمصنفات تميل إلي اليسر والسهولة . **وهو موقف ابن هشام الأنصاري** . ومحاولاتهم أغلبها المحاولات العملية.

أبرز أصحاب الموقف الأول ومحاولاتهم هم أربعة من الأعلام :

١ – خلف بن حيّان الأحمر البصري .

عاش في القرن الثاني الهجري ، وتوفي سنة(١٨٠ هـ). " من أهل البصرة . راوية شعر، وهواستاذ أبي نواس ومعلم الأصمعي وأهل البصرة . من الوضاعين" .([1])

و " كانت أول محاولة ظهرت في هذا المجال – فيما نعلم – محاولة خلف بن حيان الأحمر البصري، الذي ألف رسالة أسماها : (مقدمة في النحو) يقول في بدايتها :

" لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل ، وأغفلوا مايحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر والطرق العربية ، والمأخذ الذي يخفى على المبتدئ حفظه ، ويعمل في عقله ، ويحيط به فهمه ، أمعنت النظر في كتاب أؤلفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل ، فعملت هذه الأوراق ، ولم أدع فيها أصلا ولا أداة ولا حجة ولا دلالة إلا أمليتها فيه ، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها علم أصول النحو كله، مما يصلح لسانه في كتاب يكتبه، أو شعر ينشده أو خطبة يلقيها، أو رسالة يؤلفها"([2])

---

[1] – الأعلام – قاموس وتراجم – خير الدين الزركلي – ص م ٣١٠/٢ – دارالملايين .

[2] - في تطوير مناهج تعليم القواعد ص ٢٠–المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –١٩٨٣

كما هو واضح من هذا النص ، أن عمله في رسالته لم يتجاوزالاختصار في الكم بتجريد قواعد النحو من العلل ، وتعدد أوجه الإعراب والخلافات المذهبية . عدا ذلك احتفظ بعلم أصول النحو كله من غير حذف ولا تبديل . وهذا عمل فيه من نزعة الاحتجاج أكثر من إرادة التيسير . مع ملاحظة سيطرة روح الأدب ورواية الشعرعلى عمله ، من ميل إلى الإختصار واللمح والإشارة ، مع الوفاء بالغرض . وأهم من ذلك يلاحظ فنها شيوع مراعاة المعلمين القدامى لعمر المتعلم ومقدار حاجته من الدرس .

٢ - **أبوعثمان- عمرو بن بحر بن محبوب** " **الجاحظ** ".عاش مابين(١٥٩ – ٢٢٥ هـ) .

و كان أديباً وكاتباً بارعاً ، يهتم بشئون العلم والمعرفة بشتى أنواعها . لم يكن من المشتغلين بعلم النحو ولاغيره إلا ضمن عموم معارفه الغزيرة . ([1])

من آرائه ،" أن الإكثار من النحو وتدريسه لذاته إنما هو مضيعة للوقت ومشغلة عما يعني الصبي–هوأولى به ، فهو يقول في إحدى رسائله :

" وأما النحو فلا تشغل قلبه – أي الصبي – به ، إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر أنشده ،وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به من رواية المثل الشاهد ، والخبر الصادق والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه ، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ، ولا يضطر إليه في شيء " ([2])

فمع شيوع نبرة الشكوى والتذمر في هذا النص ، يلاحظ دعوة الجاحظ إلى انتقاء ما يتناسب والمتلقي من النحو ، وترك ماعدا ذلك لمن يناسبه ، وهكذا لا حاجة إلى تعديل أو إختصار .– وهو رأي ردده الكثيرون من المعاصرين فيما بعد . ودلالة ذلك على أن ما عُد مفسداً لم يدخل الأصول والحدود ، وإنما هو في إضافات وزوائد يمكن إهمالها وتجاوزها .

---

[1] - تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية السابق – ص٢٤

[2] - دراسة مقارنة بين طرائق تدريس العربية– ص ٣٣ –للدكتورمحمد أحمد السيد – رسالة ماجستير

٣- **ابن مضاء القرطبي،** عاش بالأندلس ، في القرن السادس الهجري .

واسمه ، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) . كان فقيهاً قاضياً ذا نزعة ظاهرية .

" لم يكن من المنقطعين لعلم النحو ، ولم يعرف له فيه باع . لكنه ألف فيه كتابه " الرد على النحاة" ضد نظرية العامل في النحو الشرقي–لا ضد أصول النحو أوالنحاة ، كما قد يفهم في كلام النقاد المعاصرين . ولا كتبه ضد الفقه في المشرق كما هو المتوقع من فقيه ، ويستغرب ذلك شوقي ضيف فيقول : " والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضد فقه المشرق ، وإنما عني بالتأليف ضد النحو الشرقي ، فقد صب عنايته كلها على النحو " (١).

اتخذ الدين حجة لرأيه في خطأ النحاة وتجاوزهم على الله تعالى بالتقدير في كلامه، كما جعل من صلة النحو بالدين ذريعة للخوض فيه ، لا لشيء –كما يقول – إلا قصد النصح لهم والارشاد .

وتشكّى في كتابه قائلاً :

" إني رأيت النحويين –رحمة الله عليهم– قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا ، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا ، إلا إنهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكها ، ووهنت مبانيها ، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها ...

وقال : " على أنها – (أي، صناعة النحو عند النحويين) – إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول ، المجرد عن المحاكاة والتخييل ، كان من أوضح العلوم برهاناً ، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزاناً ، ولم تشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون " (٢).

هذه الفقرة من كتابه الرد على النحاة ، والتي حرص على الاستشهاد بها أكثر من واحد ، نشتم من الشكوى فيها رائحة عداء سافرلا يخرج عن كونه ديني مذهبي أكثر منه نحوي، التزم فيه صاحبه حدود الأدب والتقدير فيما يخص النحو وعلمائه ؛ فهو يحتفظ للنحاة بتقدمهم في حفظ كلام العرب وصيانته من التغيير بصناعتهم ، ويقر لهم ببلوغ الغاية من ذلك . ثم يمدح الصنعة مجردة من الفضول .

---

١ - ابن مضاء –الرد على النحاة – ص ١١ –١٢ – القاهرة –١٩٤٧م – و انظر دروس في المذاهب ص ٢١٨ .

٢ - قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية – د/محمد عيد ص٣٨– / ط– ١٩٨٩ م

فابن مضاء ، في كتابه لم يذهب إلى أبعد من الإنكار والمعارضة لنظرية هي من قبيل فضول العلل والتقدير – مثل من سبقه– ، لم يذهب إلى ما صفق له المعجبون المعاصرون : كالأستاذ "ابراهيم مصطفى" في كتابه (إحياء النحو) الذي سطى فيه على أصول النحو ، فلم يسلم من النقد . إذ رد عليه الأستاذ "محمدعرفة" في كتاب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة– ودافعه "عباس حسن ، حول نظرية العامل .

" طه حسين "الذي استبشر ساخراً وهو يقدم في المجمع اللغوي كتاب (الردعلى النحاة) بقوله :
لو أتيح لهذ المشرق أن يستمر في نقده للمناهج الشرقية لأدى إلى تغيير جوهري في نمط الحياة عند العرب " .

ومثلما أحدث كتاب طه حسين " في الأدب الجاهلي " خلال الثلاثينيات ضجة واسعة بين مختلف الكتاب . قامت هذه الضجة وغيرها حول كتاب (الردعلى النحاة) بالرغم من أنه لم يبلغ معشار ذلك الصدى الواسع الذي عرفته مؤلفات نحوية : كألفية ابن مالك ، وكتاب سيبويه ، وخصائص ابن جني ومؤلفات ابن هشام ، من التداول والشروح والترويج في المشرق والمغرب . بل ما كان ليبعث من تحت ركام المخطوطات لولا أن تداركه شوقي ضيف بالنشر والتحقيق فكان له كل هذا الصخب ، وما ذلك إلا لأنه صادف نفوسا متحفزة لمثل ما أثاره من الشكوى والتذمر .

وهو كذلك كان امتداداً لما دأب عليه الأندلسيون من نزعة إلى التمرد في كثير من جوانب حياتهم، فقد تمردوا على النظام التقليدي في الشعر ، فاستحدثوا الموشحات وصنعوا الزجل . وتمردوا على مذاهب الفقه ومناهج التفسير والكلام والمدارس النحوية ، فابتكروا الآراء والنظريات الخاصة بهم، وهم في كل ذلك لم يشذوا عن الأخذ من المنبع ، والاغتراف من الأصول ، سوى بإضفاء مسحة من التطوير عليها . وعدا ذلك – كان وابن مضاء أكثر حكمة من أن يكون قد انساق الي ما حاول بعض المعاصرين أن يلصقه به من تسفيه جهود السابقين . لمجرد العجز عن توصيل قواعد النحو إلى الصغار ، أو العجز عن مقاومة العامية والعجمة التي استشرت وطغت على فن النحو بينهم .

والذي استخلصه مما مضى : ان الرد على النحاة استطاع لفت الأنظار بشدة الى قضايا معروفة ، عرضها في قوة شجعت على ترديدها باعتبارها اساس أزمة تعلم النحو . وأهمها : كثرة العلل ، وتكلف التقدير والتأويل والكلام .

أما التقدير فلا أتصور الاستغناء عنه في بعض التراكيب ، خاصة حينما يكون المقدر مما لا يحتمل الكلام سواه . و وروده بكثرة في خلال التفاسير شاهد على ذلك . ولا نجد منه ما يمكن اعتباره تجاوزًا في كلام الله تعالى .

فلو رحنا نقحم مسائل الدين ، والحلال والحرام في النحو لأفسدناه ، ولما استقام لنا نحو ، كما أفسد بعض الفقهاء من البلاغة والأدب حين وصفوا أساليب المبالغة والتورية وما شابهها الكذب الذي لا يجوز للمسلم ، مستدلين بقوله تعالى (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ .." الآية) ([1]) مما حدا ببعض المستشرقين أن يتهموا الاسلام وتعاليمه بأنه أدي الى خمود روح الشعر والأدب ، عند مقارنتة بما كان عليه شعر الجاهلية من القوة . ولسكتنا عن النطق بإعراب أيٍ من أساليب القرآن الكريم ، تحرزا من النطق بالتقدير والحذف في كلام الله ، مثل تحرزنا من أن نقول في نحو (قال الله) : الله فاعل ، فنلجبأ الى التعبير :بـ (لفظ الجلالة فاعل). ولأحجمنا عن اعراب كل مبني للمجهول في كتاب الله ، ولاحترزنا من تعليل النصب في مثل كلمة (خيرا) من قوله تعالى : (هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْراً) ([2]) . وكلمة (والصَّابِرين) في قوله : (... والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابرِيْنَ فِي البَأْسَاءِ."([3]) . حتى لانقع في المحذور ، ومن ثم لايبقى لنا كلام له قواعد سوى ما كان من قبيل عامية لا تحرم حلالا ولا تحل حراما .

٤- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .

عاش في القرن الثامن – مابين (٧٣٢ –٨٠٨ هـ)

لم يكن من المشتغلين بعلم النحو . لكنه موسوعة جغرافية تاريخية في علم الاجتماع ، وكغيره كان النحو جزء من اهتماماته باعتباره جزءاً من بنية المجتمع الذي عني به .

كتب يقول شاكياً :

" فأصبحت صناعة العربية كأنها جملة قوانين المنطق العقلية ، أو الجدل ، وبعدت عن مناحي اللسان وملكته ، وما ذلك الا لعدولهم عن البحث عن شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه . وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم ، لكنهم أجروها على غير ما قصد بها ، وبعدوا بذلك عن ثمرتها "([4]) .

ثم ضرب ابن خلدون مثلا " كركتوريًا" لتوضيح الصناعية البحتة في تعلم هذا النوع من النحو، فيحصل للمتعلم اتقان صنعته دون تحقق هدفه وثمرته المتمثل في صون اللسان عن الخطأ واجادة التوظيف فقال :

" فهو بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ، ولا يحكمها عقلًا ، كما لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول : هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه ، وآخر قبالتك ممسك

---

[1] - الشعراء : ٢٢٤

[2] - المزمل : ١٩

[3] - البقرة : ١٧٧

[4] - مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون – ص ٢٦١ – مؤسسة التأريخ العربي – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان .

بطرفه الآخر وتتعاقبان بينكما ، وأضراسة الضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية الى أن تنتهي الى آخر الخشبة ... وهو لو طولب بهذا العمل ، أو شيء منه لم يحكمه " [1].

ويتضح من حديث ابن خلدون السابق ، أنه يشكو مثل ما شكا منه الآخرون ، واضعًا نصب الأعين حقيقة تأثر النحو سلبًا بالبعد به عن ثمرة اللسان . أي تحول النحو الى صناعة لفظية لا تخدم الهدف الذي وضع من أجله .

وخلاصة الأمر –

أن هؤلاء الأربعة : – خلف الأحمر ، والجاحظ ، وابن مضاء ، وابن خلدون – كانوا الأشهر بين أوائل الشاكين صعوبة في تعلم النحو جراء التمادي في مزجه بالفلسفة والمنطق ، وممن أبرزوا شكواهم وتذمرهم في صورة استنكار كلامي ، مكتفين بالإشارة الى مواضع الضرر وأثره .

أصحاب الموقف الثاني قديماً :

– هم من المتخصصين المشتغلين بعلم النحو ، فهؤلاء كانوا أول من فضلوا في تصديهم لظاهرة عسر النحو اخراج مؤلفات ميسرة تعالج – قدر الامكان مواطن الصعوبة ، عن طريق الاختصارات والخلاصات والايجازات والتسهيلات ، وغير ذلك من العناوين التي شاعت في مؤلفات كثيرة للنحو . و نشير الى أربعة منهم ، رابعهم : ابن هشام وكتابه (المغني) ، وإن كان قد سبقهم الى بعض ذلك ، كل من خلف الأحمر –في مقدمتة الآنفة الذكر، وأبو جعفر النحاس ت(٣٣٨) [2] . الذي أسهم مبكراً – بكتابه (التفاحة) ضمن العمليين . بيد أن هذين الأخيرين – خلف و النحّاس– أقرب فيما قدما إلى الموقف الأول ، إلا أنهما من غير المختصين بالنحو .

وأصحاب هذا الموقف الثاني هم :

١– **محمود بن عمر " الزمخشري"**

وعاش في القرن الخامس وأول السادس ، وتوفي (سنة ٥٢٨ هـ) . ألف كتابه الشهير " المفصّل" في النحو (سنة ٥١٥ هـ) شرحه ابن يعيش شرحاً وافياً عُرف بشرح المفصّل . نهج فيه الزمخشري الى التيسير والتسهيل مقدّماً أول محاولة لتنقية النحو من الفضول والجدل " [3]

---

[1] - مقدمة ابن خلدون – ص ٢٦٠ – وانظر قضايا معاصرة – د/ محمد عيد . ص٤٤

[2] - معجم المؤلفين – رضا كحالة – ص٨٢/٢ – دار إحياء التراث – ١٩٥٧م .

[3] - قاموس الأعلام - ص ٧/ ١٣٥

٢ – الامام أبو عبد الله محمد جمال الدين " بن مالك"

وعاش في القرن السابع ، وتوفي (سنة ٦٧٢ هـ) . أشهر علماء النحو ، صاحب" الخلاصة" الألفية المشهورة في النحو ، المتعددة الشراح من العلماء ، والتي طويت دونها مصنفات أئمة النحو من قبل ومن بعد . وهي تُعد صورة ناطقة من صور الاختصار والتقريب ، والبراعة في تطويع الشعرللإحاطة بالقاعدة مع أمثلتها والاشارة الى مذاهب العلماء وبيان آرائهم ومايختاره منها أحيانا ، في سلاسة تنسال على الألسن ، وتنصب منها في الأذهان . وألف كتابه التسهيل ، واسمه دال عليه في هذا الهدف من القصد الى السهولة .من أشهر شراح أعماله ابن عقيل ، وابن هشام في التوضيح كما مر. وكذلك الأشموني من القرن العاشر .

-٣ – عبد الله بهاء الدين "بن عقيل" .

وعاش في القرن الثامن ، وتوفي (سنة ٧٤٥ هـ) . " كان أنحى النحاة ، كما ذكرأبو حيان . اشهر مؤلفاته وأجلها – شرحه ألفية ابن مالك – الذي عرف (بشرح ابن عقيل) والذي انتشر وذاع ؛ لما تميز به من التيسير والوضوح والاقتصار في ايراد الجدل ومسائل الخلاف ، مما حدا بالبعض (الاستاذ – محمد محي الدين عبد الحميد) أن يلحق به "منحة الجليل" من تعليقاته التي أضفت عليه وضوحا على وضوح .

٤ – الامام– ابو محمد عبد الله جمال الدين – " ابن هشام الأنصاري" .

وهو موضوع هذا البحث، صاحب هذه الترجمة . عاش كما عرفنا : في القرن الثامن (٧٠٨ – ٧٦١ هـ). وعاصر ابن عقيل وتوفي بعده بست عشرة سنة.

وقد مر بنا أن ابن خلدون قال فيه : " مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية – يقال له ابن هشام – أنحى من سيبويه " .

وحسبنا هنا أن نضيف على ما أسلفنا، جانباً لم نتعرض له فيما سبق يخص هذا الفصل من البحث . وهو أن مؤلفات ابن هشام اشتهرت بنهجها للتيسير التطبيقي من بين سائر الميسّرين. وإذا كانت كتبه المختصرات قد أبانت عن هذا المنهج بالاختصار ، فإنّ كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) قد كشف عن ذلك بالجمع بين خصائص كثيرة في التيسير من حيث الاختصار والبسط والتوسّع والتنويع.

وقد راعى بذلك من وجهه إليهم من المتعلمين والباحثين الذين وصفهم بقوله في مقدمته : " وخطابي لمن ابتدأ في تعلم الاعراب ، ولمن استمسك بأوثق الأسباب "[١] . وهذا الكتاب الذي يقع في ٣١٢ صفحة ، ذكر أنه وضعه لاكمال ما بدأه في كتابه المقدمة الصغرى – المسماة (الاعراب عن قواعد

[١] - المغني – ج١ص١٧ – ت محمد محي الدين .

الاعراب) لما حسن موقعها عند طلابها ، مناشدًا لهم أن يغتفروا له الزلة ، ان قصَّر في تقريب البعيد ورد الشريد اليهم في مسائل النحو. وفي هذا اشارة الى ما نفذه في محاولته فيه إلى تيسير وتبسيط النحو.([1])

ولتحقيق هذه الغاية قسمه بحسب حاجات الطالب، ووفق ما يعتقد ضرورته للمتعلم ، وما يتوسم خفاءه عنهم . كتخصيصه (مثلاً) الأبواب :

الرابع : لذكر أحكام يكثر ورودها ويقبح بالمعرب جهلها .

الخامس : للأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهلها .

السادس : للتحذير من أمور اشتهرت بين المعربين ، والصواب خلافها .

ليضع بهذا أمامنا صورة واضحة للخلافات النحوية المقيتة ، وأثرها في افساد ملكة النحو .

وفي الباب السابع : تناول كيفية الاعراب في نهج يهدف الى التسهيل والتيسير فيه .

بينما ركز الباب الثامن : في ذكر أمور ثلاث ، يرى أنها السبب في التطويل المؤدي الى عسر الفهم والاستيعاب في النحو . وهي :

١– كثرة التكرار ، مع ماينشأ من الاختلاف في وجهات النظر مرة بعد مرة . وضرب على ذلك من الأمثلة الكثير: في تعدد أوجه الاعراب ، والخلاف في كون الاسم المرفوع بعد (اذا) فاعلا أم مبتدأ . من نحو قوله تعالى " اذا السماء انشقت ..." . وفي جواز العطف على الضمير من غير اعادة الخافض . وغير ذلك ، " مما اذا استقصي أمل القلم ، وأعقب اسأم " منبها للرجوع الى ذلك في الباب الرابع .

٢ – حشو الكتب بما لا يتعلق بالاعراب . ومثل على ذلك ، بالكلام عن اشتقاق (اسم) ، والاحتجاجات حول ذلك . والكلام على ألف (ذا) الاشارية ، والخلاف في زيادتها . مع ادخاله مباحث أخرى ضمن الحديث عن الاعراب ، كأن يذكر ما ورد في الكلمة من لغات ، وما روي من قراءات .

٣– اعراب مايسميه بالواضحات ، كالمبتدأ والخبر والفاعل ونائبه والجار والمجرور والعاطف والمعطوف . وقال : " أكثرالناس استقصاء لذلك الخواص " ([2])

فهو يرى أن الأمور الواضحة لا ينبغي حشو الكتاب بها فيطول للقارئ ؛ فالأمور فيها تكفي بالاشارة لتفهم .

خلاصة القول في هذا الفصل :

---

[1] - المغني ج١ص١٤ .

[2] - انظر المغني – ج١ص١٧

إن كتاب (المغني) لابن هشام ،جاء خاتمة اجتهادات السابقين في التيسير منذ بروز عوامل الصعوبة ومظاهر العسر في النحو وتعلمه . وإنهم جميعاً حاولوا خوض التيسير مستشعرين ضرورته للنحو، وسلكوا طرائق متعددة عن طريق الصيحات ودعوات الشكوى ، أو بتوجيه الانتقادات التي تهدف إلى التخفيف من العسر في النحو . وهؤلاء كانوا الأشهر بين النحاة والأسير أقوالاً ومؤلفاتٍ في ذلك . لتتضح لنا صورة محاولات التيسير جلية عند تناول هذه القضية التي طرقها المعاصرون على ضوء ما استجد عندهم فيها بالفصل التالي .

المبحث الثاني

محاولات التيسير الحديث

لابن هشام كذلك، ارتباط واضح ومباشر بمحاولات التيسير الحديثة تتمثل في ما يمكن أن نستشفه من أسس وقواعد تطابقت عنده في هذا المجال مع المُحْدَثين ضمن برامجهم التيسيرية التعليمية لتذليل النحو .

١ – ظروف نشأة المشكلة .

كانت **الظروف** التي نشأت فيها مشكلة تعسر النحو في العصر الحديث قد تمحورت حول التلاميذ باعتبارهم الموضوع والبيئة المستهدفة لبناء الفكر النحوي السليم من أساسه، وبالتالي فإن التحديات التي واجهت العصر تحديات جمة، أهمها :

أنّ قيام التعليم النظامي – عوضا عن نظام الحلقات والكتاتيب ودور العلم ومجالس الكبراء– كان أول ما أحدثته عوامل النهضة في الوطن العربي من بين ما أحدثت منتصف القرن العشرين من آثار شملت حياة أمة طال ركودها وسكونها ، بعد قرون نهضتها في السابق . فنهضت تنفض عنها ركام عهود الانحطاط الثقافي ، والعقم العلمي الذي ران عليها على مدى قرون عدة في عصر المماليك ثم الأتراك . بعد ذلك جاء المستعمرون الذين أبدل الله تعالى– بحوله وقوته – ضررهم نفعا على الأمه العربية . لتنهض من غفوتها بما جلبه لها من حضارة ، ربطتهم بماضيهم العريق المستنير الذي انقطع . وكونها أمة ذات حضارة عريقة ، دستورها القرآن الكريم ، لم يعزب عنها أن تلم بالنهضة في أسرع مما يتصورانسان ؛ لأنها انما تمارس –حينئذ– بسجيتها نهضة أجدادها على نحو لم يكلفها سوى التفاتة هنا أو هناك ، بين ركام التراث الخصب ، وعلى ثمار المدنية الحديثة .

ذلك التعليم النظامي ، برزت من خلاله مشكلة النحو ، وصعوبته ، ونفور طلاب العلم عنه بشكل واضح وجلي ، نتيجة عوامل كثيرة ، بعضها من افرازات نظام التعليم ، ومزاحمة مواده العديدة لعلم النحو على الطالب في الزمان والمكان . فكان من الطبيعي أن " نجد أنفسنا أمام مشكلة تمثلت في كثرة الأخطاء النحوية في تعبيرات الناشئة والمتخرجين من مدارس التعليم العام . على الرغم من العناية الكبرى التي يلقاها تعليم النحو في الوقت والجهد .."([1])

يقول .د/ محمدعيد :

[1] –تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية –ص١٥ .

" فصعوبة النحو اذن فكرة تكاد تصل الى حد البديهيات بين جميع المستويات الاجتماعية المختلفة ، ابتداء من المتخصصين في النحو ، الذين يرجون أن تستعمل الفصحى النقية في مجالات الفكر الراقي والتأليف والقاء المحاضرات والخطب ، وتداول الأحاديث الجادة والحوار وانتهاء بأولئك العوام... " ([1])

(ومن باب أولى الدارسون ..) " ... من المتخصصين في غير النحو واللغة ، من المشتغلين بالدراسات الانسانية من أدب وقانون وتأريخ واقتصاد ، أو بالعلوم التجريبية من طب وعقاقير..." ([2]).

وذلك ، خلافا لما كان عليه الأمر لدى غير المتخصصين في النحو واللغة من القدماء ، من بقاء علم النحو واللغة جزءًا من معارفهم الرئيسية ضمن تخصصاتهم الأخرى ،

٢ – مشكلة ضعف التلاميذ في النحو ، وآراء الدارسين .

في ضوء هذا الزخم – كان السؤال العريض الذي لاح في الآفاق نتيجة لما سبق هو :–

ماالسبب في هذا الضعف ؟؟

وفي الإجابة على ذلك السؤال، كانت أول التفاتة وُجهت ، استهدفت ضعف التلاميذ في النحو وأسبابه . ففي ثلاثينيات القرن العشرين ، رأى الدكتور "طه حسين" .....

" أن لغتنا العربية لا تدرس في مدارسنا ، وانما يدرس فيها شيئ غريب لا صلة بينه وبين الحياة ، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته .." ([3])

وفي الخمسينيات ،

ترى " سهير القلماوي " :

" أن اللغة ، تلك الأداة الضخمة ، وسيلة الاتصال والعلم ، إذا ما عُطّلت في مجتمع ، أو إذا ما اعترضت سبيلها الصعاب ، فان الفرد ، بل المجتمع كله يشل ويقف ؛ فلا اتصال ولا إعلام يدفع بحيويته الى التدفق والرقي والسير في ركب الحضارة " ([4])

---

[1] - قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية – الدكتور محمد عيد –ص ٣٧ - عالم الكتب ١٩٨٩م .

١- قضايا معاصرة – ص٣٧ – د/محمدعيد

[3] - تطوير مناهج تعليم القواعد السابق – المنظمة العربية . ص٥

[4] - المرجع نفسه ص ٦

وفي الستينيات ،

تعالت صيحة "بنت الشاطئ" ، اذ تقول :

" الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية ازداد جهلاً بها ، ونفورًا منها وصدودًا عنها ، وقد يمضي في الطريق التعليمي الى آخر الشوط فيتخرج في الجامعة وهولا يستطيع أن يكتب خطابًا بسيطًا بلغة قومه .."([1])

وفي السبعينيات ، يقول "هادي نهر" :

" ان لغتنا أصبحت اليوم كمئذنة يلفّها الغبار ؛ فالناطقون يضيقون بها ويهربون من قواعدها وتراكيبها ، بل ان بعض المتعلمين العرب لا يعرفون تركيب جملة عربية سليمة السكنات والحركات ، والأنكى من ذلك .. أننا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها لا يدركون فصاحة القول ، لسانهم يلحن ، ومعارفهم اللغوية على المستويات كلها لا تتناسب وشهادتهم الجامعية ([2]). "

وقد رافق هذا الاحساس بالضعف التفكير والبحث عن الأسباب ، فتعددت الآراء التي دارت حول رداءة المناهج والخطط ، وجوّ الدراسة ، وجفاف القواعد ، وتدنّي مستوى التعليم والمدرسين والكتب الدراسية ، وجهل التلاميذ بالغرض مما يدرسون ، وانتشار العامية ، وعوامل أخرى سياسية وخارجية ، ونحو ذلك ..

و من بين تلك الأسباب ، استأثرت المادة النحوية بالنصيب الأوفى من التركيز في محاولات الحلّ بالتيسير ، التي أعقبت ذلك . كما لم تخلُ تلك الالتفاتات من حدّة وتجاوز عنيف . فقد أشار في هذا الاطار "طه حسين" في صرامة الى :

أن القواعد النحوية قيود وأغلال ، وأنه ينبغي تخليص اللغة العربية من تلك القيود ، حتى تتلاءم ورقينا السياسي والاجتماعي والعلمي المطرد .

وأشد منه دعوة "الجنيدي خليفة" في : " نحو عربية أفضل " باقتراحه إعفاء مواطني الأمة العربية من الإعراب ... وذلك الخراب الفكري والنفسي الذي لا طائل تحته – على حد تعبيره ([3])

---

[1] -تطوير مناهج تعليم القواعد – ص ٧

[2] - المرجع نفسه – ص٨

[3] - نحو عربية أفضل – الجنيدي خليفة –ص ٧٨ - وتطوير مناهج ص ٦٨

وخلاصة الأمر :

التعليم النظامي رغم إيجابياته الكثيرة لم يخلُ من سلبيات أثرت على تعلم وتعليم النحو، ففاقمت صعوبته ، وذلك نتيجة لازدحام المنهج الدراسي ، وبالتالي اختصار الزمن . ونتيجة اقتصار تلقي النحو على فترة زمنية محددة من عمر الإنسان لايتجاوزه ، مع غياب شيوع النحو فيما يتلقاه المتعلم من المعارف على خلاف ما كان عليه القدماء .

كما أن التعليم النظامي قد أبرز الضعف المستكن في الطلاب بالنحو جلياً ، مما حدا بالكتاب والباحثين إلى التفكير جدياً في البحث عن الحلول تلو الحلول بوسائل عديدة .

٣ : المحاولات النظرية الحديثة ، بين الاعتدال والتطرف .

دارت بحوث ومحاولات التيسير عند الكتاب في ثلاث سبل تسبرأغوار المشكلة ، وتخلل أسباب صعوبة النحو وعقم مناهجه الدراسية . مابين الاعتدال والتطرف ، هادفة كلها الى محاولة تيسير النحو وتقريبه الى الناشئة والدارسين ، وتحبيبه الى نفوس الجماهير العربية .

وهذه السبل أولها :المحاولات النظرية ، وقد تمثلت في : **صيحات الشكوى ..ودعوات للتيسير**

و برزت هذه الصيحات والدعوات في صور متعددة ، اتسم بعضها بالأناة والاعتدال ، بينما اتسم بعضها الآخر بالعنف والمغالات .

وممن اتسمت دعوتهم بالأناة والاعتدال :

- الأستاذ عباس حسن ، في (اللغة العربية بين القديم والحديث) ،
- والدكتور نوري حمودي القيسي ، في : (نحو عربية سليمة) .
- وكذلك ما جاء في قرارات المؤتمرالثقافي لجامعة الدول العربية الذي عقد(سنة١٩٤٧م) . ومما تعلق بالقواعد النحوية منه– : " إن المؤتر يرى أن قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وإملاء ، تحتاج إلى تيسير وتبسيط يقربها من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة .." ([1]) .
- ومنهم "صبحي الصالح" في مقدمة كتابه : (النحو العربي)([2])
- ومنهم : "هادي نهر" في : أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية ، بتونس /ديسمبر، (سنة١٩٧٨م) .

[1] - – تيسير اللغة - ندوة اتحاد المجامع– بالجزائر ص٦٣

[2] - النحو العربي – صبحي الصالح – ص٦

أما الدعوات التي اتسمت بالعنف ، ومالت إلى القضاء على الإعراب ، وتخليص تدريس اللغة منه . فمن أقطابها :

– " الجنيدي خليفة" الذي سبق ذكره ، يقول مستنفراً في كتابه (نحو عربية أفضل) :

" أداءً لبعض الواجب الذي يشعر به عربي تجاه أمته ، ومستقبل لغته وثقافته ، أرفع إلي أولي الأمر من المسئولين العرب الدعوة إلى العمل لإعفاء مواطنيهم من ذلك العبث الذي لاطائل تحته([1])

– ومنهم : الدكتور "طه حسين" الذي تميّزت دعواته وشكاويه بالسخرية اللاذعة من قواعد النحو وتدريسها . فتحت عنوان : يسّروا النحو والكتابة – يقول – مهاجمًا ما يسميه المماحكات والتأويلات التي تكتنف تدريس النحو في المدارس – :

" إذا أردت أن تعلّم النحو لهؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدهم أن يفهموا قولك (قُرِئ الكتابُ) : أنّ قُرِئ فعل مبنيّ للمجهول ، والكتاب نائب فاعل ، لأن الفاعل قد حُذف لغرض من الأغراض التي تُذكر في علم المعاني ، وعلم النحو ، وأُنيب عنه المفعول به ! فكيف تريد من التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم تتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام ؟ .

ما هذا الفاعل الذي حذف ؟ وما هذا المفعول الذي أنيب عنه ؟ وما هذا المجهول الذي بني له الفعل ؟ "

وعلى مذهب ابن مضاء الأندلسي الذي تقدم في (الرد على النحاة) ، يواصل الدكتور طه حسين قائلاً :

" وعندما تريد أن تفهمه قول الله تعالى :

"(وإنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فأجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنهُ)" ([2]) ، قلت له :

إنّ (أحد) في قوله : "وان أحد من المشركين :" فاعل لفعل محذوف تقديره (استجارك) ، وان تقدير الآية : "وان استجارك أحد من المشركين استجارك " ، فيسألك التلميذ : وأين توجد استجارك الأولى هذه ، ومن أين نأتي بها ، وفي وجود هذا الفعل مرتين ؟ ولم لانكتف بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم ؟ كيف تجيبون ؟ (ويضيف طه حسين) :

أما أنا ، فقد سألت أحد الشيوخ عن إعراب هذه الآية فأعربها كما تسمعون ، فقلت له : ياسيدي أتزيد في كلام الله ؟ " ([3]).

ومن هؤلاء الساخطين أيضا، " أمين الخولي" في محاضرة له بعنوان (هذا النحو) في جامعة القاهرة – (يوليو ١٩٢٤)، يدعو فيها الى التخلص من الإعراب وعلاماته .

---

[1] - – نحو عربية أفضل – الجنيدي خليفة ص ٧٨ .

[2] - التوبة : ٦

[3] -–مجلة الآداب – طه حسين / ص٤ / و ص ١٧ – سنة٤ عدد /١١

وقف في وجه هؤلاء المتشددين وأمثالهم عدد من المعتدلين ، منهم، –عباس حسن – ومما قاله : يعجز العاجز عن الرسم والتصوي فيجاهر بإلغاء قيودهما ، ويعجز الصبي عن بلاغة القول وفصاحة البيان فينادي بإلغاء علوم البلاغة ، ويصفها بأنها عبء ثقيل وتضييق لا خير فيه ، ويتلوى لسان الجاهل بالكلام المأحون والضبط الخاطئ والأسلوب المشوّه فيجأر بالشكوى من النحو ، وأنه تعجيز وإرهاق لا طائل وراءه ولاضرر في اهماله وإلغائه . وهكذا نجد لكل علم أو فن عدداً من جهاله العاجزين عن تحصيله ، والمقصّرين في ميدانه ، لا يرون لدائهم برءاً إلا في إلغاء ما عجزوا عنه وتخلفوا فيه . ولو استجاب القدر لصراخهم لألقى عهد العلم والفن ، وتغوضّت دعائم الحضارة ، واختفت مظاهر الانسانية .." ([1]).

وتذهب "بنت الشاطئ" الى : أن التيسير المتمثل في الإلغاء والحذف أو الإضافة لا يحل المشكلة . فتقول : " أخشى أننالا نملك إلا الوقوف عند الوضع الحالي لا نمسه بتغيير جوهري ، وإنما قصارى ما نحاوله أن نعيد توزيع أبواب المناهج المدرسية للغة العربية ... ثم نريح أنفسنا ، فنعطي المدرس الدور الأول في إصلاح التعليم ..." ([2])

ودعا "سليم النعيمي" في كتابه (تيسير تعليم اللغة العربية) الى : أن النحو جهاز كامل ، لايقبل الحذف . يقول :

"عرف القدماء النحو : بعلم يعصم اللسان عن الخطأ في الإعراب ، وعرفوا الإعراب : بأنه التغيير الذي يطرأ على آخر الكلم بتغيير العوامل الداخلة عليه ، وأشهد أن النحو كما وضعوه ليصون اللسان عن الخطأ ، علم كامل ، وهو على أنه : جهاز كامل يفسده أن يُحذف منه جزء .." ([3])

ونخلص إلى :

أن المحاولة الأولى للتيسير في العصر الحديث بدأت بمواجهة تحديات العصر وظروفه، ببذل الآراء في البحث عن المشكلة. وقد تصدى لذلك أبرز علماء القرن في الخمسينيات والستينيات. فكما قام من يتهجم على جوهر النحو ، قام من يدافع عنه من الأعلام الحادبين على اللغة .

وقد مهدّت تلك الشكاوى والصيحات الشفهية للحملات العملية في تصحيح مسار النحو العربي الذي يتلقاه المتعلم في الوطن العربي..فتواكبت الآراء النظرية المعتدلة والمتشددة عمقاً في الفكر وإحساساً بجذور المشكلة النحوية . ومعظم المحاولات في هذا الطور كانت نظرية بحتة إلا ومضات قليلة، كمحاولات القدماء السابقين من أمثال الجاحظ وابن مضاء ، **وابن هشام**

---

[1] -–اللغة والنحو بين القديم والحديث – عباس حسن – ص ٦٦ ٠- وانظر -تطوير مناهج القواعد النحوية السابق ص٦٦

[2] -–لغتنا والحياة – بنت الشاطئ ص ١٩١– وانظر المر جع السابق : تطوير مناهج ص٦٧

[3] - اتحاد المجامع العلمية السابق– د/سليم النعيمي – وتطوير مناهج – ص٦٧

المبحث الثالث:

المحاولات العملية

١ : مسيرتها

البدء بصيحات الشكوى والتذمر وصراع الآراء بين المتشددين والمعتدلين كانت محاولات نظرية للتيسير وإن صاحبتها أحياناً بعض الجهود العملية. فعرض بعض الدارسين في طياتها نماذج عملية في تدريس النحو، وفحص المشاكل والعقبات. كما اتضح ذلك من عمل ابن مضاء في العامل، وابن هشام في المغني. وقد تواصلت المحاولات في **المجالات العملية**. فقدم بعض الدارسين نماذج وقوانين في النظم التعليمية وطرق التدريس، كعمل "سامي الدهان" ، في كتابه : **(المرجع في تدريس اللغة العربية)** الذي نستعرضه هنا أولاً، وهو أكبر نموذج متكامل يمثل هذا النوع من المحاولات الحديثة التي رسخت كنظام تعليمي يجري العمل به في سائر البلدان العربية . وقدم آخرون دراسات حملت اقتراحاتهم في إعادة صياغة المادة النحوية وفق رؤيتهم التيسيرية لأسباب الصعوبة وطرق معالجتها . ونتناول ثانياً نقد الدكتور" محمدعيد " في كتابه : (قضايا معاصرة) لما جاء في كتاب : (تجديد النحو) للدكتور " شوقي ضيف". بما يكفي لتتوضّح الصورة المربكة التي انتهت إليها معالجات التأخر في الفكر النحوي عند الباحثين وأمام الدارسين . وقد توالى بعد ذلك ظهورالكتب الدراسية التي تنتقي بعناية من أبواب النحو ما تراه مناسباً ، وتنسق وفق قواعده الأمثلة الهادفة الحية .

ومع ملاحظة الفارق مابين الجيلين، والظروف المؤثرة المحيطة بكلٍّ. يمكن مقارنة هذه المجريات **بالجهود الفكرية لابن هشام** في إطار النحو التعليمي كما يأتي.

وليس يخفى أن النصيب الأوفى من تلك المحاولات كان منصباً على المادة النحوية من بين فروع العربية الأخرى ، وقد انطلق القدماء من هذا الأساس إلى آفاق التيسير، فكان الاجماع تام بين القدماء والمعاصرين على عمق المشكلة في المادة النحوية ؛ واشتمالها على بواعث النفورمن كثرة التقديرات والتأويلات والتعليلات ، ونحو ذلك مما يذهب بالعقول المذاهب .

وكانت أول محاولة عملية للتيسير تم الاطلاع عليها في تراثنا قديما هي– كما أسلفت– محاولة "خلف بن حيان الأحمرالبصري" ، في (مقدمة النحو) ، وكذلك" أبي جعفر النحاس" في محاولة مماثلة له ، بكتابه (التفاحة في النحو) .

أما في العصر الحديث ، فقد قامت عدة محاولات ، أولها : محاولة " ابراهيم مصطفى" في **(إحياء النحو)** . وكان في محاولته تلك ثائرًا على النحويين الذين قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء ، دون أن يبحثوا خصائص الكلام ، من تقديم وتأخير ، ونفي وإثبات وتأكيد .

وذهب إلى : أن المتكلم هو الذي يحدث الحركات لا العامل ، الذي طالب بالغائه . كما ذهب الى أن التنوين علم التنكير ، وأن الرفع علم الإسناد ، وأن الجر علم الإضافة ، وأن الفتحة ليست بعلم إعراب ؛ لأنها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب في ختم كلامهم ... ونحو ذلك من الافتراضات .

وقد تعرضت محاولته لنقد رجال الأزهر وبعض الكتاب، فلم تثبت .

٢ : حول كتاب المرجع في تدريس اللغة العربية .

للدكتور سامي الدهان . وقد ضمنه رسالته في التعليم ، يقدمها مرجعاً إلى مدرسي اللغة العربية في الوطن العربي عامة . وإلى المغرب العربي والجزائر خاصة،حيث معركة التعريب حينها قد بدأت تؤتي ثمارها .

افتتح الموضوع بإشارة مهمة إلى حقيقة التجدد المستمر في حقول التربية ووسائلها ، وأن كل بحث جديد فيها ما هو إلا نواة تنطلق منه البحوث والمناقشات والتطبيقات المتجددة ، وتتغير كلما أثبتت التجربة أمراً جديداً ، أو أوضحت غامضاً ،أو دلت الدروس العلمية إلى شيء يدعو إلى الإضافة والحذف .

كما ألمع إلى اتصال حلقة التأثير والتأثر بين الدارسين والباحثين في هذا الحقل ، وتكاملهم بحيث لا يستغني اللاحق من الإفادة من بحوث السابق وتطويرها ، في حلقة مستديرة .

(هلْ غَادرَ الشعراءُ من متردّمٍ ***أمْ هلْ عَرفتَ الدارَ بعدَ توَهُّمٍ)[١]

قال : " لقد أفدت في كتابة هذه الصفحات من أساتذتي ، ومن أدباء العربية ، فقرأت ما ألف هؤلاء في نصرتها وفي تدريسها من كتب لا أستطيع هنا أن أعرض لها كلها بالتفصيل ، ولكنني لن أغفل بعضها ، فقد كان لها أثركبير في نفسي .." [٢]

وعدّ منهم :" بدر الدين النعساني" في كتابه (التعليم والإرشاد) ، في نقد طريقة التعليم بالأزهر . ومانشره الدكتور "طه حسين" ، في كتاب (روح التربية) ، الذي صدره بقوله :" إن كل نهضة قيمة رهينة بشيء واحد ..هو الإصلاح .. . وماكتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات" في كتابه (أصول الأدب) . وفيه ذكرياته

---

[١] - لعنترة العبسي – من مملقتته

[٢] - المرجع في تدريس اللغة العربية – الدكتور سامي الدهان – ص ٦ – مكتبة أطلس – دمشق ١٩٦٢-١٩٦٣م

عن التعليم ، وكيف ألقى أول درس في العربية . وعرض للنحو وغيره ، ناقداً الطريقة والأسلوب . وكُتب للمازني وللعقاد وغيرهما من هؤلاء الأعلام الذين أنفقوا حياتهم في عشرة اللغة العربية وفي تدريسها . فهم أعرف الناس بأسرارها ، وأقوى العلماء على إصلاحها وتيسيرها ، وتبيان الطريقة الصالحة لتعليمها . والكل يشكو ضمناً من أساليب التعليم الملتوية التي سلكوها لذلك أرسلوا العلاج ليجنبوا الجيل الصاعد المزالق والأخطاء . ([1])

منهج الكتاب :

يخاطب معلم العربية في المقام الأول . فتكلم في الباب الأول عن : خطوات أساسية في خدمة اللغة العربية . فأشار في هذا الصدد ، أولاً : إلى وجوب العناية بالمفردات والشعر الجاهلي كثروة لغوية غنية ، لايستغني عنها المعلم والمتعلم، تمدهما بزاد كبير وغني وواسع . وتطرق ثانياً : إلى خمس من العقبات ، يرى أنها تقف أمام مدرسي اللغة العربية ، وعليه أن يتصدى لها ويتغلب عليها . وهي :

-**اللغة العامية – والمدرسة نفسها – والبيئة العامة – وساعات العربية – والكتب** .([2])

عقبة اللغة العامية :

ولاستحالة التخلص من العامية دعا إلى العمل على تقريبها من الفصحى – فيما أسماه اللغة الفصحى الميسرة– ويرى أن ذلك ممكن عن طريق العمل على تخفيف الحركات حين الارتجال وحذف الألفاظ الدخيلة الطارئة من عصور الانحطاط (كالتركية) ، وحذف بعض الحروف التي أدخلتها اللهجات في أوائل الأفعال ، نحو : (بيلعب – بيقول) .

عقبة المدرسة :

وتتمثل في عكوف مدرسي كثير من المواد الأخرى على العامية في تعابيرهم ، وعلى الألفاظ الخاطئة في جملهم ، مما يترتب عليه زرع الشك والشوك في سبيل مدرسي اللغة العربية . فمدرس العربية يبني ، وزملاؤه كثيراً مايهدمون .

(متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ * إذا كنتَ تبنيهِ ، وغيرُك يهْدُمِ)**

---

[1] - المرجع في تدريس العربية ص٨

[2] - المصدر نفسه – ص ٢٠ - ٢٧

ودعا إلى وجوب أن يفرض هؤلاء المدرسون على طلابهم التحدث بالفصحى ، والعكوف على الارتجال الصحيح .

عقبة البيئة العامة ' :

ونبه إلى : أن مافسد من ألفاظ في البيت والشارع والحافلة والنادي والسوق ودور التمثيل ، وما تحمله الصحافة والمجلات الملتوية المنحطة في تعابيرها وأساليبها من موضوعات يستسيغها الشباب والعامة ، كالرياضة والفن، يحمله الطالب إلى المدرسة . ويرى أن المواجهة لدرء ذلك الداء ، يكون بزرع الشوارع بأسماء الأعلام ، وتزيين الواجهات بالحكم العربية ، وترجمة الأشرطة إلى لغة جميلة ، وفرض التحدث في الأفلام العربية بلغة فصحى ، وترجمة الأجنبية بلغة سليمة مما يفيد معلم المستقبل . وانتهى بالتعليق على ذلك بقوله : (لكنه ..لم يقع هذا حتى الآن) .

عقبة ساعات العربية :

وهي عنده تتمثل في تخفيض ساعات اللغة العربية بالتساوي مع ساعات اللغة الانجليزية ، ويرى أن الأجدى مضاعفة الدروس العربية مضاعفة كبيرة ، وتقسيم فروع الثانوية والإعدادية الى (أدبي وعلمي) منذ الصف الأول ، فيُخص الطلاب بساعات للإنشاء أو التعبير، منها الشفوي ، ومنها الكتابي ، ويقول :

" شر ما نخشاه أن لا يجد طلابنا ساعات كافية للارتجال والتعبير عما في نفوسهم شعرا ونثرا . "

(من الواضح هنا– أن سامي الدهان ، يعد من أوائل القائمين على الدعوة بتوزيع المسار العلمي والأدبي المعمول به الآن ، وأن ذلك يسهم لاشك يسهم في توفير الطالب المختص بالمسار الأدبي لدراسة اللغة بتوسع ، اذا ما اشتركت كل مواد المسار الأدبي ومدرسوها في خدمة أهداف اللغة، وإذا ما شمل ذلك المراحل الأولى من التعليم .

وأشار الى وجوب خدمات الساعات وترابط أجزائها : الإنشاء يعين المطالعة ، والمطالعة تعين المفردات وتكسبها المحفوظات، والإملاء يكسب الاستظهار نصوصا . " فالعدد من حيث الكم ، والعدة من حيث الكيف هدفان في إصلاح مناهج الدروس العربية " .

ونبه الى أن التطوير الذي سلكه الغربيون ، بجعل التاريخ نصوصا لأدب الرحلة ، والعلوم نصوصا أدبية في وصف الفضاء والكواكب ..... هو الأمثل الذي ينبغي أن يسلك .

وأخيرا ، صرح : بأن هذه العقبات الكثيرة لا يذللها المدرس وحده، وهو إنما يبسطها أمامه ليتجنبها ، وليعلم أي عبء يقع على كتفيه مذ يلم بالتدريس .

.

عقبة الكتب :

وتقع فيما يتداوله الأبناء من الكتب في فروع المعرفة ، وتغلب عليها الترجمة في لغة ركيكة مفككة ، فلا تفيدهم في العربية فائدة كبيرة .

وفي كتب العربية نفسها ، وما تحتاجه من صقل في المختارات ، وتلوين الثقافات ؛ كترجمة صفحات من الآداب العربية بلغة الفحول عندنا ، واختيارالقطع الفنية وترجمتها لإضفاء الأفكار والتيارات الجديدة على الأدب العربي . مع تزيين وتزويق الكتب باللوحات المصورة للطبيعة ؛ ليكون الكتاب للطالب مرجعا وبستانا وروضة في بيئتة البيتية . على نحووصف الجاحظ للكتاب بقوله : " بستان يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر .." . ([1])

ووصل تلك العقبات بالحديث في الباب الثاني عن وظيفة اللغة وقوميتها ، ليخلص إلى أن مهمة مدرس العربية أن يستجلب السمع ، ويجتذب النظر ويقرب الأذهان من لغتنا المقدسة ؛ أي أن يمارس تحبيبها إلى مستمعيه بشتى السبل . ولن يكون ذلك كذلك إلا بالتفاني في الدفاع عنها وتمثيلها أمامهم بأروع الأمثلة . وبذلك يحفظ للوطن حدوده وقوته وحماه .

وفي الباب الثالث ، قرن اللغة العربية بالحضارة الإسلامية ، كأهم مظهرمن مظاهرها . وخلص إلى أن المدرس للعربية ليس آلة لتلقين المحفوظات والنحو ، وترديد الأبيات . لكنه صانع لجيل ، منشئ لشباب يكون على طراز جديد من فهم الميراث العربي ، وتكوين الأديب المقبل .

ولا يكون أمره كما ذكر إلا إذا مارس النقل الواعي من القديم والجديد ، مبشراً بعظمتنا وعظمة الإنسانية حين يمكن الانتفاع بها .

---

[1] - جواهر الأدب – السيدأحمد الهاشمي ج١ص٢٢٣ .

وفي الباب الرابع : تعرض للنقاط الهامة قبل التدريس ، لخصها في :

-دراسة الوسط – ووضع الطلاب – وجلال المهمة – والتخطيط – وفائدة الدروس الأخرى لتدريس العربية .

وأشار في **الباب الخامس** إلى أنواع الطرق العامة للتدريس . وهي أربع :

أ– الطريقة التلقيفية ،أو الإلقائية ، أو الإخبارية : ([1])

وهي أقرب إلى المحاضرات منها إلى التدريس . ويرى أنها أصلح ما تكون لطلبة الدراسات العليا ، وأنها غير مجدية للصغار ؛ لحاجتهم إلى المشاركة وتلخيص المدرس . فهي تضيع عليهم النشاط . ولا يلجأ إليها إلا للضرورة ، ولضيق الوقت ، وحينئذ يستحسن مزجها بغيرها

ب –الطريقة التنقيبية :

وتعتمد على التنقيب ، بسؤال من المدرس يكلف الطالب البحث والتنقيب عن معلومة في كتاب ، أو تلخيصها للطالب بشكل لايثقل عليه . ونحتاج في هذه الطريقة إلى : -- قلة أعداد الطلاب . – وتوفر مصادر المعلومة .

ويرى أنها تصلح أن يستعملها المدرس مرة كل شهر ، أوفي بعض الأحيان . وهي نافعة لو طبقت على الوجه الصحيح ، وتوفرت لها الوسائل . ولكن الدكتور سامي يقول : " لكننا لا نزال في أول الطريق من حيث المكتبات في كل صف ، أو في كل حي ، أو في المتناول الميسور .

ج –**الطريقة الإستنتاجية :**

وفيها يطرح المدرس أمثلة من النحو ، يعرضها على طلابه ، ويبعثهم على الاستنتاج ، فيسيرون رويداً رويداً حتى يبلغوا إلى استخراج قاعدة يطبقونها على هذه الأمثلة .

فمثلاً : إيراد عدد من الأسماء معتلة بالألف تشترك معاً ، وأخرى معتلة بالياء تشترك معاً . ثم البحث عن وضعها في الرفع والنصب والخفض ، كل زمرة على حال مشابهة ، فيخرج الطالب بقاعدة من نفسه يستنبطها استنباطاً . بذلك يكون قد بلغ مرحلة الفهم . وهي طريقة شائعة ، يعتمدها المدرسون غالباً بجانب الطريقة الرابعة .

[1] -- المرجع في تدريس اللغة –ص ٥٣ ـ ٥٧

د – طريقة القياس :

وهي طريقة التوضيح . يبدأ بالقاعدة ، ثم يضرب عليها الأمثلة ، عكس الاستقراء(الاستنتاجية) . وتفترق عنه بما يلي :

في الاستقراء (الاستنتاجية) – يبدأ من الخاص إلى العام ، يتحرك العقل من البسيط إلى الصعب ، يؤدي إلى حقائق .

وفي القياسية : يبدأ من العام إلى الخاص . يتحرك العقل من الصعب إلى البسيط . لا يوصلنا إلى حقائق عامة جديدة .

ويرى الدهان أن طريقة القياس وهي الأقدم استخداماً في مدارسنا، والاستقرائية ، من الأمثل تطبيقهما معاً ، بجعل ثلثي الدرس للاستقراء أولاً ؛ للوصول إلى القاعدة ، ثم نعمد إلى القياس ونستخرج أمثلة نطبقها عليها . ويرى أن مدى نجاح هذه الخطة في التدريس تتوقف على :

حكمة المدرس حين يغلب طريقة على طريقة في التدريس ، ثم يعمد إلى التغيير حسب حاجته .

ذكاء المدرس ، وتجربته في المزج بين الطرق حين يريد ، واصطناع الشكل الذي يريد . يقول : "هو نصر كبير إذا ما وقع " .

والقياس على القاعدة التي استنتجها الطلاب بالاستقراء : كأن يبسط لهم نصاً من محفوظهم ، أو يستخرج من قراءتهم نصاً ، بأن يدل الطلاب على أجمل نص قرأه ، فيختار ذلك النص ويمليه ... ألخ .

في الباب السادس : رتب مراحل الدرس ، وهي :

التمهيد – العرض – الربط – الاستنتاج – التطبيق . ([1])

بعد تعريف هذه المراحل شرح كيفية تطبيقها على فروع اللغة العربية المختلفة ، من نحو وإملاء ونصوص .

ويهمنا هنا أن نقتصر منها على ما عرضه من التطبيق في درس القواعد النحوية .

بعد أن أفاض الكاتب طويلاً في الحديث حول تأريخ القواعد النحوية ، تجاوز – كما يقول– إلى النحو التعليمي ، الذي هو وسيلة تعين الدارس على تقويم لسانه ، وعصمة أسلوبه من اللحن أو الخطأ . وأنه ينبغي أن لا تكون القواعد غاية تقصد لذاتها ، وإنما لضبط الكلام ، وتصحيح الأساليب . فندرس منها ما يكفينا لتحقيق هذه الغاية .. وذكر أن مما أفسد اللغة في ذوق الطلاب، وأبعدهم عن حب العربية ، اتخاذ الاستظهار والحفظ سبيلاً لتعلم القواعد . وأن المنهاج الواضح الصريح هو الاقتصاد في الحفظ

[1] - المرجع في تدريس اللغة العربية - ص ٨٥ - ٦٩

على القدر الضروري الذي يكفي لتقويم التعبير ، وصيانته من الخطأ ، ومعاونة التلميذ على القواعد الصحيحة السليمة .

ويرى أنه – في ضوء ذلك – يمكن الاستغناء عن كثير من المصطلحات وأبواب النحو التي ليس لها أثر في تحقيق الغاية المقصودة من دراسة القواعد . وبذلك يمكن تبسيط المنهاج وجعله وافياً بالغرض ملائماً للطلاب . وحذر من البدء في أي درس بالمصطلحات والإكثار منها ؛ لأن ذلك لا يفيد في تقويم اللسان. وأن دراستها متتابعة لا تجعل الفهم قريباً ولا الدراسة مستساغة .

طريقة تدريس النحو :

فرق في هذا الإطار ابتداءً بين نوعين من النحو : النحو المباشر وهو الدرس في أزمنته من المنهاج . والنحو غير المباشر : وهو في كل ساعة عرضت أثناء المطالعة ، أو المحادثة والتعبير والاستظهار .

وخلاصة ما يقترحه الكاتب :

– أن النحو المباشر أكثر فائدة للتطبيق ؛ فإثارة المشاكل في النحو تفيد كثيراً ؛ ففيها يصوب الطالب نفسه بالمحاولة والخطأ ، فتتحصل عنده ملكة النحو .

– قواعد النحو منطقية جداً لو رفعت عنها أثقال ما وضعه المناطقة والمتفلسفون من مشاكل التقدير والحذف والإضمار. ومثل بنحو: (جحمرش) مما لا يرد على ألسنة الأدباء ولايقع في كتاب . وغير ذلك مما لا فائدة فيه من مسائل كدست للتسلية . على نحو قول القائل :

(أيُّها الفاضلُ فينا أفتِنا ** وأزلْ عنّا بفتواك العنَا)**
(كيفَ إعرابُ نحاةِ النحوِ في أناأنت الضاربي أنتَ أنا)

والإعراب لا يجوز أن يحوم إلا حول ما يفهم وما يحتاج إليه الطالب خلال حياته . **حسب ابن هشام وغيره** . وعلى مدرس النحو أن يتخذ له كراسة يسجل ما يعرض له من مشاكل النحو خلال درسه العربية ، يثيرها في الدرس المباشر تحت قالب قاعدة .

وعليه الرجوع إلى أمهات الكتب تلخيصاً وفهماً . مثل الخصائص لابن جني والمفصل لابن يعيش وشرحه للزمخشري وغيرها ، يستعين بها للتخطيط السليم .

ويفضل في بحوثه مايصادف الطلاب ، ويعرض عما لا يصادفهم مهما كان مهماً من القواعد .

ويوزع ساعات النحو بشكل منطقي يتجاوب ودرس المطالعة .

ويجمع من كتب قديمة وحديثة أشتاتاً من نصوص بديعة مغرية ، يدخل بها الدرس على الطلاب كمن يستحسن صورة الجمال فقط .
يسوق الطلاب إلى أن يطوفوا حول كل كلمة فهماً وتذوقاً . فالفهم سبيل لحل مشاكل الإعراب. **حسب ابن هشام أيضاً .**

ومن أمثلة تطبيق الاستقراء والقياس في الدرس . أن يستدرج المدرس الطلاب إلى استخلاص القواعد بأنفسهم ، كأن يعمد المدرس إلى رسم الدوائر حول الكلمات الغامضة ، أو الخفية بحركاتها وبمفهومها . كالأسماء والأفعال المعتلة ، يحاول أن يعلمهم دائماً طرحها جانباً ، واستبدالها بأسماء وأفعال صحيحة . مثلا : في (جاء الساعي بخبر) يرسم دائرة حول الساعي ، ويضع مكانها اسماً صحيحاً ، نحو: (جاء رجل البريد بخبر) مثلا . وهذه تظهر عليها الحركات . أو يظهر المدرس أحياناً أشياء في النص تبدو خافية أو مضمرة ، أو هي فعلية ، يريد أن يبرزها اسمية . مثل : (جاء الرجل يسعى في الأمر) يضع دائرة حول (يسعى) ليحل الطالب محلها اسماً . فيقول الطالب (ساعياً) وهكذا يستطيع الطالب أن يحل مشاكله بنفسه ، وأن يفهم التركيب العربي فلا يقف على اسم أو فعل بل يجمع بينهما سوياً ويستنتج بعد ذلك القاعدة بحرية تقوم مقام التقدير ، وكما يخطر بباله دون تقييد .
ومن المهم أن يعقب الدرس واستخلاص القواعد التطبيق الشفوي والكتابي . أما الشفوي فبقراءتهم قطعة يفسرون تراكيبها ، ويشيرون إلى عمل كل جزء فيها . وأما الكتابي فيعتمد على الجمل القصيرة الجميلة يستمر الطالب بالتمرن عليها . في كراسته وفي البيت ، يصححها على طريقته .

وفي المجمل ، تلك صورة لهذا المجهود القيّم كنموذج عملي للاتجاه إلىالتيسير ، وقد تضمن في بعض جوانبه شيئاً من فكر ابن هشام في مؤلفاته المتسمة بالتيسير العملي .

المبحث الرابع

حول نموذج التيسير في كتاب تجديد النحو

فعل ورد فعل

من خلال وجهات النظر المتضاربة بين كاتبين كبيرين وهما – شوقي ضيف ، و محمد عيد – حول ما جاء في كتاب " تجديد النحو"، ومع المنظور الخاص من الواقع الميداني– بنيت هذه الفكرة، وهي تلقي الضوء على ما أنا بصدده في هذا البحث من النظر أيضاً في ملامح التيسير في فكر ابن هشام، وهو من ضمن تطور الفكر النحوي.

فقد تناول " محمدعيد" كتاب تجديد النحو بالنقد اللاذع ، وكان أول ما لفت انتباهي اعتراضه على إطلاق شوقي ضيف اسم (تجديد النحو) على ما جاء في كتابه ، وأن الأولى أن يكون عنوانه ما يتضمن معنى "التيسير على الناشئة بتقديم بعض الأبواب في النحو على بعض ، وترك بعضها الآخر لمراحل متقدمة .

وفي هذا اعتراف ضمني من (عيد) بصلاحية ما جاء في الكتاب لخطاب عقول التلاميذ في مراحلهم الأولى . ومن باب أولى خطاب مدرسيهم الذين هم عادة يبنون قواعدهم في المواقف التعليمية على أخطاء الصغار واختراعاتهم الخاصة للصواب ، بعد تطويعها لتخدم القاعدة الأساسية . وليس هو خطاب لعقول الباحثين والعلماء، أمثال الدكتور محمد عيد . وعليه، فلا غبار على ما جاء في محتواه للمبتدئين خاصة .

وأيضاً أخذ على " شوقي ضيف" وقوفه بهذا العرض، خارج الساحة نظرياً (الميدان التعليمي) – حسب تعبيره– قال عنه : " فهو يقرر ما يريد ، بحيث لو طُلب منه التنفيذ العملي لشقّ عليه ، ولكتب : ما أيسر الكلام وأصعب العمل ". **(مذكراً برأي ابن خلدون في مثال الخشبة** والنجار. السابق)

هذا، بينما قد سبق محمدعيد، في مقدمة كتابه " قضايا معاصرة ، الذي فيه هذا النقد أن أسند لنفسه مثل هذا الذي ينكره هنا ، وافتخر طويلاً بأنه كان فيما كتب حول تيسير النحو –نظرياً ذهنياً– بعيداً عن ميدان التعليم . حيث يقول ممتدحاً ما فعل : " والخطة التي اقترحها للتيسير في هذين الموضوعين – الثاني والثالث– لا تأتي من فراغ ، إ ذ طبقت رأيي النظري في هذين الموضوعين في الواقع العملي بكتاب يتداوله الناس منذ زمن بعيد ، وعلى امتداد العالم العربي كله، اسمه كتاب (النحو المصفى) . بل أن هاتين الدراستين **تصورتهما ذهنياً** أثناء كتابة هذا الكتاب . فالمنهج المطروح في هذين البحثين ليس

من فراغ ، بل له دافع نفذته في كتاب النحو المصفى الذي رحب به كل المشتغلين بالكلمة من المدرسين والمحامين والمذيعين والصحفيين . وكلما مضى الزمن زاد الإقبال عليه والاحتفاء به .."([1])

وقد كرر مثل هذا في مواضع أخرى، بينما هو يصف كتاب تجديد النحو بأن مادته مقتبسة من كتب النحو القديمة ، وأنه ليس له منهج في الدرس اللغوي الحديث أو الميدان التربوي العملي " [2].

وفيما يختص بالمصطلحات والتعريفات والحدود التي اصطنعها صاحب تجديد النحو بقصد التيسير في قواعد النحو للناشئة . وصف ذلك بأنه يؤدي إلى الغموض والصعوبة ، بدلاً من التيسير والتوضيح ، مقارناً ذلك بما صنعه النحاة السابقون . وقال :

" لقد وضع النحاة مصطلحات وحدوداً للنحو أخذ بها الناس معلمين ومتعلمين من مئات السنين ، فما جدوى الإغراب عليهم بهذا الذي يردده هذا الكتاب وأمثاله .." ([3])

وفي هذا قد أرى : أن النزول باللغة إلى مستويات الصغار بدلاً من الارتفاع بهم إلى قممها واقع نضطر إليه أحياناً ، مجاراة للصغار في أفكارهم ولغة عصرهم في مواجهة لغة التراث . إذ نعمد إلى إيجاد مخرج يراعي خدمة الهدف دون أن يفسد لنا فصاحة ؛ فالتركيب الذي لا يرقى في بلاغته وضبطه إلى مستوى ما صنعه النحاة قد يخدم كثيراً العملية التعليمية لدى هؤلاء الصغار أكثر من غيره من حيث البساطة والوضوح، فيصل بهم إلى الفهم من أقرب طريق . حيث سيسهل بذلك عليهم التطبيق ، ثم الارتقاء– بعد ذلك– إلى فهم المصطلح البليغ في يسر وسهولة . وذلك هو المطلوب .

فمثلاً : لقد أفهمنا –ونحن صغار– أن الهمزة في نحو : (بئر) على كرسي . قبل أن ندرك يوماً أنها على نبرة . تلك النبرة التي لم تنفك تعني عندنا الكرسي الذي فهمنا رسمه وعرفناه.

فلا يتأتى إفهام تلميذ اليوم مضمون تعريف مثل : (المفعول المطلق مصدر فضلة منصوب يأتي مؤكداً لفعله أومبيناً لنوعه وعدده ...) ، من دون اللجوء إلى حيلة لاستبدال هذه الكلمات بلغة يفهمها ، تزيل من أمامه الغموض وتشرح له المعنى – مهما كانت ساذجة البلاغة – ، ثم التطبيق عليها بأمثلة قريبة المتناول ليدرك أولاً ما تعنيه : مفعول – ومطلق – ومصدر وفضلة ومنصوب ومؤكد ولفعله . مع ما يتطلبه الموقف من بذل الجهد بالصبر على تنويع المحاولات أمام الخطأ والصواب وكثرة التكرار .؛ فمن لم يتعلم منذ الوهلة الأولى تعلم في الثانية أو الثالثة أو الرابعة إلى ما لانهاية . ولكن في النهاية لا

---

[1] - – قضايا معاصرة – د محمدعيد ص٦

[2] - نفسه ص ١٥

[3] – نفسه ص١٤

بد أن يتعلم مع المثابرة على التعليم ." وهكذا علم الإنسان الحيوان الأعجم المتوحش لغة يفهمها ويصدع لها" ([1])

إذن : تلك ظاهرة شاعت لدى كثير من دعاة تيسيرالنحو في الآونة الأخيرة ، إضافة إلى ما في قوله من إشارة إلى وجود إجماع بين كثير من المعاصرين على فاعلية التصرف في اصطناع المصطلحات والحدود والتعريفات التي تتناسب وإدراك المتعليمين . فلاإغراب ولا غموض فيها بقدر ما فيها من قصد إلى التدرج والتيسير الذي يفرضه الموقف التعليمي .

هذا ، ومما أخذه عيد على شوقي ضيف :

قوله : إن أمثلة تجديد النحو إما صناعية بحتة – كزيد وعمرو– أو لغة دارجة .

فأما اللغة الدارجة : فلا نوافق عليها إلا في إطاراستخدام بعضها البليغ أحياناً كوسيلة بيان ، أو توضيح مع التزام ربطها بما يقابلها من الفصحى في كل موقف بعد تحقيق الهدف .

وأما صناعية الأمثلة : فلعمري ذاك ما يحتاجه المدرس الكفء ، إذا ما وافقت صنعته البيئة الطلابية ، فأتقن صوغها ، وأحكم إخراجها . وقديماً قال قدامة بن جعفر : " لا يعيب صنعة الصانع رداءة الخشب في ذاته " [2]

فلئن كان (زيد وعمرو) من الخشب الرديء فلقد برع النحاة السابقون واللاحقون في إحكام صنع الأمثلة بهما في مؤلفاتهم ، حتى باتا رمزي اختصار لكثير الكلام ، بمثابة (س و ص) في الجبر والحساب . وليس من أفضلية ترجى مثلاً إذا ما استُبدل في سبيل الحداثة والتقريب، قول ابن مالك :

ولا يجوزُ الابتدا بالنكرة ** ما لم تفدْ ، كعندَ زيدٌ نمرة .**

ليكون على نحو :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ** ما لم تفد ، كعند فوزي كمرة .**

وأخذ عليه أيضاً : اقتراحه في (تجديد النحو) جملة من الحذف والإلغاء لأبواب من النحو. وهو مأخذٌ له وجاهته من الدكتور عيد ، ولكن ليس على إطلاقه، فلا مانع من الأخذ بالاعتبارات التالية :

– **أولاً** : إن اقتراح تجديد النحو في باب التنازع الاقتصار على رأي البصريين . وكذالك الاقتصار على وجه واحد من إعرابات المخصوص بالذم، قد يكون مقبولاً ومستساغاً– خلافاً للدكتورعيد ، وذلك لمسايرته منهج التيسير . فعندي ليس دعوى التصعيب والتشتيب الذي يزعمه إلا من حيث التعدد في الآراء، وتنوع وجوه الإعراب . فضلاً عن أن أياً من الوجهين أو الرأيين لا فضل لأحدهما على الآخر من حيث التأثير المعنوي أواللفظي .

---

[1] - نفسه – ص١٤

[2] - نقد الشعر – قدامة بن جعفر ص١١٢

ففي نحو (زيدُ لقيته) كون (زيد) مبتدأً أو مفعولاً فإن الأقرب منهما إلى ذهن التلميذ يفي بالغرض . كما أن إعرابه فاعلاً في نحو(حبذا زيدُ) هو الأقرب إلى أذهان الصغار ، بعيداً عن التقديرات المضنية وعن تأوُّل أي وجه آخر .

ثانياً : إن في اقتراح شوقي ضيف نقل باب (كاد وأخواتها) إلى المفعول به، شيئاً من المنطقية . ففي نحو ("كاد الفقر أن يكون كفراً)" أجد أن كاد وأفعال المقاربة عموماً لايمكن منع تصورها في أذهان الصغار ككل الأفعال التامة الأخرى المقتضية لفواعلها ومفعولاتها . وبالتالي تصورهم ما يعتبر اسمها فاعلاً، والجملة الفعلية بعده مقرونة بأن، أو في معنى المفعولية لا غبار عليه من حيث المطابقة بين هذه العلاقة النحوية أو تلك مع المضمون. فضلاً عن أن ذلك يمنع الاضطراب الذي قد يتعرض له التلميذ فيما لو درس باب المفعول واستوعبه على سجية الفاعل والمفعول ، ثم عرض له باب كاد وأخواتها ، مما يعرضه للخلط أو النسيان لباب على حساب الآخر. ويمكن اعتماد هذا النقل على الأقل في المراحل الأولى من التعليم .

ولا حاجة للنظر في تلك المرحلة إلى التباس متوقع لدى التلميذ لباب (كاد وأخواتها) بباب (كان وأخواتها) كما يرى الدكتور محمدعيد، مؤكداً وجوب إفراده واستقلاله .؛ لأنه كما يقول : " منسجم مع استعمال اللغة في عرف المتعلمين " . ولأن خبر هذ الأفعال (كاد وأخواتها)–حسب تعبيره – يأتي جامداً كثيراً . مثل (صار البذر شجراً) .

وعلى نفس القياس لا حرج كذلك في نقل باب (كان وأخواتها) إلى باب الحال – كما ذهب إليه الدكتور ضيف – فلا غرابة تشوب أذهان التلاميذ من تصورهم خبر كان وأخواتها حالاً ، سواء في المشتق مثل : (بات السير محموداً) . أي حالة كونه محموداً ، أو في الجامد نحو : (صار البذر شجراً) أي حالة كونه مشجراً . وليس ما يمنع تأويل الخبر الجامد بمشتق –كالمثال السابق– على اعتبار أن الحال تأتي جامدة وتؤول بالمشتق .

ففي باب الحال يتداول النحاة أمثلة كثيرة جاءت فيها الحال جامدة فأولت بمشتق .

قال ابن مالك في باب الحال :

ويكثرُ الجمودُ في سِعرٍ وفي مُبْدِي تَأوُّلٍ بلا تكَلُّفٍ
كبِعْهُ مُدَّاً بكذا ، يداً بيدْ وكرّزيدٌ أسداً ، أيْ كالأسدْ

ويشرح ابن عقيل بقوله : " يكثر مجيء الحال جامدة إن دلت على سعر ، نحو : (بعه مداً بدرهم) . فمداً : حال جامدة في معنى المشتق ؛ إذ المعنى (بعه مسعراً كل مد بدرهم) . ويكثر جمودها أيضاً فيما

دل على تفاعل ، نحو : (كرّ زيدٌ أسداً) أي مشبهاً بالأسد . فـ (يد و أسد) جامدان ، وصح وقوعهما حالاً لظهور تأولهما بمشتق كما تقدم .." ([1])

فعموماً يمكن اعتماد القول بالتالي :

– إهمال بابي (كان – وكاد) . في المراحل الأولى من التدريس في المنهج ،

– تقديم الأيسر من الأبواب التي يكون تصور التشابه فيها وارداً وتأخير الأصعب لمراحل متأخرة . – تدريس الحال ،مع تدريس كان وأخواتها

– تدريس المفاعيل مع تدريس كاد وأخواتها

هذا ، مع مراعاة تأويل ماعرض للتلميذ منهما عفواً على أساس تصورهما . في كان كحال ، وفي كاد كمفعول وفق الإجراء الذي سبق.

وقد حاول الدكتور ضيف– في تجديد النحو– فصل شروط وقواعد الحذف والذكر والتقديم والتأخيرعن مواضعها من أبوابها . وهو بذلك يهدف إلى تخفيض الكم ، وتقليص التشعبات حول القاعدة بقصد التيسير . لكنه عاد فجعل لها قسماً سماه (إضافات) ، وراح يتتبعها ويفيض في ذلك بذكر مواضعها من الأبواب التي فصلها عنها .

ويرى عيد ،أن هذا الإجراء يؤدي إلى التشتيت والتضييع . والأولى عنده أن يدرس التلميذ الباب مع مباحثه في مكان واحد .

والأسلم عندي : صحة هذا الفصل– كما في تجديد النحو– ولكن من دون إلحاق الإضافات به . وذلك بالنسبة للمقرر الموضوع للمراحل الأولى . ثم وضع مباحث الباب الواحد مع مايلحق به من مباحث الإضافات – كما عند عيد– لمراحل متقدمة للمتعلمين .

وهذا الإتجاه هو السائد في معظم المناهج الأزهرية ، حيث يلاحظ فيها أن الباب الواحد يتكررفي مرحلتين متاليتين بشكل متدرج في التبسيط حسب متطلبات المرحلة . دون أن يؤدي ذلك إلى إخلال بالمستفاد من الباب .

ثالثاً : استحسنُ تسمية –تجديد النحو– الجمل التي لا محل لها من الإعراب بالجمل المستقلة . الاكتفاء بـ (فاعل/ مفعول/ حال/ صفة ...ألخ) في إعراب الجمل التي لها محل من الإعراب ، دون التطرق لذكر مصطلحات بنحو : في محل رفع ، نصب، جر ...ألخ .

يقول الدكتورعيد : " الأولى إرجاؤه لا إلغاؤه "

---

[1] - شرح ابن عقيل للألفية – باب الحال ص٢٤٥ ج٢ /١ ط١٩٨٠ م .

وكما سبقت الإشارة – إن اصطلاح تسمية توضيحية للتلميذ تقرب إليه المفهوم أمرمهم في كل موقف تعليمي ؛ فهو لابد سائل نفسه عن معنى –لها محل ، أو لا محل من الإعراب ... ولابأس من كلمة (مستقلة) للتي لا محل لها من الإعراب ، مادامت تفسر للتلميذ تلك العبارة ، وهي لأقرب لفهمه .
أما الإرجاء لمعرفة ذلك على أصوله في مراحل متقدمة ، لا يمنع استعمال التسمية المقترحة فيما لو عرض ذلك المصطلح في أي موقف من تلميذ مطلع.

رابعاً : اقترح – تجديد النحو – حذف ما يسمى (النعت السببي) لقلة استعماله بيننا أو في بيئة التلاميذ . بينما أورد عيد– عدة أمثلة من القرآن والمآثور ، ليدلل على أهمية وجوده واستعماله في اللغة العربية . أبرزها ماجاء في القرآن الكريم . وعبارات سائرة نحو : (الطلبة الآتية أسماؤهم) ، (المدعووين المقرر اجتماعهم) .

لكن لا نكاد نتجاوز في الواقع أكثر من عشرة أمثلة حية مستخدمة بيننا من هذا القبيل في لغة هذا العصر . فضلاً عن التشويش والتضييع للعقول الناتج عنه التركيب عند إعرابه . فإذا قلت : (دخلت حديقةً يانعة الثمار) استوى عندك اعتبار (يانعة) نعتاً سببياً أو صفةً ، والصفة أقرب إلى فهم التلميذ. ثم إذا قلت☹الحديقة ثمارها يانعة) ، تحول التركيب إلى (مبتدأ وخبر) ، واختفى السببي مع وجود الشبه المشوش . فتلك إشكالات تقتضي الإلغاءفقط أو الإرجاء فقط ، اكليهما معاً .

خامساً : تقدير (أن) وإضمارها ، مع بقاء عملها – وجوباً وجوازاً .
قد يهم المتعلم أن يعرف ويستسيغ ، أن (أن) أضمرت وعملت في الفعل . ولا يهمه كثيراً أن يكون ذلك الإضمار جوازاً . مثل : (خروجي إلى الناس وأتحدث إليهم خيرٌلي) . أو وجوباً نحو: (خرجت لأتحدث إليك) – مع ما في هذا الإضمار من إشكال منطقي. ففي المثال الأول يمكنك إظهار أن دون أن يضطرب السياق . فتقول : خروجي إلى الناس وأن أتحدثَ إليهم...) ، وفي الثاني –الإضمار الواجب– تقديرها غير مستساغ ، فلا يتأتى (خرجت لأن أتحدثَ) . فلا فائدة مما لاينسجم مع السياق .
سابعاً : (ما) الحجازية ، والتميمية.
إذا كانت (ما) بمعنى ليس فهي تشتبه ب(ما) النافية التي لا عمل لها . واقتراح تجديد النحو إلغاءها في غير ماورد في قراءة القرآن والآثار رأيٌ وجيه . وقد سبق أن تمسك عيد في صفحة١٢ من كتابه بمبدأ ابن مضاء (حذف مالايفيد نطقاً) . ولم يحدد ذلك .
ففي قولك (ما محمدٌ قائماً...أو قائمٌ) لا إشكال في اللفظ ولا في المعنى إذا ما جعلتها نافية ، أو جعلتها عاملة كليس فنصبت بها الخبر . وليس سوى التغيير الشكلي الذي لا يتأثر به النطق ولا المعنى .

المبحث الخامس:

محاولات الدراسات العلمية ونتائجها

امتدت مظاهر التطور بالمنهج العلمي الرأسي، فشمل في تطوره الدراسات الإنسانية عامة، والمادة النحوية خاصة باعتبارها مشكلة قائمة ينبغي علاجها. ولأن المنهج العلمي هو الأحدث والأقدر على تشخيص الصعوبة ليسهل وضع الحلول المناسبة لعلاجها واستئصالها من جذورها . فتوالت لهذه الاعتبارات الدراسات والبحوث في هذا الميدان تسبر الأغوار ، وتضافرت جميعها على الحل بتناول جزئيات استراتيجية من النحو. فكان الاختيار جزءاً من الحل كما هو التشخيص والعلاج .

تأريخها :

ظهرت على التوالي في مصر وسورية والأردن والعراق والبحرين ، عدة دراسات ،تركزت في مجملها حول مجال تدريس القواعد النحوية بالمراحل الدراسية الأولى ، منهجاً وطريقة ومستوى. وكانت في أغلبها دراسات قدمت لنيل درجات الماجستير أو الدكتوراة . وهي كما يلي :

١) – دراسة "محمدصلاح الدين علي مجاور . (عام ١٩٥٦ م) .(مصر) بعنوان : أدوات الربط في اللغة العربية ،

هدفت إلى بيان مدى قدرة تلاميذ المرحلة الإعدادية على استعمالها ، وبالتالي وضع منهجاً لها يتماشى واستعدادات تلاميذ المرحلة الإعدادية و سابقيهم .

وانتهت في نتائجها إلى توزيع تلك الأدوات على سنوات الدراسة بالمرحلة الإعدادية .

٢) – دراسة " فخرالدين القلا – (عام ١٩٦٨ م) . (دمشق) بعنوان : الأسس النفسية في التدريب والتعليم المبرمج . وهي دراسة نظرية ، مع محاولة علمية لوضع برنامج تعليمي في قواعد اللغة العربية ، والوسائل البصرية .

وقدهدفت إلى استعراض فن التدريب بالتعليم المبرمج ، وبيان علاقة تقنية البرمجة بتقنية التجارب المضبوطة بالمخابر . ومن ثم وضع برنامج النحو لمستوى الصف الخامس الابتدائي ، وأجرى تقويمه خارجياً خلال عام دراسي بدمشق .

وأثبت في نتائجه تفوق البرنامج المعد على الطريقة التقليدية في المباحث النحوية في بعض الجوانب ، وأهمية االضبط بالشكل ، كما اقترح البدء بأسلوب النماذج في التدرب على النحو .

٣)– دراسة "محمودأحمد السيد – (عام ١٩٦٩ م) (مصر) بعنوان : دراسة مقارنة بين طرائق تدريس قواعد اللغة العربية .

مالت إلى تحليل مشكلة ضعف الطلبة في القواعد النحوية على الرغم من العناية التي يلقاها تعليم النحو .

وهدفت إلى اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية بالإعدادية ، بناء على أسس موضوعية مستمدة من الواقع ، غير معتمدة على التقدير الشخصي أو الذاتي .واعتمدت في بناء المنهج : أساسيات المادة من وجهة نظر الخبراء – المطالب اللغوية لطلبة الإعدادية – متطلبات العصر .

وعن طريق الاستفتاء والمنهج التحليلي توصل إلى : اقتراح موضوعات نحوية للإعداديةوتوزيعها . وخرج باثنتي عشرة توصية وخمس مقترحات لدراسة مستقبلية .

٤) – دراسة حول تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم العام بالبلاد العربية (عام ١٩٧٤ م) . قامت بها إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . استخدمت فيها أسلوب الاستفتاء ، وجه إلى المسؤولين بالبلاد العربية ، من المشتغلين باللغة العربية والمهتمين بطرائق تدريسها من أعضاء المجامع اللغوية وأساتذة الكليات المعنية باللغة والتربية وبعض العاملين في الميدان .

هدفت إلى تعرف ما يواجه تعليم العربية من مشكلات ، وإلى استطلاع الرأي في وسائل معالجتها .

وانتهت إلى ترتيب مشكلات تعليم العربية ترتيباً تنازلياً حسب أهميتها على سبع مراتب ، مع تفضيل طريقة القطع المتكاملة في التدريس ؛ لأنها تجعل القواعد جزءاً من النشاط ، وتدرب على القراءة وتساعد على ربط القاعدة بالموضوع . وتوجه الاهتمام بفهم المعنى وتوسع دائرة معارف التلاميذ وتدريبهم على الاستنباط . وتوافق منطق البلاغة التعليمية .

٥) – دراسة (سمير استيتة (عام –١٩٧٥– ١٩٧٦ م) (ماستر– الأردن) . بعنوان : التعرف على الأخطاء الشائعة في قواعد اللغة العربية لدى الطلبة في نهاية المرحلة الثانوية بالأردن .

هدفت إلى استقراء اختبار موضوعي في النحو لعينة ممثلة من المدارس الرسمية . وخلصت إلى وجود ضعف ظاهر لدى الطلبة في القواعد النحوية ، وتفاوت مستوى الضعف بين البنين والبنات . ومن مسارلمسار.

٦) – دراسة "محمدرمضان فارس" عام–٧٥ –١٩٧٦ م . (ماستر– الأردن) بعنوان : الأخطاء الشائعة في قواعد اللغة العربية لدى الطلبة في نهاية الإعدادية بالأردن .

هدفت إلى تعرف أأخطاء الشائعة في القواعد لدى طلبة تلك المرحل . وتوصلت بالمنهج التحليلي ، والاختبار الموضوعي إلى وجود ضعف واضح في مستوى تحصيل الطلاب للقواعد النحوية في المرحة الإعدادية ، مع غياب الفروق بين البنين والبنات في هذه الأخطاء .

٧) – دراسة" هشام عامرعليان" (عام ١٩٧٨ م) (ماجستير–الأردن) بعنوان : مستوى التحصيل في لنحو الدى طلبة تخص اللغة العربية في معاهد المعلمين والمعلمات بالأردن .

هدفت إلى تحديد المستوى ، وتعرف العلاة بين هذا المستوى واختلاف النس . ثم التحصيل المدرسي في ثلاث مستويات – مرتفغ–متوسط– منخفض–

وقد طبق اختباراً تحصيلياً خاص بالإعراب والتراكيب . فانتهى إلى أن الغاية من تعليم النحو في المعاهد لم تتحقق لدى العينة المتخيرة ، وإلى تأثر تحصيلها بالتحصيل المدرسي وبعامل الجنس .

٨) – دراسة "حورية الخياط" (عام١٩٧٩ م) (ماستر–دمشق) بعنوان : فعالية التعليم المبرمج في تدريس مادة النحو في المرحلة الإعدادية .
هدفت إلى بيان فعالية التعليم المبرمج في تدريس النحو بالإعدادية . وقد جاءت مدعم للمحاولة العملية" فخر الدين القلا" .

٩) – دراسة " نظيرة جعفري مصري" –(عام ٨٠ – ١٩٨١ م) – (ماستر–دمشق) بعنوان : دراسة تحليلية لنتائج تحصيل الطلاب بعد دراسة النحو ثماني سنوات في المدارس الرسمية العامة لمدينة دمشق .
هدفت إلى معرفة نتائج تحصيل الطلاب بعد ثماني سنوات في دراسة النحو في صفوف المراحل اللاث ، وفق منه (عام ١٩٦٧ م) في المدارس الرسمية العامة بدمشق . ومحاولة الكشف عن العوامل امؤثرة في هذه النتائج .

١٠) – دراسة " علي هلال " (عام ١٩٨٣ م)– (ماجستير–البحرين) بعنوان : الأخطاء النحوية في مدارس البحرين . دراسة اختار لها (الصف الثالث الثانوي – بمدارس البحرين) ميدانا لبحثه ،
وهدفت إلى تشخيص الأخطاء النحوية لدى طلبة الصف الثالث بقسميه – العلمي والأدبي– في دولة البحرين والتعرف على علاجها ، وأسبابها وطرق علاجها . من خلال الإجابة على أسئلة مشخصة ، للمدرس والموجه وعينات من الطلاب .
وتوصل البحث إلى نتائج بنى عليها الباحث توصياته ومقترحاته .
وبجانب هذه الدراسات وغيرها ، كان للمجامع اللغوية دورها وأسهاماتها العديدة في مجال تيسير النحو واللغة العربية عامة . منها :
مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، منذ (عام ١٩٣٨ م) .
مجمع اللغة العربية بدمشق .
مجمع اللغة العربية في بغداد .
اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

المبحث السادس

ابن هشام في ضوء المحاولات الحديثة

ما استعرضته في الفصول السابقة حول كتابي المرجع ، وتجديد النحو من المحاولات العملية ، وبعض الدراسات في المحاولات العلمية . يدعم الكثير من الفكر النحوي عند ابن هشام من حيث وسائل التيسير عنده في تعليم النحو.

فأستطيع أن ألمح بعض صور فكرية لابن هشام ، طابقت البرامج الحديثة لمحاولات تيسير النحو وتعليمه ، فيما عرضته خلالها من أفكار وهي كما يلي :

– بروز إحساس مشترك بين ابن هشام والكتّاب المحدَثين بمشكلة قائمة ، وصعوبة مصطنعة في النحو أمام المستفيدين ، وتفاقمها عبر الزمن أمام عقبات أهمها : آثار العامية ، ومناهج الكتب . حيث لم يخلُ ابن هشام من التركيز على هذين العاملين في مقدمات مختصراته ، وبين اعتراضاته على المعربين في كتابه المغني .

– الشعور الدائم بحاجة الصغار إلى المشاركة في الدرس ، وإلى تلخيص المدرس ، وإثارته فيهم دوافع البحث والتنقيب عن المعلومة بما يثيره أمامهم من أسئلة فيما يسمى بالطريقة (التنقيبية) وفيما يخص ابن هشام كان يتمثل ذلك في اختصاراته ، وفي ترجيحاته بين الآراء فيما يشبه إثارة المشاكل وما يفيده ذلك ، حيث يصوب الطالب نفسه بنفسه عن طريق الصواب والخطأ .

– الاستنتاجية : عن طريق تكثيف الأمثلة على القاعدة لتركيزها في ذهن الدارس ، ولابن هشام باع طويل في التكثيف من أمثلة آيات القرآن الكريم ، والنصوص الأخرى على القواعد في كتبه ، مع تنويعها بحيث تلائم مختلف الأوجه .

– توظيف النحو في تكاملية فروع اللغة العربية من الإملاء إلى الإنشاء مروراً بالنحو والصرف ، فكان رأيه في تلك الفروع هو قوله : " لم أذكر بعض ذلك في كتابي جرياً وراء عادتهم ، بل لأني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً "([1])

والاستغناء عن المصطلحات العويصة ، واستبعاد ما لا فائدة منه من ألفاظ غير مستخدمة أو معيبة فاضحة ، والتركيز على الحفظ فقط مما يفيد على تعلم القاعدة بالقدر الضروري .

– تبسيط المنهج مع جعله وافياً بالغرض ، ملائماً للسن ، محفّزاً للهمم ، وذلك من اختصاصات ابن هشام .

[1] - المغني – آخر الباب الخامس من مغني اللبيب ص٢٣٤

– في إطار النحو المباشر : الإعراب لا يجوز أن يحوم إلا حول ما يفهم ، وما يحتاج إليه الدارس في خلال حياته . وذلك أيضاً ما نجده ضمن اعتراضات ابن هشام .

– البدء من الخاص إلى العام ، بحيث يتم تحريك العقل من البسيط إلى الصعب رويداً ، يؤدي إلى حقائق ، وهوعين منهج ابن هشام متمثلاً في إخراج كتبه للمتعلمين .

– في تجديد النحو– نلاحظ ضرورة النزول باللغة إلى مستويات الصغار (أحياناً)، بدلاً من الارتفاع بهم إلى قممها قبل الأوان ، في أفكارهم ولغة عصرهم مع الحرص على عدم إفساد فصاحتها . أي المحافظة على التيسير مع الحفاظ على سلامة اللغة ، وذلك ما مارسه ابن هشام في مؤلفاته للمستفيدين.

وعموماً ينبغي ملاحظة :

– أن ما جاء من مقترحات حول مسائل النحو هو محاولات لا تبعد كثيراً عن ما يهم المتعلمين في المراحل الأولى ومدرسيهم . وكذلك كل من يهمه أمر تعليم الصغار .

وأن التيسير والتقريب لمسائل النحو أمر قد يفرضه الواقع في الميدان التعليمي ، ويجب فيه مراعاة التدرج والسن .

التصورات والملاحظات التي لا تتعارض مع أصل مسائل النحو –وإن جاءتنا ناضجة يانعة – ما هي إلا مجرد تصورات وملاحظات ، وعقول النشء مع تطور الحياة قادرة على تصورها وملاحظتها منطقياً وفق القواعد ووفق الواقع .

كل من الإلغاء أو الإرجاء وارد في المسائل النحوية وفق المواقف التعليمية فحسب .

كما ثبت :

– أن تلك المحاولات – وخاصة العلمية– تركزت حول طلبة العلم في المراحل الدراسية الأولى – خاصة المرحلة الإعدادية – مما يفسر انحصار الاهتمام بتعليم النحو بالمراحل الدراسية الأولى في العصر الحديث ؛ أي بين المتعلمين لمدة اثنتي عشرة سنة فقط – حتى سن ١٧ – وذلك خلافاً لما كان عليه الوضع عند القوم في القرون الأولى . وهو تفسير لا يعوزه المنطق ، من حيث أن هذه السن المبكرة ، مع التفرغ فيها للتعلم ، هو الأنسب لتحصيل المعارف وصقل المواهب . إلا أنه يعني– بالضرورة– انقطاع ماعدا المتخصصين عن ممارسة النحو فيما بعدها من سنوات العمر ، ومن ثم العودة التدريجية بعقول المتعلمين إلى حالة الجهل والضعف في النحومرة أخرى . في وقت تحين فيه من أعمارهم ساعة قطف الثمار ، وجني الآثار . حتي ليغدو تعلم النحو والعربية عامة محدوداً بحدود هذه المراحل الدراسية

الثلاث ، في حين ينبغي أن لا يحد تعلم النحو إلا بحدود الحياة – كما كان عند السابقين– ولهذا قد أثمر فيهم وترسخ على أيديهم .

وفي خلاصة الأمر يمكن القول :

إن الدراسات النحوية المعاصرة . من دعوات نظرية إلى تيسير، إلى محاولات عملية شقت طريقها إلى مناهج التعليم ، إلى دراسات علمية لبعض جوانب تعليم النحو ومستوى التحصيل فيه ، بالإضافة إلى الاسهامات المجمعية، كل ذلك مما يشير إلى العناية التي لقيها النحو من الباحثين والمهتمين باللغة وتدريسها حديثاً ، تماماً كاهتمام السابقين . وذلك تأكيد واضح لأهمية علم النحو رغم ما أثير حوله من انتقادات عديدة في السابق واللاحق . ورغم المحاولات الحثيثة التي لم تزل لا تؤتي أكلاً ، ولا تجبر كسراً . والتي هي كما وصف على مزهر في الفكر النحوي عند العرب بقوله :

" لقد ارتفعت على مدى الحقب أصوات تدعو إلى تخليص النحو مما ليس منه ، وحاول أصحابها أن يحققوا ذلك في جزء من أبحاثهم ، غير أن هذه الأصوات ضاعت بين ضجيج الكثرة الكاثرة ، كما ضاعت المحاولات نفسها لعدم وضوح المقاصد لدى أصحابها وضوحاً تاماً ، وغلبة تيار العصور عليهم هم أنفسهم ." ([1])

و مزهر ينتقد هنا منهج القدماء والمتأخرين لتركيزهم على علامات الإعراب وقضية العامل باعتبارها أسباباً جوهرية أدت إلى التعقيد والصعوبة في النحو على المتلقين ، وينحن نشتمُّ في توجهه هذا رائحة تأييده للدعوة إلى إعادة النظر في علامات الإعراب ،كنصب جمع المؤنث بالكسرة أو كسر الممنوع من الصرف بالفتحة ، حيث لا يرى ما يدعو إلى مثل ذلك في الكلام ، دون أن يشير صراحة إلى ما دعا إليه أمثال الجنيدي من أهمية إلغاء علامات الإعراب . ويحبذ وجوب التركيز على الجملة وجانبها البلاغي ، وبمعنى آخر لا يجب فصل الدراسة البلاغية عن النحو ،كما عند الجرجاني .

كما نفى الدكتور مزهر ، " حقيقة أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك وابن هشام ومن تبعهما – حاولوا أن يقصموا شيئاً من تلك القيود ، (وحقيقة) أنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين من نهج منهجه في التجديد والإصلاح .." ([2]) حسب تعبيره .

وهي وجهات نظر كان قد أكدها مزهر من (نظرات في اللغة والنحو – لطه الراوي) . غير أن الواقع يؤكد جدية المحاولات التي قام بها كل من ابن مالك وابن هشام في تذليل شيئ من قيود النحو لانها محاولات شاملة غير جزئية . كما ثبت لدينا أن المنهج الذي نهجه ابن هشام في التجديد والإصلاح النحوي لم يأت بعده من نهج منهجه فيه خاصة ، وإن نهج الكثيرون بعده مناهج إصلاحية أخرى تباينت وتمايزت بسماتها في اجانب من والنحو والإصلاح .

---

[1] - الفكر النحوي عند العرب – الدكتور على مزهر ص ٢١ -

[2] - المصدر نفسه – ص ٢١

الفصل التاسع
ابن هشام والحركة النحوية الحديثة المعاصرة

المبحث الأول : اعتراضات ابن هشام والنظرية التحويلية

المبحث الثاني : ابن هشام وأساليب العرض النحوي

المبحث الثالث : ابن هشام والدعوة إلى التكاملية

المبحث الأول

اعتراضات ابن هشام والنظرية التحويلية في النحو:

١ – ظهور النظريات في اللغة:

اطّرد نمو التطور في الفكر النحوي منذ ابن هشام، ولم يقف عند حدود بعينها، إذ أن من سنن تطور الفكر النحوي استمرار يته في مجالات الإصلاح والإضافة. وقد ساهم في ذلك كما رأينا– المتقدمون والمتأخرون، وتميز ابن هشام في المتأخرين بما أنتجه من رؤية نحوية تعتبر الأحدث بمقياس ذلك الزمان . ولا ريب أنه كان خاتمة النحاة المتأخرين، بما ابتكره من تصنيف متفرّد في النحو، فلم يعهد العالم قبل، ولا بعد مؤلفه " المغني" ، ما يضارعه في مجال تصنيفه وإخراجه وتبويبه وفق حاجة المتعلم . ولكن هذا، مع ذلك لايعني توقف التطور في مجال الفكر النحوي عند حدود ابن هشام ، وإن ظل الفكر النحوي يدور في مجمله بعد ذلك على نفس الأطر القديمة ، ويتردّد في نفس الأفكار السابقة وفق التطور الأفقي كما سبق.

فبمرور الزمن انتح التطور الفكري في اللغة والنحو نظريات لغوية حديثة . ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهر في أوروبا علم اللسانيات التأريخية، وتعددت مذاهب البنيوية والتحويلية . فبعد أن كانت القواعد العامة في اللغة تبحث عن إيجاد تفسير للاستعمالات الخاصة للغة وفق قواعد عامة تتأسس حول المنطق (علم أصول النحو) ، صار الاتجاه السائد تحديد تصورات جديدة لم تكن متبلورة في السابق ، مثل التغييرات التي تشهدها اللغة كضرورة داخلية طبيعية تخضع للتنظيم الداخلي للغات ، وسعوا إلى تفسير التغييرات الحاصلة داخل اللغة دون الوقوف عند وصفها، مقرّرين أن الأسباب الوحيدة القابلة للمراجعة، هي البحث عن نشاط الفاعلين والمتكلمين مع تحديد مسافة لدراسة التغييرات اللغوية .

وفي الأُطر التعليمية الحديثة سادت كذلك المناداة بالسبل الميسرة لتعليم النحو، من بينها :

* الاهتمام بأساليب العرض النحوي في التأليف والتصنيف .
* والدعوة إلى التكاملية بين فروع العربية في التعليم والتدريس.

وهي مطالب نستعرضها بهذا المبحث الأول فيما يلي، ونقف أولاً مع مالاحظه عبد الحميد السيد، من علاقات ما بين اعتراضات ابن هشام، وأراء للتحويليين .

٢-المعرب والبنيوي مع ابن هشام والتحويليين

من مظاهر التطور في فكر ابن هشام أنه يخترق ويتخلل كثيراً من الأفكار والنظريات اللغوية الحديثة المعاصرة ، فترددت أفكاره في مجالاتها سابقة لعصره بمئات السنين ، ومن ذلك ما استخلص الدكتور عبد الحميد في دراسة له . إذ لاحظ : " أن جل منطلقات نظرية تشو مسكي " N.Chomisky – رأس التحويليين– تلتقي في اعتراضاتها على البنيوية من الجهات التي وجدت أن البنيوية تتخلف فيها عن تفسير صور أساسية من الظاهرة اللغوية ، تلتقي – مع الأصول التي رسمها ابن هشام في " المغني" ... قال : " وكأنّ المعرب عند ابن هشام هو البنيوي عند التحويليين " ([1])

وابن هشام _ وإن كان مسبوقاً في كثير مما اختار من الوجوه في هذه الاعتراضات بآراء شيخه أبي حيان ، وتلميذه السمين الحلبي وغيرهما من النحاة – فإن الفضل كل الفضل يعود إلى ابن هشام في تصنيف هذه الآراء وتبويبها في اعتراضاته ، وفي قدرته على إيرادها مجتمعة ومرتبة للكشف عن المظان التي توقع المعربين في الخطأ ، وبهذا قدم فائدة جليلة للنحو والنحاة ، ووضع أصول توجيه الإعراب ، وتكوين ملكة لدى المعرب يستطيع من خلالها فهم التراكيب العربية وتصحيح ما شاع فيها من أخطاء .

إن من أبرز جوانب القصور في منهج البنيوية – عند التحويليين – أنه عاجز عن تفسير العلاقات بين الجمل ، كالعلاقة بين النفي والإخبار ، والعلاقة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول ، وعن تفسير اللبس في الجمل التي تحتمل أكثر من معنى . كما أنه لا يظهر أن الجمل المركبة ترتد إلى جمل أخرى بسيطة . فضلاً عن أنه يطرح المعنى في التحليل النحوي للظاهرة اللغوية ..." ([2])

ويرى عبد الحميد في هذه الجوانب وغيرها من اعتراضات التحويليين – مطابقتها لما قرره من قبلهم ابن هشام في اعتراضاته العشر على المعربين في " المغني" ، للذي " وقع لهم بسبب عدم مراعاة من خطأ أو وهم [3] "

وبناء على ذلك ،تكون الاعتراضات التي قررها ابن هشام – وهي الأسبق – قد فاض أثرها على المناهج والنظريات اللسانية المعاصرة على نحو ما .

---

[1] - اعتراضات ابن هشام على المعربين في المغني – الدكتور عبد الحميد السيد . ص ٢ المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٣٥- العدد ٢٢/٨٦ – ٢٠٠٤م

[2] - المصدر نفسه – ص٢

[3] - المصدر نفسه – ص ٢

٣- تطابق أوجه الاعتراض في قضايا المعنى :

بملاحظة اعتراضات التحويليين على منهج البنيوية من حيث :

- عجز منهجهم عن تفسير العلاقات بين الجمل ،
- وعن تفسير اللبس في الجمل التي تحتمل أكثر من معنى ،
- وعن طرحه المعنى في التحليل النحوي للظاهرة اللغوية .
- وعن أن في اللغة جملاً تكون ذات معان متعددة .Ambiguous Sentences

نجد أن ابن هشام قد قرر مايتفق وهذه الاعتراضات من خلال الجهتين ،

- الأولى ، وهي : معارضته أن يراعي المعرب ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى .

حيث نبه إلى أن من واجب المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً . مع البعد عن ما يقتضيه ظاهر الصناعة .

- ومن الجهة الثانية : وهي معارضته ، أن يراعي المعرب معنى صحيحاً ولا ينظر في صحته في الصناعة .

حيث نبه على وجوب أن يراعي المعنى الصحيح، مع النظر في صحته في الصناعة.

هذا ، بالإضافة إلى ما تعلق في الجهات ، الخامسة، والثامنة، والتاسعة - بتفسير اللبس في الجمل التي تحمل أكثر من معنى، والجمل المركبة التي ترتد إلى جمل أخرى بسيطة.

فابن هشام يدعو في كل الأحوال إلى وجوب مراعاة المعرب للمعنى الصحيح دون أن يتخلف تحليل ذلك المعنى عن الشكل والعلاقات النحوية، خاصة في التراكيب التي يكتنفها اللبس والغموض والاشتباه. وينشد تكاملها فيما بين اللفظ والمعنى، لأن في إهمال جانب منهما على حساب الآخر ما يؤدي إلى فساد أوالى سوء فهم ، بل وإلى وهم وجهل وغفلة ، وبمعرفتها يتمرن الطلاب على مراعاة وتحري الأصوب. حسب ابن هشام .

ومدار هذه الاعتراضات هو بالطبع المعنى الذي عليه المعول، فقضايا المعنى كثيرة متشابكة ،فهناك المعنى المعجمي ، والمعنى الاجتماعي "المقام" والمعنى الوظيفي ، والسياق ، والأداء الصوتي . حيث تتضام عناصر مختلفة منها للإبانة عنه . فجزء منه يتصل بعناصر لغوية تعرف بالسياق اللغوي ممثلة في " المعجم والإعراب" وآخر يتصل بعناصر غير لغوية تعرف " بالسياق الخارجي" وهي جملة القرائن المحيطة بالحدث اللغوي ممثلة في المتكلم من خلال الصورة الصوتية

التي يؤدي بها الكلام ، أو المخاطب المتلقي من خلال تذوقه الجمالي وثقافته الفكرية وانتماءاته المذهبية ، أو في ظروف الكلام وملابساته .

وقد جرد الدكتور عبد الحميد في بحثه ثلاثة أصول كلية تنتظم تلك الجوانب ، هي ضوابط المعنى والسماع والأصل التي انطلق من خلالها ابن هشام في حصر تلك الجهات من اعتراضاته

ومع التركيز من تلك القضايا على جانب السياق المتمثل ، في : المعجم والإعراب ، و على : جانب السياق الخارجي المتصل بجملة من القرائن المحيطة بالحدث اللغوي ، وجانب اللبس في الجمل المحتملة لعدة معان– يمكن أن نقتطف أمثلة ونماذج أوردها ابن هشام، تركزت على تلك القضايا من الجهات : الأولى والثانية ، بالإضافة إلى الخامسة والثامنة، لتوضيح تطابق اعتراضات التحويليين للاعتراضات التي حصرها ابن هشام في مغنيه على جهات عشر .

٤- نماذج الاعتراضات المطابقة في مغني ابن هشام

أولاً : فيما يتعلق بدور المعنى المعجمي للفظ والإعراب، من الأمثلة " في الجهتين الأولى الثانية " :

١ – ما أورده ابن هشام في تحليل قوله تعالى : "

(فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ) ([1]) فإن ظاهر اللفظ يجعل انتصاب "مائة" بـ"أماته" ، قال ابن هشام : " وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي ، لأن الإماتة سلب الحياة ، وهي لا تمتد ، والصواب أن يضمّن "أماته" معنى "ألبثه" فكأنه قيل : فألبثه الله بالموت مائة عام ، وحينئذٍ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين ، أي معنى اللبث لا معنى الإلباث ، لأنه كالإماتة في عدم الامتداد ، فلو صح ذلك لعلقناه بما فيه من معناه الوضعي "([2])

" أما ما ذهب إلية الأمير في حاشيته على المغني ([3]) من صحة تعلق "مائة" بـ"أماته" باعتبار ما تضمنه من الموت ، وهو انتفاء الحياة – مما ظاهره خلاف لابن هشام – فإنه لا يثبت عندي، لأن ابن هشام منع ذلك في حال " مع بقائه على معناه الوضعي" – فقط ، لا باعتبار تضمين معنى آخر .

---

[1]- لبقرة ٢٥

[2] - مغني اللبيب – لابن هشام- ص ٦٨٧ – تحقيق مازن المبارك – ومحمد على حمد الله – مراجعة سعيد الأفغاني ، ط(٦) بيروت : دار الفكر ١٩٨٥م .

[3] - حاشية الشيخ محمد الأمير – بهامش مغني اللبيب –لابن هشام – دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي البابي د،ط،ج٢ ص١٢٠

ومثل ذلك يقال أيضاً فيما فصله الدسوقي في حاشيته على المغني ([1]، من تعلق مائة بأماته .

٢- و مثله تحليل قوله تعالى : (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ) ([2])

وفيه بيّن ابن هشام أن الجار والمجرور في قوله (إليك)لا يصح أن يتعلقا بالفعل "صِرْهُنَّ" إذا كان بمعنى " قطّعْهُنَّ" ، ويصح أن يتعلقا به إذا كان بمعنى أَمِلْهُنَّ ، وعلى الوجهين يجب تقدير مضاف ، أي : إلى نفسك "([3]) والتحقيق في المسألة أن قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ) قراءة حمزة بكسر الصاد ، والباقون بضمها وتخفيف الراء ، واختلف في ذلك فقيل : القراءتان يحتمل أن تكونا بمعنى واحد ، ذلك أنه يقال : صار يصوره ويصيره ، بمعنى : قطعه أو أماله" .

وقال الفراء- (١٤٤-٢٠٧هـ) : " الضم مشترك بين المعنيين ، وأما الكسر فمعناه القطع فقط " ([4] .

وقيل الكسر بمعنى القطع ، والضم بمعنى الإمالة .

وهذا الرأي سبق وأن فصله العُكبُري (...) في كتابه التبيان السابق الذكر ([5] . والاعتراض منصب كما هو واضح في المثالين -على خطأ أو وهم يقع في إعراب اللفظ بناء على الظاهر بعيداً عن المعنى المعجمي الذي يتطلبه .

٣- ومن الشواهد من جانب المعنى الاجتماعي (المقام)، ما ذكره ابن هشام في تحليل قوله تعالى : (وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوْهُ صَغِيْرَاً أَوْكَبِيْرَاً إِلَى أَجَلِهِ) ([6]

وفيه تدل البنية السطحية للجملة على تعلق "إلى أجله" بالفعل "تكتبوه" . قال ابن هشام : " وهو فاسد لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين ، وإنما هو حال ، أي مستقراً في الذمة إلى أجله"([7]

٤- ومثله في قوله تعالى : (**وإِنِّـيْ خِفْتُ الْمَـوَالِيْ مَـنْ وَرَائِـيْ**) ([8] فإن المتبادر تعلق " مَنْ وَرَائي" بـ"خِفْتُ" ، وهو فاسد في المعنى ، لأنه يسلم إلى البعد عن دلالة التركيب وسياق الموقف أو المقام الملابس له ، فهو لم يخَف مَن وراءه ، وإنما خاف ولايتهم من بعده وسوء خلافتهم ، ولذا وجب تعلق "مَنْ" بـ "الموالي" لما فيه من معنى الولاية " ([9]

---

[1] - حاشية الدسوقي على المغني – القاهرة مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ،د،ت،ج٢- ص ١- ٦٨ - والتبيان في إعراب القرآن للعكبري –تحقيق محمد البجاوي – نشر الحلبي د،ت،ج١ص٢٠٨-٢٠٩

[2] - البقرة ٢٦٠

[3] - مغني اللبيب السابق –ص ٦٨٩

[4] - معاني القرآن – الفراء - يحي بن زياد –- ص١٧٤ - تحقيق عبد الحليم النجار ، وزميله ، مصر ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م : ج١،

[5] - التبيان في معاني القرآن للعكبري –ج ٢ص/٥٧٧ – انظر هاش الصفحة السابقة .

[6] - البقرة ٢٨٢

[7] - مغني اللبيب السابق ص ٦٧٨

[8] - مريم ٤

[9] - المغني نفسه ص ٦٧٨

وكلا الوجهين في ٣ و ٤ ، مما رصده ابن هشام لاعتراضه هذا ، الأول : من رأي شيخه أبي حيان ، وقبله العكبري. والثاني : يفهم من كلام الزمخشري ، قال : " يتعلق الظرف " من ورائي" بالموالي ، أي : قلوا وعجزوا عن إقامة الدين " ([1]

٥ – ومن شواهده على "المعنى الوظيفي" ساق ابن هشام مثالين ، الأول : في رده قول بعضهم في قوله تعالى : (**أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَاً الأُوْلَى وَثَمُوْدَ فَمَا أَبْقَى**) ([2] أنّ "ثمود" مفعول مقدم . قال ابن هشام : " وهذا ممتنع ، لأن لـ "ما" الصدر ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وإنما هو معطوف على " عاداً " ، أو هو بتقدير : وأهلك ثموداً " ([3]

٦– الشاهد الثاني : في تعليق ابن هشام حول قوله تعالى : (**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالاً**) ([4] إذ جعل بعضهم (أعمالاً) مفعول به ، ورده ابن خروف (٦٠٩هـ) بأنَّ (خسر) لا يتعدى ، ووافقه الصفار (٦٣٠هـ) . فقال ابن هشام : " وثلاثتهم ساهون ، لأن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به ، ولأن (خسر) متعدٍّ " ([5])

وفيه دقة ملاحظة ابن هشام للوهم الواقع في العلاقة النحوية نتيجة العناية بظاهر الصياغة ، وإن لم يتأثر به المعنى المعجمي ، إذ لا يتخلف بكونه مفعولاً أو تمييزاً أو كون خسر متعدٍياً أولازماً ، وليس إلا في مجرد الشكل الخارجي للعلاقات النحوية من الناحية الشكلية.

٧– ثانياً : ما تعلق بالأداء الصوتي ، والسياق اللغوي :

يقود الأداء الصوتي إلى تعدد فهم المعنى الذي ينعكس ، ومن ثم على عملية التحليل النحوي ، ويتجلى الأداء في ظاهرتين : ظاهرة التنغيم ، وظاهرة الوصل والوقف .

٨– ومثال الوهم في التنغيم الصوتي : أنه يمكن – في جميع اللغات– تغيير الجملة من خبر إلى استفهام أو توكيد أو انفعال أو تعجب بواسطة تنغيم الصوت، دون تغيير في شكل الكلمات المكونة ، فـ (ما) في قوله تعالى: (**قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوْءً إلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيْم** ٌ) ([6]. قد تحتمل (ما) النفي، فيكون الأسلوب إخباراً مؤكداً بالحصر، وقد تحتمل الاستفهام لغير العاقل فيكون الأسلوب استفهاماً، وعلى هذا فللتنغيم أثر مهم في تشكيل المعنى الدلالي والنحوي على التركيب" ([7]

---

[1] ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري ،ج ٣ص ٤ ـ رتبه وصححه محمد عبدالسلام شاهين ط١دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

[2] ـ النجم ٥(٠-٥١)

[3] ـ المغني ص ٦٩٨

[4] ـ الكهف ١٠٣

[5] ـ المغني – ص ٧٠٦

[6] ـ يوسف ٢٥

[7] ـ الكشاف – ج ٢ص/٤٤١

٩- ومن الوقف الموهم : ما أورده ابن هشام في العنصر الثالث عشر من الجهة الأولى:" ما حكاه بعضهم أنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه" قِيَماً" من قوله تعالى:**(ولَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجاً قِيَماً)** [١] صفة لـ "عوجاً " قال : فقلت له : ياهذا كيف يكون العوج قيماً ؟ وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في "عوجاً " وقفة لطيفة دفعاً لهذا التوهم " [٢]

وواضح أن هذا الوقف هنا يفصل " قيماً " عن " عوجاً" فلا يلتبس كونها صفة لها .

١٠- قد يتخلص بالوقف من إشكال ظاهر في التركيب ، كقول بعضهم في قوله تعالى : **(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)**[٣] بأنّ الوقف قبل "عليكم"، وأنّ"عليْكُمْ"إغراء ، قال ابن هشام : " وهو حسن وبه يتخلص من إشكال ظاهر في الآية ، محوج للتأويل " [٤]

والإشكال هو أن "ما" من قوله " ما حَرّمَ " موصولة ، وإن " لا تُشْرِكُوا " بدل أو خبر مبتدأ محذوف ، وكلاهما مشكل ، لأن المحرّم الإشراك لا عدمه ، وإن الأوامر الواردة بعد ذلك مطوفة على " لا تُشْرِكُوا " وفيه عطف الإنشاء على الخبر ، وجعل المعاني الواجبة المأمور بها محرّمة ليحوج ذلك إلى التأويل بادعاء أن "لا" زائدة لا نافية ، والمعنى على القول بالإغراء حسن سالم من تلك التكلفات كلها ، وعطف الأوامر على المحرّمات باعتبار حرمة أضدادها وجعل الخبر السابق إنشاء معنى ، والمعنى : عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ، أي : الزموا ترك الشرك به " [٥]

وليس من الإغراء كلمة : " عَلَيْهِ " ، بعد الوقف على : "جِنَاح " من قوله تعالى : **(فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطّوّفَ بِهِمَا)** [٦] في قول بعضهم ، لأن إغراء الغائب –حسب ابن هشام – ضعيف ، وأن الإيجاب لا يتوقف على كون " عَلَيْهِ " إغراء ، بل كلمة " على " تقتضي ذلك مطلقاً "

هذا ، ومن هنا ندرك أن معرفة الوقف وأحكامه ومواضعه تشكل دوراً مهمّاً في فهم معاني القرآن الكريم ، وأن الأداء الصوتي عموماً جزء لا يتجزأ من النحو ونظامه

١١- ويمكن أن نلحق بهذا الجانب من جملة الضوابط التي يشار إليها وتعد من معطيات السياق اللغوي ، الرسم الكتابي الذي تناوله ابن هشام من الجهة الثامنة من اعتراضاته ، حيث قال: " ... أن

---

[١] - الكهف ١-٢
[٢] - المغني – ص ٦٩٢
[٣] - الأنعام ١٥١
[٤] - المغني – ص٧١٤ – وانظر في البيان في غريب إعراب القرآن ج١ص٣٤٨–ابن الأنبا ري تحقيق طه عبد الحميد – وزارة الثقافة –مصر
[٥] - حاشية الدسوقي على مغني اللبيب – ج ٢ص١٨٥
[٦] - البقر(١٥٨)

يحمل المعرب الكلام على شيء وفي ذلك الموضع ما يدفعه " ([1]) . ومثاله قول بعضهم وهو " مكي بن أبي طالب القيسي في مشكل إعراب القرآن " في قوله تعالى : (وَإِذَا كَالُوْهُمْ أَوْ وَزَنُوْهُمْ يَخْسِرُونَ) ([2] : إن (هم) في "كالوهم" ضمير رفع مؤكد للواو ، والثاني في " وزنوهم" كذلك ، مبتدأ وما بعده الخبر . وقراءة حمزة وعيسى بن عمر أنهما كانا يقفان وقفة يتبين منها أنهما كانا يجعلان الضميرين للمطففين .

وقد نشأ خلاف واسع في تأويل هذه الآية بين العلماء نتيجة استشكال الرسم في (كالو.. ..هم . وفي وزنو.. .. هم) . والمعول عندي هنا على ما نقله ابن هشام عن الزمخشري وهو قوله : " ولا يصح أن يكون (هم) ضميراً مرفوعاً للمطففين ، لأن الكلام يخرج إلى نظم فاسد ، وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا ، وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متنافر ، لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشرة "([3]

ونظير ذلك "ما رد به ابن هشام على وجه إعراب بعضهم (إن هذان لساحران) بأنه من الرسم الكتابي. أي تعليل بعضهم بأن اسم (إنّ) في الآية ضمير الشأن المتمثل في (هـ) المرسومة متصلة بـ (ذان) ، وليست هي ها للتنبيه ([4] وبالتالي (ذان) الخبر.

وهذا يدعونا بدوره، أن نلفت إلى ما نسب لابن هشام من وقوعه في خطأ ضمن شواهده ([5] . وذلك نتيجة لتحريف في الرسم الكتابي للكلمة على نحو ما فصلنا .

ثالثاً : ما تعلق باحتمال التركيب الظاهر معان متعددة .من الجهة الخامسة .

أدرك النحاة أن وراء التركيب الظاهر تركيب آخر يتم في ضوئه تفسير الظاهرة وفهم معناها وهو ما يشير إليه التحويليون بالبنية السطحية والبنية العميقة . بل وقد تتعدد انطلاقاً من هذا ، العلاقات النحوية في التركيب الواحد ، وهو ما أهمله منهج البنيوية ، واهتم به ابن هشام في اعتراضاته كوجه من الوجوه المؤدي عدم مراعاتها إلى الخطأ أو الوهم في تفسير الظاهرة وبالتالي المعنى . يقول عبد الحميد :

" وإنه لمعجب حقاً أن تكون هذه المسألة ، على التعيين ، قد عالجها ابن هشام أيضاً في تقرير صريح عند بيانه الجهات ..." ([1] . وفيه إشارة إلى إعجابه بتوصله ابن هشام مسبقاً إلى ما فطن إليه المعاصرون مؤخراً في هذه المسألة.

---

[1] - المغني – ص٧٧٧

[2] - المطففين (٢)

[3] - نقله ابن هشام – في المغني – انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي –ج١٠ص٧١٧ – تحقيق أحمد محمد الخراط ط١ – دمشق دار القلم ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

[4] - انظر تحليل ذلك في شذور الذهب ص ٤٦-٤٩ -

[5] - انظر أخطاء في شواهد ابن هشام – الفصل الأول من البحث / ص٥٢ وما بعدها

هذا ، وقد أورد ابن هشام فيها نماذج استقصى فيها الوجوه والأمثلة والمواضع ،مرتّبةً في الجهة الخامسة على الأبواب ليسهل كشفها " [٢] منها :

ما أورده في باب المبتدأ ، نحو قولهم : " ما في الدار زيد " ، وهو تركيب يحتمل المرفوع (زيد) الابتدائية والفاعلية ، والفاعلية عنده أرجح ، لأن الأصل عدم التقديم والتأخير ، والأصل في الاحتمالين :

ما استقر في الدار زيد .

وفي باب المنصوبات المتشابهة ، يورد قوله تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ غَيْرَ بَعِيْد) [٣] الذي يحتمل عنده :

* وأُزلفت الجنة للمتقين إزلافاً غيرَ بعيد . نصب (غير) على المصدر " مفعول مطلق "

* وأزلفت الجنة للمتقين زمناً غير بعيد ، نصب (غيرَ) على الظرفية الزمانية.

* وأزلفت الجنة للمتقين زمناً غير بعيد . أي الإزلاف حال كونه غير بعيد،وهي حال مؤكدة ، ونظيره :

" سرت طويلاً " باعتبار :

- " سرت زمناً طويلاً " طويلاً : نائب ظرف الزمان .
- " سرت سيراً طويلاً " طويلاً : نائب مفعول مطلق .
- و " سرته طويلاً " طويلاً حال .

وفي باب الحال ما يحتمل كون الحال من الفاعل وكونه من المفعول في قولهم : " ضربت زيداً ضاحكاً " ، قال ابن هشام : " يحتمل كون " ضاحكاً " حالاً من الفاعل ، وكونه حالاً من المفعول [٤]

وعلى هذا القبيل ما حرص عليه ابن هشام (أيضاً) من إبداء ملاحظاته الفريدة للمتشابهات من الأبواب في أقوال النحاة كبعض العلاقات النحوية التي تنبه إليها في باب المفاعيل الخمسة .

قال : " نقض الكوفيون المفعول له فجعلوه من باب المفعول المطلق ، مثل : "قمت إجلالاً لك " على زنة " قعد جلوساً "

وقال : " وزاد السيرافي سادساً وهو المفعول منه ، نحو قوله تعالى : (واخْتَار مُوْسَى قَوْمَهُ سَبَعِيْن رَجُلاً...) [٥] أي واختار من قومه . وهو من باب نزع الخافض .

---

[١] - اعتراضات ابن هشام على المعربين في المغني – الدكتور عبد الحميد السيد . ص ٢٣

[٢] - اعتراضات ابن هشام- ص ٢٤

[٣] - ق ٣١

[٤] - المغني ص ٧٢٣

[٥] - الأعراف ٢٥

وقال : وسمى الجوهري المستثنى مفعولاً . ([1])

كل هذا ونحوه مما يعزز رؤية ابن هشام وملاحظاته في دور الجمل والتراكيب والعلاقات النحوية المتشابهة .

وعموماً ،، فلابن هشام في اعتراضاته سبق لا يُنكر ، وأثرٌ لا يخفى فيما ظهر بعده من دراسات ونظريات حديثة في النحو العربي المعاصر. وهو وإن كان كثير من المتقدمين قد تطرقوا قبله لبعض هذه المسائل فإن الفضل يعود إليه في تصنيفها وعرضها عرضاً نحوياً يجمع شتاتها ويوظف مراميه يقرب بعيدها ، وهو ما سأتعرض له فيما يلي من الفصل الثاني . ابن هشام وأساليب العرض النحوي :

[1] - قطر الندى ص ٢٧٩-٢٨٠ – وانظر موقفه مع الجوهري – تحت آراء ومواقف من البحث

المبحث الثاني

ابن هشام وأساليب العرض النحوي

١ – الأسلوب وأثره في العرض النحوي :

الأسلوب المتسم بالسهولة والوضوح في العرض النحوي هو من أهم ما تميز به ابن هشام في مؤلفاته النحوية بين النحاة السابقين والمعاصرين له . كما أن العلماء حتى العصر الحديث قد أجمعوا على سلامة منهجه مما اكتنف كثير من الأساليب النحوية من عيوب التعقيد والغموض والالتواء الفلسفي الذي يسهم كثيراً في نفور الدارسين والمتعلمين عن تعلم قوانين اللغة . ويأتي دور ابن هشام في التأثير على الحركات النحوية الحديثة من حيث الإجماع المعاصر على ضرورة البعد بالنحو عن العرض الفلسفي ، والاتجاه به إلى المرونة والسهولة ومواكبة العصر ومستجدا ته وهو ما نادى به كثير من الدارسين المعاصرين. بل أن بعضهم ذهب في بحوثه إلى وجوب الاستغناء عن كثير من المصطلحات الغامضة التي أخذت تدور في العرض النحوي منذ عهود التأثر بمناهج الفلسفة والمنطق والكلام . كما حاول البعض من أجل ذلك أن يضع نحواً جديداً عن طريق تغيير المصطلحات القائمة بأخرى " سفسطائية يدفع إليها التظاهر بالتجديد ..."([1]) وأضل الكثيرون – لتأثرهم بالترجمات – باشتقاقهم لغة استخدموها في عروضهم باسم الحداثة لا تقل ضرراً عما جرّته الترجمات سابقاً على النحو في قرونه الأولى مثل اتخاذهم كلمات ومصطلحات جديدة من نحو : الجملة المستقلة ، والجملة الممتدة ، و " ... الشكليون ، العمق والباطن ، والمركب الاسمي ، والكم والكيف ، والفعليات المعنوية ، والفعليات الملفوظة ، والملحوظة ، والتركيب المحايد ، والوسطية ، ، والجملة في موقع نحوي واحد ،وتداخل الحدود ، والتداخل بين المشتقات ، والحدود المشتركة ، والعلامات التركيبية المتقابلة ، ، ودرجات الفعلية ، ومركز المعمول ، ، والسلوك التركيبي ، وتركيب أساسي ، والتحول المعنوي التركيبي، والمركب الفعلي، وجملة فعلية بالقوة ، وفعلي من الدرجة الثانية وأوضاع شكلية تركيبية ، والتركيب المحول ..."([2])

وليس ذلك إلا لأنّ بعض هذه الكتب الموضوعة في هذا العلم كان ينقصها – بالإضافة إلى عوامل أخرى– الوضوح، ويعوزها الأسلوب العربي الجميل . وقد كان بعض النحاة يقصد إلي أساليب التعمية والغموض قصداً . ومما يدل على ذلك قصة الجاحظ مع الأخفش فيما سبق، وهي قصة معروفة لدى المؤرخين . فقد قال الجاحظ : " وقلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لاتجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولانفهم أكثرها، وما بالك تقدم بعض العويص

---

[1] - قضايا معاصرة – ص٤٩

[2] - نفسه – ص ٥٤

وتؤخر بعض المفهوم ؟ . قال الأخفش : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين . ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني إليه ، قلّتْ حاجتهم إليّ فيها، وإنما كانت غايتي المسألة فأنا أضع بعضها هذا الموضع لتدعوهم حلاوة مافهموا إلى التماس مالم يفهموا، وإنما قد كسبت من هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت " ([1]). وهكذا نجد التعمد والقصد لغاية ما يلقي أحياناً بظلاله على الاساليب في العرض النحوي .

وقد بلغ الغموض والالتواء في الأساليب حداً أصبح معه النحو خافياً وعسيراً حتى على العلماء أنفسهم فيما بينهم. فنجد ما يدل على ذلك .في قول الفارسي عن الرُّمّاني الذي كان يخلط النحو بالفلسفة: " إن كان النحو ما يقول الرّماني فليس معنا منه شيء، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء " ([2]).

ومن باب أولى ما يقع لعامة الأعراب الذين كان يفترض فيهم قرب العهد بالسليقة لفهم مرامي النحو . يروي أبو حيان التوحيدي موقفاً طريفاً من ذلك فيقول : وقف أعرابي على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا"([3])

ومن الغريب أن يستشري هذا التعقيد وهذا الإبهام ، فيصبح غاية لذاته بين النحاة والدارسين، بحيث إن النحوي يتعمده ؛ لأنه يستهوي الدارس ويجد في طلب المخفي حلاوة الوجدان. وليس أدل على ذلك من قصة الأخفش السابقة في قوله : (فأنا أضع بعضها هذا الموضع لتدعوهم حلاوة مافهموا إلى التماس مالم يفهموا) .

ولهذا، – أيضاً– لا نستغرب تعجب الشوكاني من تكالب الدارسين على مثل هذا الغموض والخفاء، حين قال معلقاً على حاشية الشُّمُنِّي، : (وإني لأعجب من تنافس الناس في مثلها) .وذلك بعد أن انتقد أسلوبها بقوله :

" وقد رأيت حاشية على المغني وحضرت عند قراءة الطلبة عليّ في الأصل فما وجدتها مما يُرغب فيه ولا بكثرة فوائده ولا بتوضيح خفي ولا بمباحثه مع المصنف ، بل غايتها نقول: من كلام الدماميني، وإني لأعجب ... " ([4])

وكثيراً ما نجد مثل هذا الالتواء والتعمية في الأساليب يقف حائلاً أمام العلماء والنحاة أنفسهم ، فتضطرب أفكارهم حول العبارة، أوالمسألة لاضطراب أسلوب عرضها، فتختلف تأويلاتهم ، ويقع

[1] - الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية – فون كريمر – ص٩١- تعريب مصطفى بدر – دار الفكر العربي

[2] - النجوم الزاهرة – ص ٤٨٤ – وانظر ص١٢٨ من البحث وما بعدها.

[3] - قضايا معاصرة – ص ٥٧

[4] - البدر الطالع – الشوكاني – في ترجمة الشُّمُني – ج٢ص ١٢٣ - و نشأة النحو - ص ٢٤٣ – وانظرتحت عنوان ابن هشام والتصنيف في البحث

الوهم والغط، ويطول الأخذ والرد في الخلاف والاعتراض فيما بينهم. وذلك رغم غزارة علمهم وقوة فهمهم . ويلاحظ ذلك كثيراً في المسائل الخلافية بين النحاة، كموقف ابن هشام مع الجوهري الذي ناقشناه فيما سبق من هذا البحث . وجوهر الخلاف كان حول المقصود من عبارة لأبي حيان، أورد فيها حكماً بناءً على ما فهمه من تركيب لابن مالك أورده نظماً في إعراب (حسب) . خفي على أبي حيان مقصود ابن مالك فيه بسبب اقتضاب النظم . فقد اشتبكت الآراء والتأويلات والخلافات حول ذلك، بين ابن هشام والجوهري والدكتور العميري بالإضافة إلى أبي حيان وابن مالك. كلٌّ حسب توهمه وتخمينه، نتيجة لتعقيد والتواء الأسلوب الذي صاحب تركيب ابن مالك في الألفية، ومن ثم في عبارة أبي حيان الغامضة الأسلوب والمقصود أيضاً . وهي قوله : " لا وجه لنصبها لأنها غير ظرف إلا أنهم نقل عنهم نصبها حالا إذا كانت نكرة " كما سبق في (حسب)

ونفهم وجود ذلك الغموض من تكهن ابن هشام بوضعه لاحتمالات عدة في التعرف على مقصود أبي حيان من عبارته ، بنحو قوله : " إن كان يقصد كذا ..([1])

٢- الحدود و المصطلحات النحوية بين النحاة وابن هشام

تناول على مزهر قضية الأساليب والمصطلحات والحدود النحوية في غموضها ووضوحها .

فبين أنه " ... أيما علم من العلوم لن تستقيم له أدواته ولن يعبر عنه بأسلوب مبين ، إلا إذا توضحت صورته في الذهن ، وتم فيه استنباط قوانينه المبينة على وسائل البحث فيه مما يدخل في باب الاستقراء والملاحظة وتأمل طبيعة أجزائها وكيفية تآلفها وتكونها " ([2])

والمؤلفات الأولى للنحاة المتقدمين امتازت بوضوح الأسلوب وسلامة العبارة وكثرة الاستطراد والتفصيل ، لأن الهدف تعليمي محض ، فالإفهام مطلب النحوي ، فكان لزاماً عليه أن يفصل ويوضح في إطار ما توفر له من الاستقراء الغزير حينئذٍ . ومن الأمثلة على ذلك في أساليب الحدود والتعريفات النحوية ، قول سيبويه في تعريف الكلم :

" فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل . فالاسم رجل وفرس وحائط . وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما يكون ولم يقع وما هو كائن ولم ينقطع . فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد ، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمراً : اذهب واقتل واضرب ومخبراً يقتل ويذهب ويضرب وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت . فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستتبين إن شاء الله ، والأحداث نحو الضرب والقتل

---

[1] - راجع – في آراء متفردة من هذا البحث – تحت عنوان مواقف ابن هشام مع الجوهري –

[2] - الفكر النحوي عند العرب – د .علي مزهر ص٢٩٣

والحمد ، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم وسوف و واو القسم ولام الإضافة ونحو هذا " ([1]

لقد بين سيبويه في النص السابق بأسلوب سهل أنواع الكلمة كما يتصورها وحدها بالتمثيل وبدلالتها اللغوية ، ففهمنا منه في بساطة أن الاسم يقع على الإنسان والحيوان والجماد ، وأن الفعل دال على الزمان والحدث ، وعرفنا أيضاً أقسام الفعل وأبنيته . وعرفنا بذلك المصادر والحروف أيضاً دونما ابهام أو إعمال للذهن .

أما إذا نظرنا إلى التعريف نفسه عند النحاة بعد خمسة قرون ، نجده عند ابن الناظم (...) مثلاً هكذا : " المراد بالكلمة لفظ بالقوة أو بالفعل مستقل دال بجملته على مفرده بالوضع . فاللفظ مخرج للخط والعقد والإشارة والنصب وبالقوة مدخل للضمير في : افعل ونفعل ، ولفظ بالفعل مدخل لنحو زيد في : قام زيد ، ومستقل : مخرج للأبعاض الدالة على معنى ، كألف المفاعلة وحروف المضارعة ، ودال معمم لما دلالته ثابتة كرجل ، ولما دلالته زائلة كأحد جزأي امرئ القيس لأنه كلمة ، ولذلك أعرب بإعرابين، كل على حدة ، وبجملته مخرج للمركب كغلام زيد فإنه دل بجزأيه على جزأي معناه . وبالوضع مخرج للمهمل ولما دلالته عقلية كدلالة اللفظ على حال اللافظ به "([2]

فالفرق واضح بين تعريف سيبوية وهذا التعريف لنفس الكلم عند ابن الناظم . فقد تحول ما كان واضحاً في الأول بالوصف ومعيار اللغة ، إلى حديث كأنه غرضه المصطلح الفلسفي من (القوة والفعل والإخراج والإدخال والاستقلال والأبعاض والتعميم والجزئي والدلالة العقلية) واختفى الوصف الحسي اللغوي ليعتمد بعده المعنى المبهم المتصور في العقل والذي لا يمكن إظهاره أو تمثيله وبهذا تضيع الفائدة على المتعلم ، لأن الخبير لا يستطيع أن يحصل شيئاً من هذا الكلام دون كد وإعمال ذهن شديد ، فما بالك بغير الخبير وهم كثير مستهدفون دائماً .

والأمثلة كثيرة لكننا نكتفي بهذا . وحسبنا أن نلفت إلى أن هذا لا يعني أن أساليب القدماء قد خلت كلها من التعقيد وغموض التعبير وارتباكه ، إذ شاع عند بعض القدماء كالمبرد وغيره مثل هذا الغموض . فضعف الأسلوب أحياناً وارتباك العبارة وتدافع المصطلحات يأتي أحياناً دون قصد وإرادة ، ربما لندرة المصطلح المعبر وقصوره لدى هؤلاء المتقدمين . فليس هو في الغالب الأثر الفلسفي والمنطق الذي خالط النحو بكثافة فيما بعد كما عند الرماني ، كما يكون في الغالب نتيجة لإقحام العلل، ومن وسوء الترتيب والتبويب في العرض الذي تطور لاحقاً وانتظمت معالمه لدى النحاة المتأخرين. فالوضوح كانت سمة غالبة عند القدماء انمازت بها أساليبهم عن المتأخرين .

ولمزيد من ملاحظة ما أعنيه بالالتواء والتعقيد في مقابل السهولة والمرونة يكفي التمثيل بالتركيب البسيط التالي على المستوى الجزئي للنص ، والجزء دليل على الكل :

---

[1] - الكتاب – سيبويه ج١ص٢ – تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر -

[2] - شرح ابن الناظم ج١ص٢-٣ (الفكر النحوي ٢٩٤)

نقول :

- قتْلُك الكافرَ جائزٌ .

أو -الكافرُ جائزٌ قتلُك لَهُ .

أو -الكافرُ جائزٌ قتلُكَهُ.

أو -الكافرُ جائزٌ قتْلُك إيَّاهُ.

فكلٌّ من هذه التراكيب صحيحة، وتؤدي نفس المعنى الوظيفي دون زيادة أو نقصان . لكنها تختلف من حيث الأسلوب أو صياغة الشكل ، فالتركيب الأول **(قتلك الكافر جائز)** أكثرها وضوحًا وسلاسة، وأقربها إلى الذوق ، وأبعدها عن الالتواء والارتباك . بينما يسود التراكيب الأخرى الالتواء يالمؤدي بدرجات متفاوتة إلى غموض وارتباك، بسبب ما شابها من التقديم والتأخير ، أواتصال الضمير وانفصاله . فلا يُعقل أن يلجأ كاتب أو شاعر بليغ إلى غير الأول (قتلك الكافر جائز) الذي يتقبله الذوق السليم ، ويأنس إليه القارئ . ومع أن التراكيب الثلاثة الأخرى صحيحة من الناحية اللغوية، ولا فساد معنوي أو لفظي يلحقها – إلا أن الأذواق لا تتقبلها ، ولايلجأ إليها كاتب ما دام في وسعه أن يختار الأول . لايلجأ إلى استخدام سواه، إلا لأسباب بلاغية أو عروضية عارضة . لهذا تستصعب كثير من العقول الشعر الفصيح، وخطب البلغاء وكتابات العلماء الممتطين سلم البلاغة النمطية المفرطة . والنحوي يجب أن يراعي في أسلوبه الوضوح ويتحرى في السعة الأكثر مرونة وواقعية من الأساليب ما دام الخيار متاحاً . فأغلب خلافات النحاة في مسائل بعينها إنما ترجع إلى هذه الموازنات بين السليم والأسلم . وإن تعدد مواضع الجواز والوجوب في القضايا النحوية قائم على هذا الافتراض التفضيلي بين الأساليب . فحينما نجد ابن مالك (مثلاً) يوازن بين اتصال الضمير وانفصاله، في قوله :

وفي اختيارٍلايجيئ المنفصلْ إذا تأتّى أن يجيئَ المتصلْ .
وصِلْ أو افْصِلْ هاءَ سلنيهِ وما أشبهه في كنتُهُ الخُلفُ انتمى
كذاك خلتنيهِ ، واتّصالا أختارُ ، غيري اختارَ الانفصالا

فهو إنما يراعي بذلك جانب العرض الأسلم للتركيب النحوي وفق اللغة الفصيحة، ويقدم الأسلوب السهل لمرونته مع وفائه بالمعنى المراد .

٣- موقف ابن هشام

أما ابن هشام في المتأخرين فيعد من الأصوات التي حاولت الاقتراب بالحدود النحوية من الحد اللغوي السهل المأخذ ، كقوله في تعريف الكلمة : " الكلمة قول مفرد " وفي القول : " والقول اللفظ الدال على معنى " وفي اللفظ : " واللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف سواء دل على معنى أم لم يدل " ([1]

وقد ذهب مزهر إلى : " أن تعريفات ابن هشام (رغم ذلك) لم تسلم كغيرها من التأثير الفلسفي وتأثير التيار العقلي ، فظهرت سمات منه في تعريفات أخرى هنا ([2]. منها قوله في تعريفه المفرد : بأنه " ما لا يدل جزء منه على جزء معناه ، وذلك نحو زيد ، فإن أجزاءه وهي الزاي والياء والدال إذا أفردت لا تدل على شيء مما يدل هو عليه ، بخلاف قولك : غلام زيد فإن كلاً من جزأيه – وهما الغلام وزيد – دال على جزء معناه ، فهذا يسمى مركباً لا مفرداً ." ([3]

غير أنّ ما ذهب إليه الدكتور مزهر بشأن التأثير الفلسفي في بعض أساليب ابن هشام – رغم صواب ذلك – إلا أن هذا التأثير لا يضع من أساليبه في درجة من الغموض والالتواء الفلسفي الذي عرفناه في مثل تعريف ابن الناظم السابق ، أما المثال الذي جاء به المزهر لابن هشام، فهو – وإن كان قد اشتمل من أثر الفلسفة والمنطق استخدامه كلمة الجزء ، وتقسيمه المرتب ، فهو – رغم ذلك– من السهولة والوضوح في العرض بمكان . فابن هشام تميز في جميع أساليبه بتوخي الوضوح حتى مع انسياقه أحياناً خلف التأثير الفلسفي ، ويدل على ذلك، أنه كثيراً ما يقف عند المصطلح الفلسفي ، عندما يشعر بغموضه، فيدفعه بالتفسير والتوضيح خشيةً من أن يؤدي إلى غموض الفكرة والقضية التي يتعرض لها . كوقوفه عند مصطلح " الوضع " في قوله معللاً تجاوزه له :

"فإن قلت : لم اشترطتَ في الكلمة الوضعْ كما اشترط من قال : الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد ؟

قلتُ : إنما احتاجوا إلى ذلك لأخذهم اللفظ جنساً للكلمة ، واللفظ ينقسم إلى موضوع ، ومهمل ، فاحتاجوا إلى الاحتراز عن المهمل بذكر الوضع ، ولما أخذتُ القول جنساً للكلمة – وهو خاصّ بالموضوع– أغناني ذلك عن اشتراط الوضع .."([4]

وبحثاً عن الدقة أيضاً – والدقة أحد معايير العرض السليم – تراه يعدل أحياناً عن بعض المصطلحات إلى بعضعها الآخر، معللاً ذلك ، كقوله :

" فإن قلتَ : فلم عدلت عن اللفظ إلى القول ؟

قلتُ : لأن اللفظ جنس بعيد ، لانطلاقه على المهمل والمستعمل ، كما ذكرنا . والقول جنس قريب ، لاختصاصه بالمستعمل ، واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر " ([5]

---

[1] - شرح قطر الندى ص١١

[2] - الفكر عند العرب ص ٣٤٧

[3] - نفسه – ص١١

[4] -قطر الندى - ص١٤

[5] - قطر الندى – ص١٤

وخلاصة القول :

أكبر مزايا أساليب ابن هشام في مؤلفاته هي الوضوح وتمكّن صاحبها من الأسلوب الرائع الذي – رغم التأثير الفلسفي أحياناً – ًيجعل من النحو أدبا يُعشق لحلاوة بيانه وجمال تصويره. وهي وافية بالغرض المقصود منها، محققة للهدف الذي من أجلها تم وضعها ، رائدها الابتكار في طريقة العرض ، وطابعها تنسيق المسائل ، وجمالها في حسن المنهج ، وخلودها في تذليل النحو وتمهيد طريقه لكل دارس ولكل باحث . ولهذا كان ابن هشام على تأخر زمانه أنحى من سيبويه كما يقول ابن خلدون ، وعلى تقدم زمانه مصدر الإلهام للمتأخرين من أرباب النظريات النحوية الحديثة

المبحث الثالث

ابن هشام والدعوة إلى التكاملية

١- مفهوم التكامل ومبرراته

التكامل من أهم الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية ، وهو مدخل بدأ التبشير به منذ بداية القرن العشرين ، ويعني النظر إلى تدريس اللغة العربية على أنها وحدة متكاملة .وهذا يشمل بدوره أمرين :

- الترابط بين فروع اللغة العربية .
- والترابط بين منهج اللغة مع مناهج المواد الأخرى .

وقد تعددت التعريفات الحديثة للتكامل ، فعرفه بعضهم بأنه : "

".. . نظام يؤكد على دراسة المواد دراسة متصلة ببعضها البعض لإبراز علاقاتها واستغلالها لزيادة الوضوح والفهم، وهو يعد خطوة وسطى بين انفصال هذه المواد وإدماجها إدماجاً تاماً " ([1]

ويعرف التكامل أيضاً:

"... بأنه تقديم المعرفة في نمط وظيفي على صورة مفاهيم متدرجة ومترابطة تغطي الموضوعات المختلفة دون أن تكون هناك تجزئة أو تقسيم للمعرفة إلى ميادين منفصلة، أو إلى الأساليب والمداخل التي تعرض فيها المفاهيم وأساسيات العلوم، بهدف إظهار وحدة التفكير وتجنب التمييز والفصل غير المنطقي بين مجالات العلوم المختلفة " ([2]) (لبيب ومينا، ١٩٩٣: ١٧٦).

أما المبررات التي تعكس ميزات التكامل فكثيرة ، ذُكر منها :

. إن الأسلوب التكاملي يتفق مع نظرية الجشتالت في علم النفس التربوي، حيث أن المتعلم يدرك الكل قبل الأجزاء، والعموم قبل الخصوص،... وهكذا "([3]) (الأنصارى، ١٩٩٥: ٤٣).

ومنها :

" تعمل المناهج المتكاملة على التخلص من عملية التكرار التي تتصف بها مناهج المواد المنفصلة، ما يوفر وقتاً لكل من المعلم والمتعلم، ولا يثير الملل لديهما، ويكون أكثر اقتصاداً في الجهد والمال"([4]) (الجراح، ٢٠٠٠: ٤٣)،

---

١ -أثر برنامج متكامل بين القراءة الوظيفية والقراءة على الأداء اللغوي لتلميذات المرحلة الابتدائية ص١٤٢ بدرية الملا، رسالة دكتوراه – القاهرة - كلية التربية – جامعة عين شمس ١٩٩٤م.

٢ - قضايا في مناهج التعليم - -رشدي لبيب –ومينا فايز مراد – ص ١٧٦ - القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٣

٣ -استخدام النظم في وضع برنامج للتربية والتعليم لطالب القسم العلمي في الكويت – سامية عادل الأنصاري – ص٤٣ رسالة دكتوراه القاهرة –كلية التربية- جامعة عين شمس ١٩٩٥م.

٤ - تطوير مناهج الرياضيات في مرحلة التعليم العام في المملكة الأردنية في ضوء النمذجة الرياضية – ضياء ناصر الجراح – ص ٤٣ - دكتوراه القاهرة –كلية التربية –جامعة عين شمس – ٢٠٠٠م

كما أن المعرفة كل لا يتجزأ، ولا يمكن تحصيلها إلا بمنهج تكامل العلوم والتخصصات، وتداخلها، وتكاملها في الأثر والنتيجة " ([1]) (التنمية العربية، ٢٠٠٣: ٣٨).

ومنها :

" ... يراعي المنهج المتكامل خصائص النمو السيكولوجي والتربوي للتلاميذ، من حيث مراعاة ميولهم واهتماماتهم واستعداداتهم في ما يقدم لهم من معارف وخبرات ومعلومات متكاملة، ما يخلق لديهم الميل والدافع لدراسة هذه المعلومات، أي أن هذا المنهج يتخذ من ميول التلاميذ أساساً مهماً من أسس اختبار المشكلات والموضوعات التي يرغبون في دراستها وأوجه النشاط المتصلة بها، وهذا يدفع التلاميذ إلى بذل قصارى جهدهم لجمع المعلومات اللازمة لحل تلك المشكلات، أو لدراسة هذه الموضوعات، وبذلك يكون التعلم أكثر نفعاً وأبقى أثراً؛ لأنه تعلم قائم علي رغبتهم ويتماشى مع ميولهم " ([2]) (الجراح، ٢٠٠٠: ٥٢).

٢- بين تكامل الفروع وتكامل المواد :

التكامل أوالترابط بين فروع اللغة العربية ، قائم على الصلة الطبيعية الجوهرية بين هذه الفروع ، لأنها تتعاون جميعها وتتكامل للوصول بالمتعلم إلى الغرض أو الهدف الأصلي من اللغة ، وهو تمكينه من القدرة على استخدام اللغة استخداماً صحيحاً فهماً وإفهاماً . فهناك ترابطاً بينها يظهر جلياً أثناء تعليم اللغة ، فليس هناك استماع بمفرده ، ولا حديث ولا قراءة ولا كتابة تعمل بمعزل عن الفن الآخر للغة . فقد ثبت أن هناك علاقة وثيقة مثلاً بين الكفاءة في الاستماع والكفاءة في تعليم القراءة والكتابة ، فالاستعداد القرائي يتطلب إتقان مهارات الاستماع والحديث والكتابة .

والتوازن في النظر إلى مهارات اللغة ،

بينما التكامل والترابط بين اللغة العربية مع المناهج الأخرى ، فهو مذهب نشأ مع نشأة اللغة العربية على امتداد القرنين الأول والثاني الهجريين ، وذلك من خلال مجالس العلم والتأليف المختلط نتيجة واقع طبيعي ربط بين اللغة العربية وبقية المعارف التي نشأت حول القرآن الكريم . ورغم أن هذا الواقع ظل قائماً في الدراسات اللغوية ، إلا أنه شيئاً فشيئاً برزت الحاجة إلى التخصصات وإلى التأليف المستقل في هذه المعارف ، وسرى الأمر في مجالات التعليم المختلفة ، خاصة في العصر الحديث عندما استجدت العودة مرة أخرى إلى النظام التكاملي في النظم التعليمية ، وتتابعت النظريات لتشمل النظرة التكاملية جميع المعارف الإنسانية بلا استثناء .

يقول محمد فاضل رضوان ، في " نحو تكاملية المعرفة " : الواقع أن هذا الفصل العميق بين مختلف المناهج الدراسية والمعرفية عموماً يجد له مبرراً في الانفجار المعرفي الهائل الذي ما فتئ

---

١ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (٢٠٠٣). تقرير التنمية العربية للعام ٢٠٠٣ (نحو إقامة مجتمع المعرفة)، المكتب الإقليمي للدول العربية.ص٣٨

٢ - تطوير مناهج الرياضيات - الجراح – ص ٥٢

يفتح الطريق أمام انبثاق تفاصيل متجددة باستمرار، تجعل العقل البشري ينحو نحو مزيد من التخصص وتخصص التخصص، حتى أضحى الحديث عن الموسوعية الفكرية أمراً أقرب إلى التناولات الأنثروبولوجية المنصبة حول تجليات إنسانية مرتبطة بعهود وأزمان انقضت إلى غير رجعة، لقد أضحى لمختلف التخصصات المعرفية تخصصاتها الخاصة التي كان من البديهي أن تجد لها انعكاساً على مستوى ما يتم تداوله من معارف في سياق المنظومة التربوية، الشيء الذي أخذ تجليه في رؤية مشوهة للمعرفة، تطغي فيها التفاصيل الكثيرة والمتعددة على طابع الوحدة والاتساق المعرفيين، اللذين من المفترض أن تساهم المؤسسات التربوية في صياغتهما وتكريسهما ... "

,إلى أن يقول :

.ولئن كانت أسئلة وإشكالات كهذه غير ذات حضور كبير في مؤسسات التعليم بالوطن العربي التي ما زالت تجتر تاريخاً خاصاً لا يعزل المناهج عن بعضها البعض فحسب، بقدر ما يعزل المؤسسة التعليمية في شموليتها عن منتظرات المجتمعات الإنسانية عموماً، فإن العالم الغربي يشهد في السنوات الأخيرة ردة هائلة نحو إعادة الجمع والدمج بين مختلف المعارف الإنسانية والمناهج التعليمية، تلك النزعة التي تجلت في توجه غير مسبوق نحو البحث عن الخيط الناظم بين مختلف تجليات المعرفة الإنسانية، الذي من شانه أن يسهم في إقرار وحدة المعرفة وتكامليتها، التي أصبحت مهددة في زمن الإنسان ذي البعد الواحد، إذا جاز لنا أن نستعير عبارة أحد أعلام النظرية النقدية هربت ماركوز." [١]

٣ – نموذج تطبيقي – لتعليم تكاملي

ومن نماذج التطبيق الحديث على التعليم التكاملي للغة العربية مع فروعها ومع غيرها من المعارف ، ما يلي من هذا العرض في تدريس (اللغة العربية) عطية العمري :

المادة: لغة عربية

الموضوع: الفواكه غذاء مثالي

الصف: الثامن الأساسي

أولاً– التكامل بين فروع اللغة العربية:

١. القراءة: قراءة الموضوع قراءة صامتة وأخرى جهرية.

٢. المعجم والدلالات:

[١] - نحو تكاملية المعرفة – قراءة نظرية وتطبيقية في المقازنة البينمناهجية – محمد فاضل رضوان – ص٥٥ مركز القطان للبحث والتطوير – غزة –فلسطين

أ. الاصطلاحات (الفيتامينات – الحوامض – المادة القلوية ... الخ).

ب. التمييز في المعنى بين: (كبد حمزة– سوداء الكبد – كبد السماء – أفلاذ أكبادها)

٣. المناقشة والتحليل: حول الفهم العام والفهم التفصيلي لمضمون الموضوع.

٤. تدريب لغوي: كتابة مصادر بعض الأفعال.

٥. التعبير:

أ. تحليل فقرة من الموضوع (جملة رئيسة، يتبعها عدد من الجمل الفرعية التي توضح الجملة الرئيسة أو تفصل الإجمال الذي احتوت عليه).

ب. تدريب الطلبة على تحليل فقرة أخرى بالطريقة نفسها.

٦. الإملاء: إملاء فقرة من الدرس.

٧. الخط: كتابة عبارة من الدرس بخط الرقعة.

ثانياً– التكامل بين اللغة العربية والمواد الدراسية الأخرى:

١. العلوم:

أ. مكومات الجهاز الهضمي.

ب. أقسام الغذاء (بروتينات – نشويات وسكريات – دهون – فيتامينات – أملاح – ماء).

٢. الجغرافيا: توزيع إنتاج الفواكه على دول العالم (أين تكثر كل فاكهة مما يلي: ... ؟)

٣. التربية الإسلامية:

أ. تحديد الآيات القرآنية التي فيها ذكر الفاكهة.

ب. تحديد الأحاديث النبوية التي فيها ذكر الفاكهة.

ج– تحديد الأحاديث النبوية التي فيها آداب الطعام.

٤. الرياضيات:

أ. حساب النسبة المئوية لإنتاج الفواكه بالنسبة للإنتاج الزراعي في فلسطين.

ب.حساب النسبة المئوية لدخل قطاع غزة من الفواكه بالنسبة للدخل القومي.

ج. رسم بياني لكميات إنتاج الفواكه المختلفة في قطاع غزة. ([1])

فيلاحظ من العرض السابق التطرق لفروع اللغة قراءة وتذوقاً وتمييزاً ومناقشة وتحليلاً نحوياً وصرفياً وتعبيراً وكتابة ، وهو مما يستوفي الغاية النهائية من تكاتف مجموع هذه الجوانب التي نعرفها مفصلة فيما اصطلحنا عليه في مناهجنا التقليدية بـ (النحو والصرف والبلاغة والأدب والنقد والإنشاء والإملاء والقراءة والخط)

[1] - كتاب: المطالعة والنصوص ج١/ ص١٦– ١٩ / د–عطية العمري – مركز القطّان/غزة

كما يلاحظ تكامل جوانب من فنون العلوم والتربية الإسلامية والرياضيات مع العربية . ولا يخفى أن من أهم المتطلبات لتحقيق مثل هذا التكامل حسن اختيار النص المعبر والمتضمن لجوانب عديدة يقوم عليها التكامل .

٤ – أصالة التكامل في التراث العربي

الدرس اللغوي عموماً نشأ مختلطاً متداخلاً في غيره من فروع الدراسات اللغوية وغير اللغوية ، وظهر ذلك في عناية الدارسين الأوائل التي كانت موزعة على أكثر ميادين المعرفة آنذاك ويعود الفضل إلى القرآن الكريم الذي كان الحافز الأكبر لنشأة وتطور اللغة عموماً ، إذ كانت خدمة القرآن الكريم في توضيح مراميه التشريعية وتفسير دقائقه اللغوية تتطلب أن يحاط نصه المقدس بالاهتمام المتنوع . ومن الطبيعي أيضاً ، كما يقول محمد حسين آل ياسين .: " أن يكون أوائل المتصدين لهذه الدراسات ذوي اختصاصات متعددة واهتمامات مختلفة ، نظراً لهذا العامل الموحد بينها والجامع لأصولها . فقد ظهر علم التفسير وعلم الحديث والفقه والقرآت واللغة والنحو والصرف والفلسفة وعلم الكلام والمنطق والمعاني وكثير غيرها من العلوم في أوقات متقاربة جداً ولأسباب مشتركة ، تقف على رأسها خدمة القرآن أحكاماً ولغةً وإعجازاً ، وصرنا نرى مفسراً لغوياً وفقيهاً محدثاً ومقرئاً ، ونحوياً وكلامياً صرفياً وهكذا ، بل نجد من يجمع أكثر هذه المعارف أو كلها جمعاً تتفاوت فيه درجة الإتقان من دارس لآخر ..." ([1])

ولعل ما أشرت إليه سابقاً في التمهيد لهذا البحث من خلال دور مجالس العلم وما يدور فيها، مصداق لما ذكره محمد حسين آنفاً .

وقد شاع هذا النوع من الدراسات كما قلنا لدى الأوائل ، ولم يظهر وينتشر التأليف المستقل إلا منذ القرن الثالث .. وأشهر تلك المؤلفات المختلطة تمثيلاً لا حصراً :

*** كتب معاني القرآن ومجازه وتأويله .**

منها : معاني القرآن للفراء . مجاز اقرآن لأبي عبيدة . ومعاني القرآن للأخفش . وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

" وقد وضعها مؤلفوها لبيان معاني آيات الكتاب الكريم وبيان مشكلاتها اللغوية والنحوية والصرفية ، وشرح غوامض ألفاظها وغريب مفرداتها وإزالة اللبس في تعارضها ومتشابهها ، فهي على هذا آخذة في اللغة بطرف ومن التفسير وبيان الأحكام بطرف . ولا غني لمن يريد الوقوف على الناحيتين من الرجوع إليها . وهي تأخذ بمبدأ الانتخاب من الآيات القرآنية فيما تريد أن تبحث فيه موضوعاً أو تناقش مسألة ، وهذه هي الخصيصة التي تختلف عن كتب التفسير التي تستقصي آيات القرآن بياناً وشرحاً ..." ([2]).

---

[1] -الدراسات اللغوية عند العرب – د. محمد حسين – ص ٧٨

[2] - الدراسات اللغوية – ص ١٠٣

*** وكتب النوادر والأمالي :**

ومنها : نوادر أبي عمرو بن العلاء . ونوادر أبي محمد يحي بن المبارك اليزيدي والنوادر في اللغة لأبي زيد، وكتاب النوادر لابن الأعرابي وكتاب النوادر لأبي مسحل.

وهي أيضاً – على جانب اهتمامها بذكر اللفظ النادر والاستعمال الغريب والنص على اللغات المختلفة – عنيت بالمسائل النحوية والصرفية وسرد أخبار العرب وأنسابهم ، وتعرض للقواعد العروضية فيما ترويه من شعر وغير ذلك..." ([1])

هذا ، وقد كان كل ما يجري في التأليف يجري في حلقات العلم قديماً . بل أن بعض المؤلفات هي صورة صادقة لحلقة الدرس التي تدور فيها المعارف والعلوم مختلطة ويدونها الطلاب في دفاترهم على علاتها . وخير مثال على ذلك كتاب مجالس تعلب وأماليه ضمن تصنيف كتب النوادر .

يقول محمد حسين :

" أما مجالس ثعلب ، أو أماليه كما تسميها بعض المصادر ، فهو الكتاب الوحيد ... لا يحمل في عنوانه لفظ النوادر ... وذلك لعلة تستفاد من الفرق الواضح بين مادته ومادة كتب النوادر الأخرى ، فهي وإن كانت تملى على الطلاب – كانت مادتها تتصل بالنوادر في مفهومها ... لا نجد في مجالس ثعلب موضوعاً رئيسياً لأجله عقدت المجالس وحررت الأمالي فيها ، إنما نقرأ أشتاتاً من الموضوعات لا يربط بينها رابط ما ، سوى كونها مدونة في حلقة تعليمية خاصة فيها يلقي ثعلب ما يعن له من شعر أو خبر أو تفسير أومسألة في اللغة أو النحو والصرف أو جواب عن سؤال يوجه إليه ، فيسجل خلال ذلك طلابه ما تتابع عليهم منة هذا الخليط العلمي الممتع .."([2])

٥ –وقائع تكاملية من الميدان التعليمي للباحث.

فروع العربية التي تشمل (النحو والصرف والبلاغة والأدب والنقد والعروض والتعبير أو الإنشاء والخطب) وهي ما يشير إليه ابن هشام مراراً بـ " العربية " قد جرت الأنظمة التعليمية الحديثة – في إطار معالجة مشكلة صعوبة النحو لدى التلاميذ– على إقرار التكامل بينها باعتبار ذلك من أمثل الوسائل التي تضع أذهان التلاميذ في تصور كلي للتركيب الفصيح وللغة العربية في تكاملها وانتفاء انفصام أطرافها عن بعضها البعض باعتبارها كلاً يهدف لغاية واحدة كما سبق وأوضحنا، مما يحفز على الفهم ويقرب الأذواق من الأصالة والسليقة اللغوية الصميمة .

وإلحاقاً بما سبق وعرضته من مزايا ومبررات التكامل في التعليم ، أضيف هنا من واقع ممارستي الميدانية مبررات أخرى كما يلي :

---

[1] - نفسه بتصرف - ص ١١٨

[2] - نفسه بتصرف – ص ١٣٨

أولاً- رغم مابين أيدينا من الشواهد لممارسة علم النحو في السابق من خلال فنونه العربية المتنوعة ، ومن خلال المعارف الأخرى ، على نحو ما تعرفنا في مجالس العلم قديماً ، ومما نشهده في كتب القدماء ومؤلفاتهم المختلطة ، فإن الحاجة بمرور الزمن قد دعت إلى ما يعرف في النظم التعليمية بالتعليم التقليدي في تدريس النحو وفروع العربية الأخرى منفصلة عن بعضها . وهو أسلوب رغم فوائده لمراحل التعليم المتقدمة ، فقد برزت له سلبيات وخيمة على تدريس النشء .

منها :

إن التلميذ يدرس النحو خالصاً في حصة ، والصرف في أخرى ، والبلاغة في ثالثة . وكذا حصة للإملاء وحصة للإنشاء وحصصاً للنصوص وللنقد وللعروض دراسة مباشرة ، فيستغرق في الفرع المخصص له كل فكره ووقته طلبا لاستظهارهذا الفرع أو ذاك كما يريد المعلم ، فيؤدي ذلك إلى ارتباط ذهن التلميذ بالزمان والمكان لكل من هذه الفروع . فإذا ما طولب بكتابة تعبير ، حصر تفكيره في البحث عن الكلمات والتراكيب التي تصنع له المعنى دون مراعاة لنحوها أوصرفها وبلاغتها . وهكذا إذا ما طولب أن يصنع عبارات تطبيقية في فرع آخر ، لتشبيه بلاغي أولقاعدة نحوية ، تراه ينسى التركيز هنا في المعنى الإنشائي والتعبيري المباشر، لأن الموقف يتطلب منه أن يركز همه في ذلك التشبيه ، أو ذاك الفاعل ، باحثاً لهما عن ما الوجه المناسب ، فبصيغ كلماته وتراكيبه كيفما اتفق إلا أن تحقق القاعدة المطلوبة .

ومنها :

إن عصره عصر السرعة والمغريات والشاغلات ، يدعو لضرورة مواكبة المستجدات .فيواجه التلميذ في إطار التعليم المنظم ، في يوم واحد ، بل وفي سبع ساعات منه ، سبعاً من المعارف المتناقضة ، التي لا تنتمي إلى بعضها ولا يجمعها إلا كلمة (علم) . على شيوخ يمثلونها ، ولا يعتد الواحد منهم بغير ما يمثله منها ، إذ لا وقت له لغير ذلك لارتباطه بمنهج لا بد له أن يستوفيه في زمن قياسي .

فما هي الإيجابيات ... وما هي السلبيات ؟

إيجاباً : يسابق التلميذ الزمن ، فيتعرف مبكرًا كما واسعا من المعارف التي أفرزتها الحضارة ، إلى جانب تلك التي تربطه بتقاليده وتراثه وحضارته الأصيلة. وذلك أمر حسن ، غير أنه يتطلب جهداً واستعداداً لدى التلميذ قلما يتوفر تلميذ لهما .

سلبا : قد يضحي التلميذ الضعيف ببعض تلك المعارف على حساب الأخرى . وغالبا ماتكون تلك الأخرى من بين المعارف التي تربطه بتراثه وتقاليده وحضارته الأصيلة . فيميل مع الوافدة ، ويدعم ميله هذا ما يشاهده ويصادفه بغزارة في حياته العامة من مبتكرات حديثة مغرية . أو لعله لا يستكثر فقدان التراثية القديمة ، على اعتبار أن الحصول عليها يسير ، وتداركها والوصول إليها ممكن وملحوق، ولا تمثل لديه حاجة حياتية وضرورية ملحة ؛ فهي بين يديه دائماً ، في داره ومسجده وفي كل مكان بين رموزالحضارة وأساطين التراث . فما عليه إلا أن يتجاهلها في سبيل مسابقة الزمن والحضارة الحديثة . أو ربما فقد الجميع ، فلا هو يحصل على الأولى القديمة ولا أدرك الأخرى

الحديثة . و حينما يختلط عليه الأمر ، ويتكاثف عليه العبء ، يفقد التنظيم والتنسيق بينها ، فلا يتبين الحدود الفاصلة بين صرفها ونحوها وبلاغتها وعروضها ، ولا بينها وبين العلوم الأخرى ، من علوم وجغرافيا وحساب وانجليزي . وينصرف عقله الكليل إلى ما يتبعها من ثواب أو عقاب . وقد يكف عن طلب الثواب ويتجه شطر أن ينجو من العقاب المتمثل في عواقب الرسوب لما سيجره عليه من قبل ولي الأمر ، إذ مع إلغاء عقاب السوط في المدارس فليس أشد عليه من عقاب السقوط وخصم الدرجات ، وهو مايهم ولي الأمر في القضية برمتها . راضياً بالعودة من الغنيمة بالإياب .

لاشك أن مثل هذا الشقاء المر سيظل يصاحبه بعد تخرجه فيظل لا يذكر من تعليمه إلا أمارات دارسة ، وطلولا بالية ، لا تقيل له عثرة فيما يعرض عليه في مستأنف دراسته من علم النحو والصرف .

لاحظ – هذا أونحوه – العلماء المعاصرون فيما يخص ضرر التفريع والفصل بين فروع العربية في التعليم ، وسلبيات التدريس التقليدي الذي يركز على الجزئيات خاصة في المراحل الأولى من التعليم . فقرروا الرجوع لربط هذه الفروع ببعضها في أذهان التلاميذ ، كما هي وكما كانت من قبل. فالتعبير والإنشاء هو الغاية الطبيعية التي تصب فيها الفروع ، وينتهي إليها المتعلم في توظيف كل قواعد العربية . ومن ثمَّ كانت الدعوة إلى الأخذ بطرق التكامل بينها في التدريس من خلال النص الواحد، كأحدث الوسائل التعليمية الميسرة بين المعاصرين ،باقتناص وتحليل ما يحتويه من قواعد الفروع وأفكار علمية، دون أن يقطع انسيابه وجمال محتواه تركيزه على فرع أو موضوع بعينه .

٦ – ابن هشام والتكامل .

فأين يقف ابن هشام من كل هذا ؟

لقد حرص ابن هشام من بين النحاة السابقين والمعاصرين أن يخرج كتبه خاصة الأربعة المشهورة – التي استعرضنا مناهجها في هذا البحث– موجّهة توجيهاً مباشراً للناشئة والمتعلمين ،فلم يقف كغيره عند المسائل النحوية فقط ، بل حاول توظيفها لتخدم المسائل الأخرى من فروع العربية والمعارف القريبة الميسرة لها كالتفسير والحديث ، فتناول بعض المسائل البلاغية لا لتقليد السابقين من النحاة بل تدعيماً لهذه النظرية ، وفسر من خلالها آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث الشريفة ، وأبيات الشعر الفصيح ، وعرض خلال ذلك لجوانب من العلوم الشرعية الأخرى ، فجمع بذلك بين الفروع والمعارف الموازية للنحو – فهو يقول : في مقدمة كتابه المغني

" ولم اذكر بعض ذلك في كتابي جريا على عادتهم ... بل لأني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً .

ولتعليل هذا الجمع بين الأمرين النحو والفروع ، والمعارف الأخرى، أجاب حينما سئل هلا فسرت القرآن أو أعربته فقال : " لقد أغناني المغني . إشارة إلى استيفائه التكامل المطلوب بين جميع

فروع العربية، وبينها وبين العلوم الأخرى، بما اشتملت عليه من أساليب بلاغية ، وقوانين لغوية تنتمي إلى تلك الفروع التي لا غنى للتفسير ولا للعلوم الدينية عنها ، حيث لم يهمل خلاله تفسير الآيات ، وشرح الأحاديث والنظر في النكت البلاغية والعروضية والإملائية مما يتطلبه الواقع اللغوي ، ويتأثر به نحواً وصرفاً وبلاغة ورسماً . وتلافياً للتكرار والإطالة، أحيل القارئ إلى متابعة ذلك من خلال ماتم عرضه في الأبواب السابقة. حيث يقف في أعماله جمة على صور ونماذج للتكامل بنوعيه – بين الفروع وبين المعارف الأخرى ، حيثما عرض لإعراب آية أو تناول شاهداً من قرآن أو حديث أو شعر . هذا فضلاً عن استطراداته المتكررة – كا استطراده في باب الهمزة ، في أساليب النداء والاستفهام البلاغية في كتابه " المغني" وكتطرقه لكتابة رسم الهمزة في قطر الندى تحت قوله : " لما ذكرت الوقف ... ذكرت كيفية رسمها في الخط استطراداً " ([1]

وبمقتضى ذلك يمكننا القول : أن الدعوة الحديثة بالتكاملية بين فروع العربية، والتي كانت أصلا موجودة في التأليف المختلط قبل عصور التخصص . هي دعوة تجددت لدى الدارسين في العصر الحديث منذ القرن العشرين في سبيل بحثهم عن تيسير النحو الذي تفاقمت صعوباته بين التلاميذ . وكان ابن هشام في مؤلفاته التي تضمت كثيرا من أسس التكاملية – سباقاً إلى العودة بالنحو لهذه النظرية، بناء على سبقه الأنظمة التعليمية الحديثة التي اعترضها بين الناشئة ما اعترضه قبل ذلك .

وخلاصة الأمر

ما استحدثه المعاصرون في العصر الحديث من نظريات في النحو واللغة، لم يختلف عما عالجه القدماء من الأفكار النحوية الدقيقة ، إلا من حيث تفسير الفريقين للظواهر اللغوية، فاهتم المعاصرون بالتغييرات الحاصلة داخل اللغة دون الوقوف عند وصفها كما فعل القدماء ، .بينما انكب القدماء على استقراء الظواهر بمعزل عن نشاط الفاعلين والمتكلمين.

التكامل كان قائماً قبل أن يشوب العالم العربي شائب في الثقافات المتباينة . إذ كان المحدث أو المفسر أو الفقيه والمتكلم في مجالسهم ، يشرحون ويفسرون ويتكلمون في معارفهم من الفلك والجبر ، مستعرضين أمام طلابهم الذي يدوّنون كل ما يعرض لهم من أبواب النحو والبلاغة والصرف ونقد الشعر وسائر المعارف مختلطة ببعضها ، في أسلوب لا يشعر إلا بتكامل هذه الفروع العربية في مهمتها ، وبالتكامل فيما بينها وبين المعارف الأخرى .

هذا ويعتبر ميل ابن هشام في كتبه إلى معالجة المسائل النحوية ، مع الاهتمام باستعراض جوانب من الفروع الأخرى في البلاغة والأدب والإملاء والخط ، متى دعت الحاجة لذلك ، هو سبق يمكن تصنيفه ضمن تقدمه على أصحاب النظرية التكاملية الحديثة.

[1] قطر الندى – ص١٧ دار الفكر

وهو في المجمل مثال للمدرس المثالي في زمنه، وعبر أزمان من بعده بما أنتجه من الفكر، وبما مارسه في مؤلفاته من تعليم يرقى بالتدريس إلى أعلى المستويات .

خاتمــة البحـث

* ملخص البحث

* نتـائج البحث

* توصيّات الباحث

* ملخص البحث

لقد أثبت هذا البحث– بوجه عام – وبالدليل العلمي والموازنة المحايدة:

– أنّ الفكر النحوي لابن هشام كان إضافة إصلاح حقيقية إلى النحو العربي . ومع أنه لم يتضمن ابتكاراً في الموجود أصلاً من النحو، فإنه قد أحدث فيه انتقالة تطوير هامة، أملتها الظروف والمعطيات التي كانت قد ألمت بالنحو فكشفت عما يعانيه وما يعاني منه متعلموه. وفي مواجهة ذلك لم يقدم ابن هشام نظريات، ولم يؤسس قواعد، لكنه ارتضى من سبل التيسير والترغيب مخاطبة عقول المبتدئين والناشئين، ومحاورة المتعلمين الراسخين، بفحص أقوالهم وغربلة آرائهم، في فكر مستقيم، يراعي إلى جانب الشكل جانب المعني من الكلام الفصيح، وذاك كان مركزالنبوغ في تطورالفكرالنحوي عنده .

وضمن هذا الإطار العام أشار البحث إلى :

– أن النحو العربي الذي نشأ على أسس ومظاهر لغوية كانت راسخة في كلام العرب، استوي منذ سيبويه وأنصاره في القرن الثاني الهجري – علماً ذا معالم وحدود واضحة ، وأبواب ومصطلحات معروفة ..وأنه تطوَّر – على امتداد القرون المتتالية – تطوراً أفقياً، بالدوران حول تلك المظاهر اللغوية الراسخة. والمراوحة في تلك الإصلاحات والقواعد اللاحقة، بمزيد من إنجازات التطور، التي هي إضافات إصلاح وترميم للنحو. تجلى خلالها ابن هشام بفكره النحوي كلبنة مشرقة في صرح تلك الإنجازات.

– وأن مذهب ابن هشام قد تفرّد، بفكر شائع الانتماء، لا هو بالبصري ولا الكوفي ولا هو بالمختلط ، بل غاية ما يمكن أن يقال فيه: أنه مذهب وسيط، امتاز بالأخذ بكل فكر، لا كالمذهب المختلط تماماً، بل معتمداً أسلوب التحكيم بين الآراء والمذاهب المختلفة، وسبيل الحياد المطلق ، متحرّياً في تفرّد وأصالة، الأنسب من الأسس والمناهج ، والملائم للبيئة اللغوية، والأجدر باللغة والإعراب والتفسير، والأجدى لإزالة الوهم وتمرين الطالبين. مراعياً ظروف الواقع ، ومسايراً تيارات الماضي. مذللاً ذلك، بتآليف مميزة من المختصرات والشروح، محكمة التبويبات العروض والتدرج، ووافية بالتنويع والشمول والتيسير ، هادفاً في جميع أولئك إلى تيسير النحو وتعليمه الدارسين على اختلاف أعمارهم ومشاربهم.

* كما نبه البحث في إطار العلامات الإعرابية التي هي أهم عناصر الفكر النحوي، إلى : أن تحديد المعنى المباشر في كل تركيب قد لا يتوقف الوصول إليه لدى القارئ والسامع والمتكلم، على الاستدلال بالحركات الإعرابية التي ترمز للعلاقات النحوية، فالقرينة سيدة المعنى.

– وأشاركذلك في هذا الإطار إلى أهمية ما لقرض الشعر الفصيح والالتزام بقوانينه من تحفيزٍ إلى تعلم قواعد النحو وتعاطيها. فعنصر التأثير الشعري إنما يقوم على قوانين النحو وقواعده المعنوية والشكلية والعروضية في الألفاظ والتراكيب، وبدونها لا تتوفر للشعر عناصر الإثارة في المضامين

والصياغة والجرس والموسيقى . ومَن ثَمّ، فإن فئة الشعراء هم في الغالب الأكثر قرباً وتعاطياً مع النحو ، وهم الأصوب حكماً وملاحظة للوظائف النحوية من غيرهم .

ودلل البحث أيضاً في ثناياه عن :

– أن المحاولات القيّمة في الإصلاح النحوي على يد المتقدمين أمثال الإمام الجرجاني وابن مضاء القرطبي وابن هشام ، هي – وإن لم تكتمل منهجاً يلم أشتات النحو كله بتوسع وتعمق – فإنها كانت مصابيح في طريق الإصلاح الشامل المتكامل، ولعل محاولة ابن هشام التي فصلها البحث، هي الأكثر تشخيصاً للمشكلات في الدرس النحوي التعليمي، لاقتصارها على مجال التعليم ، ومخاطبة المبتدئين وتمرين الطالبين، وهو المجال الأهم من مجالات الإصلاح في النحو وتطويره.

وأن ما قام به بعض المحدثين من محاولات الإصلاح النحوي في العصر الحديث، لم ترق إلى أن تكون منهجاً واضحاً وسليماً وجامعاً لأبواب النحو كلها، لاكتفاء أغلبها بالأمثلة البسيطة ، أو بجانب واحد من الموضوع النحوي، دون النظر في أمثلته المركبة والمعقدة التى جرى بها لسان العرب ، أو بالنظر فقط في اعتبارات المتكلمين ومستوياتهم بمعزل عن التركيب. وعاب تلك الاصلاحات – أحياناً – أنها استعارت من النحاة أساليبهم التي أخذتها عليهم، فكان فيها من التأويل والتعليل والتكلف والتفلسف لإقناع الدارس بوجهة النظر، ما يفوق في بعض الأحيان ما ورد لدى المتقدمين وبعض المحدثين في أحوال مشابهة.

*** نتائج البحث :**

– إن ابن هشام بما قدّمه من جهود في الفكر تمثلت في خلاصاته وشروحه لها في كتبه الأربعة المشهورة، وبما ابتكره من تصنيف معتدل وشامل–خاصة في مغني اللبيب – وبما انتهجه من أساليب في التيسير والتوضيح، قد طوّر الفكر النحوي، فقرّبه إلى الأذهان،وأنقاه من التعقيد وتصارع الآراء، فكان بذلك إضافة حقيقية على الفكر منذ نشأته مستوياً عند سيبويه ومن جاء بعده.

– أن الدرسات في الفكر النحوي عامةً لم تصل حتى الآن بالنحو إلى حد الكمال، على الأقل من حيث ترسيخه على ألسن الناس كالطعام والشراب في شئونهم الحياتية. وأن النحو رغم كل ما قدمه الباحثون لايزال في حاجة مستجدة للوفاء بمقتضيات الدرس النحوي، وفق الظروف الإنسانية والتعليمية المتجددة باستمرار. وهو لنهضته وتطوره ووفائه، في حاجة أشد لمثل ابن هشام، يحل محله فيسعى سعيه، ويواصل انجازه، ما بقى الأمر على ما هو عليه .

– وتوصل البحث أيضاً إلى: أنه وفي ضوء ما سبق من وقائع، يجب الإقرار بأنّ تغيّر قواعد النحو على ألسنة المتكلمين أمرٌ وارد، وأن الحذر في نفس الوقت من تطوير قاعدة سابقة من قواعد النحو لا ينفك أمراً قائماً . ومع ذلك، فإنني أستعيد هنا وأؤيد من آراء العلماء، ما أحسبه من الرؤى العلمية المؤدية للتخفيف على المتعلمين– وبالأخص هذه القضايا الست التالية :

١– اقتراح البعض الاقتصار على رأي البصريين في باب التنازع. وكذالك الاقتصار على وجه واحد من إعرابات المخصوص بالمدح والذم. ، هو إجراء مقبول ومستساغ ، يجدي في سبيل تيسير النحو واللغة، إذ أن الصعوبات ، وتشتت الأذهان، منشؤها التعدد في الآراء، والتنوع في وجوه الإعراب . فضلاً عن أن أياً من الوجهين الإعرابيين في التنازع، أو الرأيين في المدح والذم، لا فضل لأحدهما على الآخر من حيث التأثير المعنوي أواللفظي، فليس بعد ذلك إلا مراعاة المخاطبين من المبتدئين.

ففي نحو (زيدُ لقيته) كون (زيد) مبتدأً أو مفعولاً فإن الأقرب منهما إلى ذهن التلميذ يفي بالغرض . كما أن إعرابه فاعلاً في نحو(حبذا زيدُ) هو الأقرب إلى أذهان الصغار ، وهو أولى لكونه بعيداعن التقديرات المضنية وعن تأوُّل وجوهاً أخر .

٢– من المنطقي نقل باب (كاد وأخواتها) إلى المفعول به. ففي نحو: ("كاد الفقر أن يكون كفراً)" أجد أن كاد وأفعال المقاربة عموماً لايمكن منع تصورها في أذهان الصغار ككل الأفعال التامة الأخرى المقتضية لفواعلها ومفعولاتها . وبالتالي تصورهم ما يعتبر اسمها فاعلاً، والجملة الفعلية بعده مقرونة بأن، أو في معنى المفعولية لا غبار عليه من حيث المطابقة بين هذه العلاقة النحوية أو تلك مع المضمون. فضلاً عن أن ذلك يمنع الاضطراب الذي قد يتعرض له التلميذ فيما لو درس باب المفعول واستوعبه، ثم عرض له باب كاد وأخواتها ، مما يعرضه للخلط أو لنسيان باب على حساب آخر. ويمكن اعتماد هذا النقل على الأقل في المراحل الأولى من التعليم

٣- وعلى نفس القياس لا حرج كذلك في نقل باب (كان وأخواتها) إلى باب الحال – كما ذهب إليه الدكتور ضيف – فلا غرابة تشوب أذهان التلاميذ من تصورهم خبر كان وأخواتها حالاً ، سواء في المشتق مثل : (بات السير محموداً) . أي حالة كونه محموداً ، أو في الجامد نحو : (صار البذر شجراً) أي حالة كونه مشجراً . وليس ما يمنع تأويل الخبر الجامد بمشتق –كالمثال السابق– على اعتبار أن الحال تأتي جامدة وتؤول بالمشتق . هكذا كما ذهب النحاة .

٤- من المستحسن تسميتهم الجمل التي لا محل لها من الإعراب بالجمل المستقلة .كما أفضّل الاكتفاء بـ (فاعل/ مفعول/ حال/ صفة ...ألخ) في إعراب الجمل التي لها محل من الإعراب ، دون التطرق لذكر مصطلحات مردفة، كنحو : في محل رفع ، نصب، جر ...ألخ . مما يشغل المتعلم بتفصيلات لا حاجة إليها في مواطن الإعراب ، فيزيد ذلك من العبء والتعقيد.

٥- في تقدير (أن) وإضمارها ، مع بقاء عملها – وجوباً وجوازاً، قد يهم المتعلم أن يعرف ويستسيغ ، أن (أن) أضمرت وعملت في الفعل . ولا يهمه كثيراً أن يكون ذلك الإضمار جوازاً . مثل : (خروجي إلى الناس وأتحدث إليهم خيرٌلي) . أو وجوباً نحو: (خرجت لأتحدث إليك) – مع ما في هذا الإضمار من إشكال منطقي. ففي المثال الأول يمكنك إظهار أن دون أن يضطرب السياق . فتقول : خروجي إلى الناس وأن أتحدثَ إليهم...) ، وفي الثاني –الإضمار الواجب– إظهارها فيه غير مستساغ ، فلا يتأتى (خرجت لأن أتحدثَ) . فلا فائدة مما لاينسجم مع السياق .

٦- في (ما) الحجازية ، والتميمية، إذا كانت (ما) بمعنى ليس فهي تشتبه ب(ما) النافية التي لا عمل لها . واقتراح تجديد النحو إلغاءها في غير ماورد في قراءة القرآن والآثار رأيٌ وجيه . وهوأشبه بمبدأ ابن مضاء (حذف مالايفيد نطقاً) .

ففي قولك (ما محمدٌ قائماً...أو قائمٌ) لا إشكال في اللفظ ولا في المعنى إذا ما جعلتها نافية ، أو جعلتها عاملة كليس فنصبت بها الخبر . وليس سوى التغيير الشكلي الذي لا يتأثر به النطق ولا المعنى

- **التوصيـــات :**

- على ضوء مسيرة ابن هشام العلمية الثرّة، أتقدم بالدعوة الصادقة لطلاب العلم وللباحثين إلى انتهاج سبيل التيسير في عرض قواعد النحو على الصغار فهو الوسيلة المثلى لتركيز هذا العلم في الألسنة والعقول والقلوب، فيشب به أصحابها، حفاظاً على هذه اللغة الجميلة التي شرفها الرحمن وزكاها القرآن . فمن أنجع الوسائل النظر في طريقة ابن هشام وأمثاله من العلماء الميسرين، ومواصلة مسيراتهم العلمية في البحث خلالها عن أكثر السبل واقعية في مواكبة العصر والتطور .

- وجوب إعادة النظر وإعمال الفكر في بعض ما تعرض له، أو أشار إليه الباحثون، ثم القيام بمناقشته وتحليله علمياً ومنطقياً، واعتماد ما يقبل العقل والمنطق والواقع من بين أمثال ما ورد من الاقتراحات الست في صلب نتائج هذا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

سبتمبر ٢٠٠٩م

الفهـــارس العامـــة

- فهرس آيات القرآن الكريم
- فهرس الأحاديث النبويـة
- فهرس الأشعـــار
- فهرس الأعـــلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضـوعات

فهرس الأحاديث النبوية حسب **ترتيب البحث** .

الأحاديث	رقم الصفحة
١- (أَيسَ مِنْ امْ بِرّ امْ صِيامٍ فِي امْ سَفَرٍ)	١٧٣-٥١
٢- (خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبهُنَّ اللهُ فِي اليومِ واللَيْلَةِ)	١٧٣-٥١
٣- (مَنْ تَوَضأَ يومَ الجُمُعةِ فبِالرُّخْصَةِ أَخَذَ ، ونِعْمَتِ الرُّخْصَةُ الوُضُوءُ)	١٧٣
٤- (كُلُّ الصَّيدِ فِي جَوفِ الْفِرا)	،، ،، ،،
٥- (أفضَلُ ما قُلتُهُ أنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي ، لا إلهَ إلا اللهُ)	،، ،، ،، ،،
٦- (يَتعاقَبونَ فيكُم ملائكةٌ باللَّيلِ وملائكةٌ بالنَّهارِ)	،، ،، ،،
٧- (أَوَ مُخْرِجيَّ هُمْ ؟" قال ذلك حينما قال له ورقة بن نوفل : وَدِدْتُ أن أكونَ معك ، إذ يُخْرِجُك .	،، ،، ،، ،،
٨-(تُسبِّحُونَ وتَحْمَدُونَ وتُكَبِّرونَ دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ)	،، ،، ،، ،،
(وحِجُّ البيتِ مَنْ اسْتطاعَ إليهِ سَبيلاً)	١٧٤
٩- (سُبْحانَ اللهُ إنَّ المُؤْمِنُ لا يَنْجَسُ حَيّاً ولا مَيْتاً)	،، ،، ،،
١٠-(يارُبَّ كاسِيةٍ في الدّنيا عارِيةٌ يومَ القيامةِ)	،، ،، ،،
١١-(إنّ مِنْ أشَدِّ الناسِ عَذاباً يومَ القيامةِ المُصَوّرونَ)	،، ،، ،،
١٢-(مَنْ غَصَبَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ أرْضٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أرَضِينَ)	،، ،، ،،
١٣- حديث (كانَ يَتخوّلُنا بالمَوْعِظةِ)	،، ،، ،،
١٤-(. . . مَالمْ يَكُنْ نَقْعٌ أوْ لَقْلَقَةٌ)	،، ،، ،،
١٥- (لاحول ولاقوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)	،، ،، ،،
١٦- (التَمِسْ ولوْ خاتَماً مِن حديدٍ)	،، ،، ،،
١٧-(النَّاسُ مَجْزِيُّون بأعْمَالِهِمْ ، إنْ خَيراً فخَيرٌ وإنْ شَرّاً فشَرٌ)	١٧٥
١٨- (إنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عليهِ ، وإنْ لا يكُنهُ فلا خَيرَ لك في قَتْلِهِ)	،، ،، ،،
١٩- (أفضَلُ ماقلتُهُ أنا والنَّبِيّونَ مِن قَبْلي : لا إلهَ إلا اللهُ)	،، ،، ،،

الأحاديث	رقم الصفحة
٢٠- (إنّا آلَ مُحمدٍ لاتَحِلُّ لنا الصَّدَقةُ)	١٧٥
٢١- (نحنُ معَاشِرُ الأنْبياءِ لانُوْرَثُ ، ما تَرَكْناهُ صدَقةٌ) -	،، ،، ،،
٢٢-(صَلَّى رسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ) جالِساً ، وصَلَّى وَرَاءَهُ رِجالٌ قِيامًا)	،،
٢٣- (ما أَنْهَرَ الدَمُ وذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليه فكُلوا لَيسَ السِّنَّ والظُّفْرَ)	،، ،، ،، ،،
٢٤-(ما مِن أيامٍ أحَبُّ إلى اللهِ فيها الصَّومُ منه في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ)	،، ،، ،،
٢٥- (قول عائشة : (ما صامَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ - شَهْراً كُلَّهُ إلا رَمَضانَ ،)	
٢٦- (إنّ الرَّجُلَ لَيُصلِّي الصَّلاةَ ماكُتِبَ لهُ نِصْفُها ثُلُثُها رُبْعُها ... إلى العَشْرِ،)	

فهرس الأشعار الواردة في البحث

	الأبيات حسب ترتيب حروف القافية	البحر	الصفحة
	الهمزة		
١	أَمِنَ ازْدِيَارَكَ فِي الدُّجى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلامِ ضِيَاءُ	الكامل	١٨١
٢	دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ودَاوِني بالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ	البسيط	١٨١
	الألف		
٣	فيَاشَوقُ ماأبْقَىوياليِ منَ النَّوَى ويادَمْعُ ما أجْرَى وياقَلبُ ماأصْبَى	الطويل	١٨١
٤	أيُّها الفاضلُ فينا أفْتِنا وأزِلْ عنَّا بفَتْوَاكَ العَنَـا	الرمل	٢١٢
٥	كيفَ إعْرَابُ نُحَاةِ النَّحْوِفي أنا أنتَ الضَّارِبي أنتَ أنَـا	الرمل	٢١٢
	الباء		
٦	فقُلتُ اُدْعُ أخْرَى وارْفَعِ الصَّوتَ جَهْرَةً لعَلّ أبي المِغْوَارِ منك قريبُ	الطويل	١٧
٧	يحسُنُ النّحْوُ في الخِطابة والشِّعْـ ـرِ وفي لفْظِ سُورةٍ أو كِتابِ	الخفيف	١١٤
٨	فإذا ما تجاوزَ النَّحوُ هـذِي فهْوَ شَيْءٌ من المَسامِعِ نَابِ	الخفيف	١١٤
٩	ولَقِيتُ من عَنَتِ الزُّيُودِ مَشاكِلاً وبكَيتُ من عَمْرٍو ومن إعْرابِهِ	الكامل	١١٥
١٠	وقدْ جُعِلَتْ قَلُوصُ بني سُهَيْلٍ من الأكوار مرتعُها قريبُ	الوافر	١٥٣
١١	ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرُهُ بما فعلَ المَشيبُ	الوافر	١٨٠
١٢	نَتـجَ الرَّبيعُ مَحاسِناً ألقحْنها غُرَّ االسَّحَـائِبْ	مجزوء الكامل	١٨١–١٧٨
	التاء		
١٣	النَّحوُ شُؤْمٌ كُ ُلُّهُ فاعْلمُوا يـذْهَبُ بالخُبْزِ من البيْتِ	مجزوء الرجز	١١٥
١٤	خَيْرٌمن النحوِ وأصحابِهِ ثَرِيدةٌ تُعْمـلُ بالـزّيْتِ	مجزوء الرجز	١١٥
	الجيم		
١٥	شربن بماء البحر ثم ترفّعتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنّ ثبيجُ	الطويل	١٤٤
	الحاء		
١٦	يا بؤسَ للحربِ التي وضَعَتْ أرَاهِطَ فاسْتراحُوا	مجزوء الكامل	١٢٥
	الدال		
١٧	**أموتُ أسىً يومَ الرِّجامِ وإنّني يَقِينـاً لَرَهْنٌ بالذي أنا كائدٌ**	الطويل	١٨٦
١٨	سَقط النَّصيف ولم تُرِدْ إسقاطَهُ فتناولتـهُ واتَّقتنا باليـَدِ	الكامل	١٤
١٩	بمخضَّبٍ رخصٍ كأن بنانـهُ عنَم يكاد من اللطافة يعقدُ	الكامل	١٤
٢٠	تقيٌّ نقيٌّ لم يُكثِّرْ غنيمةً بنَهْكَةِ ذي قربى ولا بحقلّدِ	الطويل	٣٤

	الأبيات حسب ترتيب حروف القافية		البحر	الصفحة
٢١	وقائلةٍ ما بالُ دَوْسَرَ بَعْدَنـا	صَحا قلبُهُ عن آلِ لَيلى وعن هِندِ	الطويل	١٢٤
٢٢	إنْ يَحْسُدوني فإني غيرُلائمُهُمْ	قبلي من النَّاسِ أهلَ الفضلِ قد حَسَدوا	البسيط	٣٨
٢٣	فدامَ لي ولهُم مالي ومالـهُمُ	وماتَ أكثرُنا غَيْظاً بما يَجِدُ	البسيط	٣٨
٢٤	أناالذي يجدوني في صُدورِهُمُ	لا أرْتقِي صدْراً منـها ولاأرِدُ	البسيط	٣٨
٢٥	أنْ تقْرآنِ على أسْمَاءَ وَيْحَكُما	منِّي السلامَ، وأنْ لا تُشْعِرا أحَدَا	البسيط	١٤١
٢٦	وهل أنا إلا من غُزَيَّةُ إن غوتْ	غويتُ وإن ترشُدْ غُزَيَّةُ أرْشُـدُ	الطويل	٧٠
٢٧	ليس على اللهِ بمستنكَرٍ	أن يَجمَع العالمَ في واحِـدِ	مجزوء الرجز	١٨٠-١٨١
٢٨	أحَادٌ أمْ سُداسٌ في أحَادٍ	لِلَيْلتِنا المَنُوطَةِ بالتَّنــادِي	الوافر	١٨١
٢٩	أيُّ يومٍ سَرَرْتني بوِصالٍ	لم ترُعْني ثلاثةً بصُـدُودِ	الخفيف	١٨١
	الراء			
٣٠	طلبَ الأزارقُ بالكتائبِ إذ هوتْ	بشَبيبَ غائلةُ النُّفُوسِ غُدُورٌ	الكامل	١٢٤
٣١	ألا يا عَمرُو عَمَــراهُ	وعَمْرُو بنُ الزِّبَيــرَاهُ	الهزج	١٢٥
٣٢	إلى ملكٍ ما أمُّهُ من محـاربٍ	أبوه، ولاكانت كليبٌ تُصَاهِرُهْ	الطويل	٥٢
٣٣	ولكن أبوها من رواحة ترتقي	بأيّامه قيس على من تُفاخِرهْ	الطويل	٥٢
٣٤	إنْ يَقتُلوك فإنَّ قتلَك لم يكنْ	عارٌ عليك ، ورُبَّ قتلٍ عـارٌ	الكامل	١٤٢
٣٥	إمّا أقمتَ وأمّا أنت مُرتحِـلاً	فالله يكلأ ما تأتي وما تـذرُ	البسيط	١٥٤
٣٦	إيهٍ أحاديث نعمان وساكنـه	إنّ الحديثَ عن الأحبابِ أسْمارٌ	البسيط	١٨١
	السين			
٣٧	اقتبسِ النَّحوَ فنِعْمَ المقتبَسْ	والنّحوُ زَيْنٌ وجمالٌ مُلْتَمَسْ	الرجز	١١٦
٣٨	صاحبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جلسْ	مَنْ فاتَهُ فقدْ تَعَمّمَى وانْتَكسْ	الرجز	١١٦
٣٩	كأنّ مافيه مِنَ العَيِّ خَرَسْ	شَتّانَ مابينَ الحِمارِ والفرَسْ	الرجز	١١٦
	العين			
٤٠	إنما النحوُ قياسٌ يُتّبعْ	وبه في كلِّ أمرٍ يُنتَفَـعْ	الرمل	١١٦
٤١	فإذا ما نصر النحوَ الفتى	مَرّ في المنطِقِ مَرّاً فاتّسَـعْ	الرمل	١١٦
٤٢	وإذا لم ينصُرِ النحوَ الفتى	هابَ أن يَنْطِقَ جُبْناً فانْقطَـعْ	الرمل	١١٦
٤٣	فتراهُ يرفعُ النّصْبَ وما	كان مِن خَفْضٍ ومِنْ نصْبٍ رَفَعْ	الرمل	١١٦
٤٤	يَقْرَأُ القُرْآنَ لايَعرفُ ما	صَرّفَ الإعْرابُ فيهِ وَصنَـعْ	الرمل	١١٦
٤٥	والذي يَعْرِفُهُ يَقْرأُهُ	فإذا ما شَكّ في حَرْفٍ رَجَعْ	الرمل	١١٦
٤٦	ناظِرَاً فيهِ وفي إعْرابِهِ	فإذا ما عَرَفَ اللَّحْنَ صَدَعْ	الرمل	١١٦
٤٧	كمْ وضيعٍ رفعَ النّحوُ وكم	مِنْ شَريفٍ قدْ رأَيْناهُ وَضَـعْ	الرمل	١١٦

	الأبيات حسب ترتيب حروف القافية	البحر	الصفحة
٤٨	أبـا خَرَاشِنَه أمّا أنت ذا نَفرٍ فإنّ قوميَ لم تأكلْهُمُ الضَّبُعُ	البسيط	١٥٤
٤٩	فما كان حِصْنٌ ولا جالسٌ يفوقانِ مَرْداسَ في مجمَعٍ	المتقارب	١٢٤
٥٠	**الفاء**		
	أَحْبِبِ النَّحوَ مِنَ العلْمِ فقدْ يُدْرِكُ المَرْؤءُ به أعْلى الشرفْ	الرمل	١١٦
٥١	إنّما النحْوِيُّ في مجْلِسِهِ كشِهابٍ ثاقِبٍ بيْنَ الْسُّدَفْ	الرمل	١١٦
٥٢	يَخْرُجُ القرآنُ مِنْ فِيْهْ كما تَخْرُجُ الدُّرَّةُ مِنْ جَوْفِ الصَدَفْ "	الرمل	١١٦
٥٣	كأنّ أُذنيه إذا تشوَّفا قادمةً أو قلماً مُحرّفاً	الرجز	٧٠
٥٤	**الكاف**		
	سلّمْ على المولى البهاءِ وصِفْ لهُ شوقي إليه وإنني مَمْلُوكُهُ	الكامل	١٨١
٥٥	هي الدنيا تقول بملء فيها حَذَارِ حَذارِ من بطْشي وفتكي	الوافر	١٨١
٥٦	فلا يغْرُرْك مني ابتسامٌ فقولي مُضْحكٌ والفعل مُبْكي	الوافر	١٨١
٥٧	**اللام**		
	فكونوا أنتمُ وبني أبيكُمْ مكانَ الكِلْيَتَينِ من الطُّحَالِ	الوافر	١٤٩
٥٨	وكلُّ أُناسٍ سوف تدخُلُ بينهُم دُوَيْهِيَّةٌ، تصْفَرُّ منها الأنامل	الطويل	١٢٥
٥٩	ومَنْ يصْطبرْ للعلمِ يظْفَرْ بنيلهِ ومَنْ يخْطُبِ الحَسْناءَ يَصْبرْ على البَذْلِ	الطويل	٣١
٦٠	ومَنْ لم يُذِلَّ النّفسَ في طلبِ العُلا يَسِيْرَاً، يَعَشْ دهْراً طَوِيلاً أخَا ذُلِّ	الطويل	٣١
٦١	ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ وكلُّ نَعيمٍ لا مَحَالةَ زائلٌ	الطويل	١٤٧
٦٢	ما أنتَ بالحكمِ التُّرْضَى حكومتُهُ ولا الأصيلُ ولا ذي الرَّأي والجَدَلِ	البسيط	١٥٦
٦٣	أيا جارتا ما أنصفَ الدَّهرُ بيننا تعالي أقاسمْك الهُمومَ تعَالِي	الطويل	١٨٠
٦٤	أحيا وأيسرَ ما قاسيتُ ما قتلا والبينُ جارٍ على ضَعْفي وما عدَلا	البسيط	١٨١
٦٥	لولا مُفارقةُ الأحبابِ ما وجَدَتْ لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا	البسيط	١٨١
٦٦	لن تزالوا كذلكُم ثم لا زلتُـ لكم خالداً خلودَ الجبالِ	الخفيف	١٨٤
	الميم		
٦٧	لنا الجَفَناتُ الغُرِّ يلمَعْن في الضُّحى وأسْيافُنا يقْطُرْن مِنْ نجْدَةٍ دمَا	الطويل	١٤
٦٨	ولدْنا بني العَنقاءِ وابنيْ مُحَرّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً ، وأكْرِمْ بنا ابنما	الطويل	١٥
٦٩	إنَّ مَنْ صاد عقعقاً لَمَشُومُ كيفَ من صادَ عقعقانِ وبومُ	الخفيف	١٧
٧٠	لعَلَّ لهُ عُذْرٌ وأنت تلومُ	طويل	١٧
٧١	وأنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولاحَرِمٌ	البسيط	١٢٤
٧٢	سقى ابنَ هشامٍ في الثرى نَوْءُ رَحمةٍ يجرّ على مَثْوَاهُ ذيلَ غَمامِ	الطويل	٥٤
٧٣	سأروي لهُ من سيرةِ المدحِ مُسْنَداً فمازلتُ أروي سيرةَ ابنِ هشام	الطويل	٥٤

	الأبيات حسب ترتيب حروف القافية		البحر	الصفحة
٧٤	كأنيَ من أخبارِ إنّ ولم يُجزْ	له في اختيارٍ النحو أن يتقدّما	الطويل	١٨٠-١٨١
٧٥	واحرّ قلباه ممن قلبه شَبِمٌ	ومن بجسمي وحالي عنده سقَمٌ	البسيط	١٨٠
٧٦	الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني	والسيفُ والرُّمحُ والقِرطاسُ والقلمُ	البسيط	١٨٠
٧٧	ثم انقضت تلك السنون وأهلُها	فكأنها وكأننا أحلام	الكامل	١٨٠
٧٨	هلْ غادرَ الشعراء من مُتَرَدَّمِ	ام هل عَرفتَ الدارَ بعد توهُّمِ	الكامل	٢٠٦
٧٩	متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ	إذا كنتَ تبنيهِ، وغيرُك يهْدِمُ	الطويل	٢٠٧
٨٠	ومهما تكنْ عندَ امْرئٍ من خليقةٍ	وإنْ خالَها تخفى على الناسِ تُعْلَمِ	الطويل	٥٩
	النون			
٨١	وكلّ رفيقَيْ كلِّ رحلٍ وإن هما	تعاطى القنا قوماهما أخَوانِ	الطويل	٥٣
٨٢	متعودٌ ، لحِنٌ يعيد بكفه	قلماً على عسَبٍ ذَبُلْنَ، وبانِ	الطويل	١٥
٨٣	تفكّرتُ في النحو حتى مللْتُ	وأتعبتُ نفسي به والبدنْ	المتقارب	١١٥
٨٤	وأتعبتُ بكْراً وأصحابَهُ	بطول المسائل في كلِّ فنْ	المتقارب	١١٥
٨٥	فمِنْ عِلْمُهُ ظاهرٌ بَيِّنٌ	ومِنْ علْمُه غامضٌ قدْ بطَنْ	المتقارب	١١٥
٨٦	فكنتُ بظاهرِهِ عالماً	وكُنتُ بباطنهِ ذا فِطَنْ	المتقارب	١١٥
٨٧	خلا أنّ باباً عليه العفا	ءُ للفاء، ياليتَهُ لمْ يكُنْ	المتقارب	١١٥
٨٨	إذا قلتُ: هاتوا، لماذا يُقا	لُ، لستُ بآتيك أو تأتينْ	المتقارب	١١٥
٨٩	أُجيبوا لما قيل:هذا كذا	على النصب قالوا لإضمار أَنْ	المتقارب	١١٥
٩٠	وما أنْ رأيتُ لها موْضعاً	فأعْرِفُ ما قيل إلا بظنْ	المتقارب	١١٥
٩١	فقدْ خِفْتُ يابكرُ من طول ما	أُفكّرُ في أمْر أنْ أن أُجَنْ	المتقارب	١١٥
٩٢	النّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لسان الألْكَنِ	والْمرَءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يلْحَنِ	الكامل	١١٦
٩٣	ولاخيرَ في اللفظَ الكريهَ اسْتماعَهُ	ولا في قبيح اللحن والقصد أزْيَنُ	الطويل	١١٧
٩٤	ويُعْجبُني زِيَّ الفتى وجمالُهُ	ويسقطُ مِنْ عيْنَيَ ساعةَ يَلْحَنُ	الطويل	١١٧
٩٥	ألا ترَيا أنّي حميتُ حقيقتي	وباشرتُ حدَّ الموتِ والموتُ دُونُها	الطويل	١٦٥
٩٦	كفى بجسمي نحولاً أنني رجل	لولا مخاطبتي إياك لم ترني	البسيط	١٨١
٩٧	ما كل مايتمنى المرء يدركه	تأتي الرياح بما لا تشتهي السُّفُن	البسيط	١٨١
	الياء			
٩٨	إذا الجودُ لم يُرزقْ خلاصاً من الأذى	فلا الحَمدُ مكسوباً ولاالمالُ باقيا	الطويل	١٨٠-١٨١
٩٩	ألا إنما مُغني اللبيب مُصنَّفٌ	جليلٌ بهِ النَّحويُّ يحوي أمانيَهْ	الطويل	٦٩
١٠٠	وما هُوَ إلا جنةٌ قد تزخْرفَتْ	ألم تنظُرِ الأبوابُ فيه ثمانيَهْ	الطويل	٦٩

فهرس الأعلام

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
١- ابن الأنباري (أبو البركات)	٧، ٩٤، ٩٥ ، ١٢٣ ، ١٣٣، ١٣٦، ١٨٥
٢- ابن الحاجب (عثمان بن عمر)	١١، ٣٥،٤٤، ٩٦، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٩، ١٥٤، ١٥٥
٣- ابن السراج (محمد بن أحمد	٣، ١٨، ٢٨، ٣٩، ٥٦، ٥٧، ٩٦، ١٤٤، ١٨٦
٤- ابن الطراوة(يحي بن محمد	٩٥، ٩٧، ١٣٢
٥- ابن الشجري(هبة الله بن علي	١٨،٩٤، ٩٥
٦- ابن برهان(عبد الواحد بن علي	١٨
٧- ابن جنني(أبو الفتح – عثمان	٨، ١٠، ١١، ٣٥، ٤١، ٤٤، ٥١، ٥٦، ٨٤، ٩٥، ٩٦، ١٤٨، ١٤٩،١٥٠، ١٥٣، ١٧٩، ١٩٥، ٢١٤
٨- ابن خالويه(الحسين بن أحمد	٩٦، ١٣٠
٩- ابن خروف على بن محمد	٩٧، ١٤٨، ١٦٥، ١٧١، ٢٣٤
١٠- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد	٤٠، ٤١، ٥١، ١١٢، ١٢٢، ١٤٩، ١٥٩، ١٩٦، ١٩٧،١٩٨، ٢١٦، ٢٤٢
١١- ابن سلام الجمحي	٨٢
١٢- ابن شقير(أحمد بن الحسين)	٩٥

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
١٣ابن عصفور(على بن مؤمن)	٩٧، ١٥٠
١٤- ابن عقيـل	٢٩، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٦٤، ١٥٧، ١٩٨، ٢١٩،
١٥- ابن فارس (أحمد بن الحسين)	٨٣
١٦- ابن قتيبة(عبد الله بن مسلم)	١٢١، ٢٤٧
١٧- ابن كيسان (محمد بن أحمد)	٩٥، ٢٤٧
١٨-ابن كثير (أبوالفداءاسماعيل)	١٢
١٩-ابن مالك(صاحب الألفية)	٣، ٦، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٥٥،
٢٠- ابن مضاء(أحمد بن عبد الرحمن)	٥٧، ٦٤، ٦٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٠، ١٣٦،
	١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٢، ١٥١، ١٥٤،
٢١- ابن منظور (محمد بن مكرّم)	١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٧١،
٢٢- ابن وكيع (المحدّث)	١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٨، ٢١٨ ،٢١٩، ٢٢٧
٢٣- ابن يعيش(يعيش بن علي)	٢٣٨.، ٢٤٠
٢٤- أبو الأسود الدؤلي(ظالم بن عمرو)	٩٤، ٩٧، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٥ ،٢٠٦،
٢٥-أبو حيان(أثير الدين محمدبن يوسف)	٢٠٧، ٢٢١، ٢٥٥، ٢٥٧.
٢٦- أبو عثمان (النحوي)	٧، ٨ ، ١٥
٢٧- (أبو عمرو بن العلاء)	١١٤
٢٨-الأخفش (عبدالحميدبن عبدالمجيد)	٩٥، ١٩٧، ٢١٤.

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
٢٩- الأعشى(ميمون بن قيس)	٨ ،١٣، ١٦، ١٧،٨٢، ٨٣ ،٨٤، ٩٩
٣٠- الأفشين(محمد بن موسى)	٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،٣٦، ٣٧،٣٩، ٤٣، ٤٤ ،٤٦
٣١- الأمير	، ٧٨، ١٢٧،١٣٦، ١٣٧، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧،١٥٨،
٣٢- التيجاني يوسف بشير	١٥٩، ١٧١،١٩٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨،
٣٣- الجاحظ (_عمرو بن بحر)	١١٥
	١٣، ٩٩، ٢٤٨
٣٤- الجرجاني (عبد القاهر)	٥٠، ٧٩، ١٠٠، ١٠٧، ٢٣٧، .
٣٥-الحريري(القاسم بن علي)	١٤، ١٧٧ ،
٣٦-الدّماميني(محمد بن أحمد بن على)	٩٦
٣٧- الرَّازي (_أبوبكر- المشهور)	٣، ٢٥، ٦٥، ١٥٢، ٢٣٢
٣٨- الرُّمَّاني(أحمد بن علي الشرابي)	١١٥
٣٩- الزّجّاج(ابراهيم بن السري)	٣٤، ١١٤، ١٥٨، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١١،
٤٠-الزّجّاجي(يوسف الجرجاني)	٢٣٦
٤١- الزُّبَيْدي(محمد بن الحسن)أبوبكر	١٥٣، ٢٢٥، ٢٥٣ .
٤٢-الزَّمَخْشَري(صاحب المفصّل)	٤٥، ٤٦، ٥٧، ١٤٧ .
	٥٢، ٥٣، ٦٩، ١٠٧، ١٠٨ ، ٢٣٧، .
	٨٤

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
٤٣-السيوطي(جلال الدين- عبدالرحمن)	١٨، ١٩، ١٠٢، ١٠٧، ٢٣٧، ٢٣٩ .
٤٤- السيرافي(الحسن بن عبدالله)	١٨، ٨٤، ٩٥، ١٠٢،١٠٥، ١٢٠، ١٤٤، ١٤٨،
٤٥-الشُّمُنِّيُّ(أحمدابن محمد تقي الدين)	٨٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٥، ١٤٨
٤٦-الشوكاني(صاحب البدر الطالع)	٨٣، ٩٦ .
٤٧- الشيخ خالد- الأمير	١١، ٣٣، ٣٥، ٤٤، ٤٦، ٥٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٢،
٤٨-العسقلاني(ابن حجر٠ الدرر الكامنة)	١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،
٤٩-العُكْبُريُّ(عبدالله بن الحسين)	١٦٠١٦٦،١٨٢،١٩٧ ، ٢٣٦ .
٥٠-الفَرَّاء(يحي بن زياد)	٢٣، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٦٦، ١٠٥، ١٢١، ١٢٣، ١٧٧، ٦٠، ٨٣، ١٠٢، ١٤٨، ٢٣٧
٥١-الفراهيدي(الخليل بن أحمد (العين)	٥٢، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٧ .
٥٢- القُرْطُبي(صاحب التفسير)	٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ١٠٧، ٢٣٧ .
٥٣- القُفْطي(على بن يوسف)	٢٥، ٤٣، ٤٥، ٦٦، ١٠٤ .
٥٤- الكسائي(علي بن حمزة)	٢٢، ٤١، ٤٢ ١٠٢، ٢٣٣ .
٥٥- المبرد (محمد بن يزيد)	١٨، ٥٧، ٥٨، ٩٢، ١٠٠، ١١٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٨٩، ٢٣٣، .
٥٦-المتنبي (أبو الطيب – الشاعر)	١٣،١٨، ٣٠، ٤٦، ٥٧، ٨٣، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠٠،

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
٥٧-ثعلب(أحمد ابن يحي بن يسار)	١٢٠، ١٩٣، ٢٥٥
٥٨-سُفيان الثوري(من رواة الأحاديث)	٨٢
٥٩- سيبويه(صاحب الكتاب)	١٨، ٢٠، ٥٠، ٥٨، ٩٢، ٩٦، ١٠٠، ١١٦،١٠٢، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٨٣ .
	٥٧، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٨٣، ٢٣٩ .
	٣٩، ٩٦، ١١١، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢ .
٦٠- عبدالله الحضرمي	٥٨، ١٠١، ١٤٨، ٢٤٨ .
٦١- عَنْبسَة الفيل	١٩،
٦٢- عيسى الثقفي	٥، ٩، ١١، ١٨، ٢٠، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٩، ٥٦،
٦٣- يحي النحوي	٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٨، ٨٨، ٩١، ٩٢،
٦٤- واصل بن عطاء	٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣، ١٣٢، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢،١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٨، ١٧٣ ١٨٣، ١٩٥، ١٩٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٥ .
	١٣، ٨٢، ٩٩ .
	١٣
	١٣، ٩٩، ١٦٨ .

الأعلام حسب ترتيب المعجم	الصفحـات
	٩
	٢٠

٥)- فهرس المصادر والمراجع .

١- الإحكام في أصول الأحكام – أبو الحسن الآمدي الجزء ٤/٣ – ط/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى –بيروت لبنان .

٢- ابن جني النحوي – د . فاضل السامرائي – دار النذير بغداد ١٩٧٥م

٣ – اختصار القدح المعلى في التأريخ المعلى – لابن سعيد المغربي / ط- المطابع الأميرية –القاهرة

٤- إرتشاف الضرب – أبو حيان الأندلسي – ط /دار الكتب المصرية .

٥- الأساليب الإنشائية في النحو العربي / الدكتور عبد السلام هارون –دارالجيل-بيروت-١٩٩٠م

٦- الأصول في النحو –لابن السراج /تحقيق الفتلي –مطبعة النعمان

٧- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي أبي مضاء في ضوء علم اللغة الحديث/ للدكتور محمد عيد– النجف ١٩٧٣ م

٨- إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع قواعد نحوية ج-١-٢ ، محمود صافي – دار الحكمة .

٩- الأعلام قاموس وتراجم – خير الدين الزركلي/ ط – دار الملايين ١٩٨٠م .

١٠- الأغاني –أبو الفرج الأصفهاني –مجلد ١١ ، ضبط وتصحيح لجنة من الأدباء والمدرسين /ط دار الفكر –بيروت ١٩٥٦م

١١- إنباه الرواة على أنباه النحاة /للقفطي –تحقيق محمدأبو الفضل ابراهيم /ط- عيسى الحلبي – الطبعة الأولى -١٩٥٤م .

١٢- الإنتصاف من الإنصاف –محمد محي الدين عبد الحميد –ج ١-٢ .

١٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين / لأبي البركات الأنباري–تحقيق محمد محي الدين /ج ١-٢، ط ٤/ ١٩٨٠م. .

١٤- الإيضاح في علل النحو –أبو القاسم الزجاجي / تحقيق الدكتور مازن المبارك – ط ٢ –دار النفائس –بيروت .

١٥- البخلاء –للجاحظ –عمرو بن عثمان – تحقيق عبد السلام هارون – ط الخانجي

١٦- برنامج ابن أبي الربيع – تحقيق عبد العزيزالأهواني – مجلة معهد المخطوطات – العدد الأول .

١٧- برنامج التجيبي – تحقيق عبد الحفيظ منصور – الدار العربية .

١٨- البسيط في شرح الجمل /لأبن أبي الربيع الأشبيلي /تحقيق ودراسة الدكتور عياد بن عيد الثبيتي ج١-٢ دار الغرب الإسلامي –بيروت –لبنان –ط الأولى ١٩٨٦م .

١٩- غية الوعاة –للسيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم –ط / عيسى الحلبي – القاهرة .

٢٠- تأريخ قضاة الأندلس /للنباهي–المكتب التجاري للطباعة والتوزيع – بيروت .

٢١- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد/ ابن هشام الأنصاري /تحقيق د . عباس الصالحي – دار الكتاب العربي ط١ ١٩٨٦م

٢٢-- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد/ ابن هشام الأنصاري – تحقيق د . عباس الصالحي /نشر الدار العربي ط١ ١٤٠٩هـ

٢٣–التكملة والذيل والصلة – للصاغاني / تحقيق عبد الحليم الطحاوي – دار الكتاب – ١٩٧٠م

٢٤– تذكرة النحاة / لأبي حيان الأندلسي – تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٩٨٦م

٢٥–تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري–د .حسن موسى الشاعر– دار البشير للنشر والتوزيع/ط–١– ١٩٩٤م

٢٦–تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة / د . طلال علامة – دار الفكر اللبناني – بيروت ١٩٩٣م

* – تطوير مناهج تعليم القواعد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –١٩٨٣

٢٧– تفسير القرآن العظيم – لابن كثير / المجلد الأول – مطبعة دار الشعب .

٢٨– تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ط/ ٢–دار القلم ١٩٦٦م.

٢٩– تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد/ ابن هشام الأنصاري/ تحقيق د . عباس الصالحي – دار الكتاب العربي ط١ ١٩٨٦م

٣٠– التفكير العلمي – د . فؤاد زكريا – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٩م

٣١– التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل –محمد عبد العزيز النجار – ج١/٢ مكتبة الأزهر الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

٣٢ –تهذيب كتاب الأفعال /لأبي القاسم السعدي – مطبعة عالم الكتب الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٣٣– جامع الدروس العربية /موسوعة من ٣ أجزاء /الشيخ مصطفى الغلاييني–المكتبة العصرية ط–١٩٩٥م .

٣٤– جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب – تحقيق لجنة جامعية /ج١–٢، ط–– مؤسسة المعارف –بيروت لبنان .

٣٥– حاشية الأمير على مغني اللبيب– مطبعة حجازي بالقاهرة – ١٣٧٢هـ

٣٦– حاشية الدسوقي على مغني اللبيب– طبعة حنفي – بمصر ١٣٥٨هـ

٣٧– الحكمة في تذكير قريب لابن هشام – تحقيق د . عبد الفتاح الحموز – الأردن –١٤٠٥هـ

٣٨– حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ، ومعه شرح شواهد للعيني م ٢/١ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧١هـ .

٣٩– الخصائص –لابن جني /أبو الفتح عثمان– تحقيق محمد علي النجار – ط/ دار صادر للطباعة – بيروت

٤٠– درة الحجال /لابن القاضي –تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور / دار التراث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٠م

٤١– درة الغواص في أوهام الخواص /للحريري /تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥م .

٤٢– دعوة إلى قراءة جديدة للنحو العربي – خليل أحمد عمايرة –ج ٤ – م ٢ – ط سبتمبر ٢٠٠٠م

٤٣– دلائل الإعجاز /لعبد القاهر الجرجاني – ط/ دار المعرفة بيروت .

٤٤– ديوان لبيد ابن أبي ربيعة / تحقيق الدكتور إحسان عباس – الكويت ١٩٦٢م.

٤٥– الرد على النحاة /لابن مضاء / تحقيق محمد ابراهيم البنا – دار الإعتصام الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٤٦– الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ،– تحقيق د . مازن المبارك /ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤م.

٤٧- الزاهر – لأبي بكر الأنباري – تحقيق حاتم الضامن – وزارة الثقافة العربية العراقية ١٣٩٩هـ

٤٨- سر صناعة الإعراب/لابن جني – الجزء الأول /تحقيق مصطفى السقا ' ومحمد الزفزاف/ مطبعة م الحلبي ١٩٥٤م.

٤٩- شرح أبيات سيبويه / لابن السيرافي /تحقيق محمد على سلطاني – مطبعة الحجاز بدمشق ١٩٧٦م

٥٠- شرح أبيات مغني اللبيب- للبغدادي – تحقيق عبد العزيز رباح ، و أحمد الدقاق – دار المأمون – دمشق ١٣٩٨هـ

٥١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر ، الطبعة ١٦

٥٢- شرح التصريح بمضمون التوضيح – لخالد الأزهري – ط عيسى البابي الحلبي – مصر .

٥٣- شرح الجمل لابن عصفور / الجزء الأول – تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح /ط بغداد ١٩٨٠م.

٥٤- شرح الشافية للرضي / تحقيق محمد نور الحسن –دار الكتب العلمية – بيروت .

٥٥- شرح صحيح البخاري – فتح الباري /لابن حجر –ط السلفية بمصر.

٥٦- شرح قطر الندى وبل الصدى/ابن هشام وكتاب الهدى /تحقيق محمد محي الدين/ المكتبة العصرية /صيدا بيروت ١٩٨٨م

٥٧- شرح قصيدة كعب ابن زهير – لابن هشام الأنصاري – تحقيق د. هادي نهر – بغداد ١٩٧٧م .

٥٨–شرح القصيدة الكافية في التصريف / السيوطي–تحقيق د. ناصر حسين على/ المطبعة التعاونية –دمشق ١٩٨٩ م .

٥٩- شرح كافية ابن الحاجب/الرضي/تحقيق يوسف حسن عمر- ج الأول /دار الكتب العلمية /منشورات جامعة بنغازي

٦٠- شرح اللمحة البدرية /لابن هشام الأنصاري /تحقيق الدكتور هادي نهر – مطبعة الجامعة المستنصرية –بغداد ١٣٧٩هـ .

٦١- الصاحبي في فقه اللغةالعربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها /لأبي الحسن اللغوي /مكتبة المعارف–ط الأولى ١٩٩٣م.

٦٢- الصحاح – للجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار الملايين بيروت ١٤٩٩هـ

٦٣- الصحاح – إسماعيل بن حماد الجوهري – دار الكاتب العربي ١٩٥٦م

٦٤- صلة الصلة /لابن الزبير – القسم الأخير تحقيق أ–ليفي بروفنسال / مكتبة خياط –بيروت .

٦٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع- شمس الدين السخاوي – م٣ – منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت لبنان .

٦٦- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي – الشيخ ناصيف اليازجي – الطبعة الثانية / دار القلم –بيروت لبنان .

٦٧- فهرس ابن غازي –لابن غازي /التعلل برسوم الإسناد- تحقيق محمد الزاهي /دار المغرب الدار البيضاء ١٩٧٩م.

٦٨- فهرسة الرصاع / للرصاع – تحقيق محمد العناني / المكتبة العتيقة تونس .

٦٩- الفعل والزمن / للدكتور عصام نور الدين –المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع – القاهرة – ط أولى ١٩٨٤م

٧٠- القاموس المحيط /الجزء ١–٤ /للفيروزأبادي – دار الفكر – بيروت .

٧١- قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية / للدكتور محمد عيد عالم الكتب١٩٨٩م

٧٢- قضية التبشير اللغوي وأبعادها ضمن النموذج العربي /المشكلات والحلول –دار الأندلس للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ.

٧٣- الكامل للمبرد /تحقيق محمد أبو الفضل – والسيد شحاتة /القاهرة

٧٤- كتاب سيبويه / الجزء ١-٢ تحقيق عبد السلام هارون / الجزء ١ دار القلم – الجزء٢ دار الكاتب العربي – القاهرة .

٧٥- الكشاف / للزمخشري – ط مصطفى البابي الحلبي .

٧٦- لسان العرب / لابن منظور / ط بولاق .

٧٧- مجالس ثعلب /تحقيق عبد السلام هارون . ط – دار المعارف .

٧٨- مختار الصحاح – للرازي – دار الفكر – بيروت

٧٩- المخصص /لابن سيدة – تحقيق الشنقيطي –ط بولاق .

٨٠- المذكر والمؤنث / ل تحقيق الدكتور طارق الجنابي .ط العاني ببغداد .

٨١–المرجع في تدريس اللغة العربية / للمدارس الإعدادية والثانوية – الدكتورسامي الدهان –عضو المجمع العلمي العربي / مكتبة أطلس دمشق ٦٢/١٩٦٣م .

٨٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر /للمسعودي علي بن الحسين /تحقيق محمد محي الدين المكتبة العصرية صيدا – بيروت.

٨٣- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي /أحمد قبس /ط : دار الرشيد دمشق ١٩٨٥م.

٨٤- المزهر في علوم اللغة – للسيوطي – تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وزميليه- مطبعة البابي الحلبي مصر .

٨٥- المسائل العسكريات – لأبي علي الفارسي – تحقيق د. محمد الشاطر المدني – ١٤٠٣هـ

٨٦- معاني القرآن للفراء /تحقيق محمد على النجار- ط دار المعارف .

٨٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١-٨ج – مكتبة بريل – لندن ١٩٣٦م

٨٨- معجم الأدباء –لياقوت الحموي : ط دار المأمون .

٨٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب –الإمام ابن هشام الأنصاري –ج-١-٢ المكتبة العصرية –بيروت صيدا .

٩٠- مغني اللبيب – ابن هشام – تحقيق مازن المبارك –ط الأولى – دار الفكر بدمشق ١٣٨٢هـ.

٩١- المفصل في علم العربية / لأبي القاسم الزمخشري – ومعه شرح الشواهد للنعساني الحلبي : ط دار الجيل –بيروت .

٩٢- المفصل /لابن يعيش – عالم الكتب – بيروت ، ومكتبة المتنبي – القاهرة

٩٣- المقتضب للمبرد / تحقيق الدكتور عظيمة – ط: الشئون الإسلامية .

٩٤- المقتضب في اسم المفعول الثلاثي المعتل العين –لابن جني –

٩٥- الملخص في ضبط قوانين العربية – لعبيد الله بن أبي الربيع الأشبيلي – تحقيق الدكتور علي بن سلطان الحكمي / ١٩٨٠م

٩٦- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجه والوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة –لابن رشيد البستي / تحقيق الشيخ الدكتور محمد الحبيب – الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٢م.

٩٧- الممتع في التصريف لاب عصفور /تحقيق الجواري والجبوري ط: المكتبة العربية بحلب .

٩٨- نزهة الطرف في علم الصرف – ابن هشام –تحقيق د. أحمد هريدي مكتبة الزهراء القاهرة- ١٩٩٠م

٩٩- نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة /محمد الطنطاوي – دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة ١٩٧٣م .

١٠٠- النحو المصفى / الدكتور محمد عيد ط/ مكتبة الشباب القاهرة ١٩٩٣م .

١٠١- النحو الوافي /عباس حسن أربعة أجزاء –دار المعارف –القاهرة – الطبعة ٩ .

١٠٢- نفح الطيب للمقري /تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت .

١٠٣- همع الهوامع /للسيوطي تحقيق الدكتور عبد العال سالم – ط- دار البحوث العلمية – الكويت .

الدوريات :

* دار المعارف الإسلامية – المجلد الأول .

* مجلة اللغة العربية – توفيق الطويل – القاهرة – ط مايو ١٩٨٥

* المجلة العربية للعلوم الإنسانية – ط٢٠٠٤م – العدد ٨٦ – اعتراضات – عبد الحميد السيد

* برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ط- ٢٠٠٣م – تقرير التنمية العربية .

* –نحو إقامة مجتمع المعرفة – المكتب الإقليمي للدول العربية .

* دليل المعلم واستراتيجية التعليم – ديسمبر٢٠٠٦م – البحرين – التربية / ط ١

* مؤسسة سفير للتأريخ – موسوعة تأريخية .

* تطوير مناهج تعليم القواعد–المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –١٩٨٣

المراجع الأجنبية:

1- Carter, R. (1984), « On movement », In Carter (1988), On Linking, Papers by R.Carter, B.Levin and C.Tenny (eds) , Center for Cognitive Science Lexicon Project, MIT, Cambridge, MA.

2- Jackendoff, R. (1983), Semantics and Cognition, MIT Press.

3- Jackendoff, R. (1990), Semantic Structures, MIT Press.

4- Jackendoff, R. (1997), The Architecture of the Language Faculty, MIT Pres

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوعات		الصفحة
الإهـــــــــداء:	***	**
الشكر والتقدير:	***	**
المقـــــــدمة:		١
التمهيـــــــد :	النحـو واللحـن . . . العلـم والصناعة . .	٨ – ٢٠
(الفصل الأول :	**(ابن هشام : نشأته وحياته وثقافته)**	٢١
المبحث الأول :	(ابن هشام)	٢٢
أ – نسبه		٢٢
ب – كنيته		٢٣
ج – لقبه		٢٤
د – انتسابه أو نسبته		٢٥
هـ – ولادته		٢٦
(٢) – عصر ابن هشام وبيئته		٢٦
(٣) – شيوخ ابن هشام		٢٨
(٤) – أخلاقه وصفاته		٣١
المبحث الثاني :	(وقفة مع الآراء حول أخلاق ابن هشام وصفاته)	٣٢
(١) – آراء المؤرخين		٣٢
(٢) – التقييم		٣٤
المبحث الثالث :	(ثقافته ابن هشام ومكانته العلمية)	٣٩
١ – تنوع ثقافته		٣٩
٢ – مكانته العلمية		٤٠
٣ – تلاميذ ابن هشام		٤١
(المبحث الرابع :	(آثار ابن هشام – الكتب، والبحوث، والرسائل)	٤٣
أ – كتب ومؤلفات نحوية لابن هشام		٤٣

ب-كتبه النحوية الأشبه بالرسائل ٤٥
ج-بحوثه العلمية ٤٧
المبحث الخامس : (أصول ابن هشام وشواهده) ٥٠
(١)-الشواهد والأدلة ٥٠
(٢)-وقفة مع أخطاء حول في شواهد ابن هشام ٥٢
*** وفاة ابن هشام *** ٥٤
الفصل الثاني : (كتب ابن هشام الأربعة ، دراسة وتحليل) ٥٥
-المبحث الأول : (قطر الندى وبل الصدى ، وشرحه لابن هشام) ٥٦
-المبحث الثاني : (شذور الذهب ، وشرحه لابن هشام) ٦٣
- المبحث الثالث : (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام) ٦٥
-المبحث الرابع : (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام) ٦٨
الفصل الثالث : (مفاهيم في الفكر والتطور) ٧٢
-المبحث الأول : (الفكـــــر) ٧٣
١-معناه ٧٢
٢-تأريخه ٧٢
٣-الإسلام وأساليب الفكر ٧٣
٤-(فَكَرَ) والدعوة لإعمال الخاطر في القرآن ٧٤
٥-ابن هشام والفكر القرآني ٧٥
-المبحث الثاني : (التطـــوّر) ٧٦
١-معناه ٧٩
٢-تأريخه ٧٩
٣-طرق التطور في الفكر النحوي ٧٩
أ-طريقا الإضافة والإصلاح ٨٠
ب-الإضافة وغير الإضافة في نمط التطور ٨٠
-أقوال في حالة النحو قبل الإصلاح ٨٣
٤-أساليب التطور في الفكر النحوي ٨٥
أ-الأسلوب الرأسي (التراكمي) ٨٥
ب-الأسلوب الأفقي ٨٧
الفصل الرابع : (ابن هشام بين مدارس النحو وأطوار) ٩٠

- المبحث الأول : (مدارس النحو)	٩١
(١) - مدرسة البصرة وأشهر أعلامها	٩١
(٢) - مدرسة الكوفة وأشهر أعلامها	٩١
(٣) - المدارس المختلطة	٩٣
(٤) - المدرسة البغدادية - أشهر أعلامها	٩٣
(٥) - الشامية المصرية - أشهر أعلامها - رواد الإقليمين .	٩٥
(٦) - المدرسة الأندلسية - أشهر أعلامها :	٩٦
- المبحث الثاني : (أطوار النحو)	٩٨
١ - الطور الأول - طور الوضع والتكوين	٩٧
٢ - الطور الثاني - طور النشوء والنمو	٩٩
٣ - الطور الثالث - طور النضوج والكمال	١٠٠
٤ - الطور الرابع - طور الترجيح والبسط والتصنيف	١٠٠
- المبحث الثالث : (ابن هشام وطور البسط والتصنيف)	١٠٥
الفصل الخامس: (النحو والمستويات الفصيحة : القرآن والشعر والعربية)	١١٠
- المبحث الأول : (النحو والقرآن	١١١
- المبحث الثاني : (النحو والشعر	١١٤
- المبحث الثالث : (النحو والعربية	١١٨
أولاً - علامات الإعراب	١١٨
أ - الأثر المعنوي	١١٨
ب - الأثر اللفظي	١١٩
ثانياً - في شيوع النحو في الفروع	١٢١
الفصل السادس : (اتجاهات تطور الفكر النحوي عند ابن هشام) في الآراء والمواقف	١٢٧
	،،
المبحث الأول - (الآراء)	١٢٨
١ - الآراء المتفرّدة	١٢٨
٢ - الترجيح والموازنة بين الآراء	١٢٩
٣ - مواجهة الرأي بالرأي . - بين الجوهري وابن هشام .	١٣٢
المبحث الثاني - (المواقف)	١٣٩
١ - بين البصريين والكوفيين	١٣٨

مع البصريين ١٣٩
مع الكوفيين ١٤٢
مع النحاة السابقين ١٤٥
أ – من مواقف المناقشة والترجيح ١٤٥
ب – من مواقف الموافقة والتأييد ١٤٨
ج – من مواقف النقد والمعارضة ١٥٢
مع المعاصرين ، أبو حيان والجدل العلمي ١٥٤
الفصل السابع : (مظاهر تطور الفكر النحوي عند ابن هشام) ١٦٠
المبحث الأول : (مع القرآن، ونماذج من مظاهر التعدي ١٦١
أولاً – منهجه في تناول الأحكام النحوية في القرآن ١٦٢
ثانياً – نماذج من تحليلاته النحوية للآيات ١٦٣
المبحث الثاني : (مع الحديث، ونماذج من مظاهر التعدي ١٧٠
– ابن هشام وحجج المانعين ١٧٢
– شروط النحاة في الاستشهاد بالحديث ١٧٢
– نماذج أحاديث الاحتجاج لابن هشام ١٧٤
المبحث الثالث : (الشعر، ونماذج من مظاهر التعدي ١٧٦
أ – موقف ابن هشام من شعر المولدين ١٧٤
ب – نماذج من استشهاداته الشعرية ١٧٦
ج – مع أشعار المجهولين ١٧٩
المبحث الرابع : (ابن هشام ومظاهر التدرج والتحول والانتقال ١٨٣
١ – بين التدرج والتحول ١٨٥
٢ – الوهم في حقيقة التحول من موقف أو رأي لآخر ١٨٦
٣ – حقيقة الرجوع عند ابن هشام ١٧٧
٤ – من خصائص التدرج والرجوع ١٧٩
الفصل الثامن – (ابن هشام ومحاولات التيسير قديماً وحديثاً) ١٨٨
المبحث الأول – (محاولات التيسير قديماً – مواقف ودعوات ١٨٩
١ – أبرز أصحاب الموقف الأول ، ومحاولاتهم : ١٩١
– خلف بن حيان الأحمر ١٩٢
– أبو عثمان – الجاحظ ١٩٢

- ابن مضاء القرطبي	١٩٢
- عبد الرحمن بن خلدون	١٩٢
٢- أصحاب الموقف الثاني قديماً	١٩٢
- محمود بن عمر الزمخشري	١٩٣
- الإمام أبو عبد الله بن مالك	١٩٣
- البهاء - عبد الله بن عقيل	١٩٣
- ابن هشام الأنصاري	١٩٦
المبحث الثاني - محاولات التيسير الحديث	١٩٩
١- ظروف نشأة المشكلة	١٩٩
٢- مشكلة ضعف التلاميذ في النحو، وآراء الدارسين	٢٠١
٣- المحاولات النظرية الحديثة، بين الاعتدال والتطرف	٢٠٢
المبحث الثالث- (المحاولات العملية الحديثة	٢٠٥
١ - مسيرتها	٢٠٥
٢ - حول - كتاب المرجع في تدريس اللغة العربية	٢٠٧
المبحث الرابع- (حول نموذج التيسير في كتاب تجديد النحو	٢١٤
- فعل ورد فعل	٢١٤
المبحث الخامس - محاولات الدراسات العلمية الحديثة	٢٢٠
- تأريخها ونتائجها	٢٢٠
المبحث السادس- (ابن هشام في ضوء المحاولات الحديثة السابقة	٢٢٣
الفصل التاسع - (ابن هشام والحركة النحوية الحديثة المعاصرة)	٢٢٦
المبحث الأول - (اعتراضات ابن هشام والنظرية التحويلية في النحو	٢٢٦
- المعرب والبنيوي مع ابن هشام والتحويليين	٢٢٨
- تطابق أوجه الاعتراض في قضايا المعنى	٢٢٨
- نماذج من اعتراضات ابن هشام	٢٣٠
المبحث الثاني- (ابن هشام وأساليب العرض النحوي	٢٣٧
١- أثر الأسلوب في العرض النحوي	٢٣٩
٢- الحدود والمصطلحات النحوية بين النحاة وابن هشام	٢٤١
٣- موقف ابن هشام في العرض	٢٤٢
المبحث الثالث- (ابن هشام والدعوة إلى التكاملية	٢٤٤

- مفهوم التكامل ومبرراته	٢٤٤
- بين تكامل الفروع وتكامل المواد	٢٤٥
-نموذج تطبيقي – لتعليم تكاملي	٢٤٦
- أصالة التكامل في التراث العربي	٢٤٧
وقائع للتكامل من الميدان التعليمي للباحث	٢٤٨
ابن هشام والتكاملية - اين يقف ؟	٢٤٩
- خاتمة البحث	٢٥٤
- فهرس آيات القرآن الكريم	٢٦٠
- فهرس الأحاديث النبوية	٢٦٨
- فهرس الأشعار	٢٧٠
- فهرس الأعلام	٢٧٤
- فهرس المصادر والمراجع	١٨٠
- فهرس الموضوعات	٢٨٥